جامعـــــــــــة وهـــــــــــران
كليَّـــــــــــــــــــة الحقوق
قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية

التغيُّـــــــــــر السياسي بين الوسط الريفي والوسط الحضري
– دراسة ميدانية بولايـَــــة غليـــــزَان –

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية

إعداد الطالب:
جلة سماعيـــــــــــن

إشراف الأستاذ:
أ. د: يعـــــــلاوي أحمـــد.

لجنـــــــــــــة المناقشة

د بوسماحة نصر الديـن	جامعة وهران	رئيـــــــسا
د يعلاوي أحمـــــــــد	جامعة وهران	مشرفا ومقررا
د بن طرمول عبد العزيـز	جامعة وهران	عضوا مناقشا
د عبد العالي عبد القـادر	جامعة سعيدة	عضوا مناقشا

السنة الجامعـــــــــية 2011– 2012

مقـدّمَـــــــــــة .

هذه الدراسة هي محاولة في فهم سوسيولوجيا التحول السياسي في الوسط الريفي والوسط الحضري، وفي تتبّع مسار التنمية كإطار شامل تتحرك فيه الظواهر السياسية والاجتماعية، وهي في ذات الوقت تهدف إلى معرفة أشكال الأنساق السلطوية التي تحكم هذه المجتمعات، و كيف يتعامل أفرادها مع السياسة. فهو عمل يستند إلى المقاربات النظرية التي يقدمها علم السياسة في تفسير **الفعل السياسي** وأشكال **العلاقات السلطوية** التي يتحرك داخلها، والتي تساعد على فهم جزء بسيط من كيفية إشتغال النظام السياسي بالجزائر، عبر فهم البنى الاجتماعية التي تتحكم في إنتاج وإستهلاك الظاهرة السياسية في وسطين مختلفين. وبحيث لا يمكن أن تكون الظاهرة السياسية سوى إنعكاس لتطورات إجتماعية ترتبط بالزمان والمكان. سعينا إلى الاستعانة بما يقدمه علم الاجتماع، بفرعيه الحضري والريفي، وإلى مجموع الأدوات المفهومية التي يتيحها. إن التقاء التحليلات التي يزودنا بها كلا التخصصين يبرز بشكل واضح كيف أن أشكال السلطة السياسية المجسَّدة في الفعل المنجز ما هي إلا ظاهرة اجتماعية وثقافية ذات طابع خفي واستراتيجي، خاصة في المجتمعات النيو–تقليدية الموجودة بالجزائر.

غير أننا سنبتعد عن تحليل الأنشطة المجتمعية والسياسية وفق نماذج نظرية تقوم على فئات مفهومية جاهزة، والتي تثير التعارضات الجاهزة، مثل ما يوحي إليه العنوان: وسط حضري/وسط ريفي، أو كمِثل حداثة/تقليد، مجتمع/جماعة...وإنما نحاول قدر الإمكان إبراز التداخلات والواقعات السوسيو–سياسية التي تقدمها نتائج البحث الميداني والإستبيانات، في محاولةٍ لكشف صيرورة السلطة على المستوى المحلي، وهذا لا يتم إلا بتحديد تلك النماذج، ليس كما هي موجودة في تركيبتها النظرية المجردة، وإنما كما تتجسد في علائقيتها مع **واقع** المجتمعين الريفي أو الحضري.

لا تزال المدينة والريف في علاقة جدلية تثيرها مختلف الدراسات في علم الاجتماع أو الجغرافيا أو الإقتصاد، لكن ما شكَّل منطلق هذه الدراسة هو البحث عن تفسير الظواهر السياسية التي تميّزه، فكان **التساؤل الرئيسي: ما هي التحولات السياسية التي ميزت ريف واريزان ومدينة وادي ارهيو؟ ما هي أشكال السلطة ومزاولة المهنة السياسية بين الوسطين؟**. لقد كان من المناسب قبل الشروع في هذه الدراسة، حلّ مسألة أولية: كيف نحدد المفاهيم التي سنقوم باستكشافها ميدانيا؟، إن لفظ **التغيّـــر السياسي** يتميز بالبساطة لكنه ليس سهل الاستعمال، لذلك فإننا ملزمون من الناحية المنهجية العودة لبحث المفاهيم المرتبطة به والتي تُشكّل بدورها تساؤلات فرعية مثل: ماحجم انخراط السكان في العمل السياسي؟ ما هي محددات سلوكهم الانتخابي؟ كيف تتجسد الصفة التمثيلية داخل المجالس المحلية؟ كيف هو نشاط الأحزاب بين الوسطين؟ وما إنعكاسات التحول الديموقراطي على النشاط السياسي

داخلهما؟ .... ومع ذلك فإننا نؤكّد على أن هذه الطريقة في حصر المجال السياسي لا تشكل إلا تقريبًا أول، إنها نوعا ما صحيحة لكنها غير كافية.

لقد تم السعي إلى تبيُّـــــن مؤشرات هذا التغير بين وسطين غير منفصلين تماما (الوسط الريفي والحضري) من خلال متغيرات محددة، والبحث عن تفسير تلك الممارسات التي يختزنها آليا أفراد هاتين الجغرافيتين، والممتدة عبر الزمن والتحول التاريخي والسياسي، أو الناتجة عن الاختيارات العقلانية التي يمتلكها هؤلاء الأفراد، والتي تشكّل دافعا لتغيير المكانة الاجتماعية والسياسية التي هم فيها. لكن تبقى منهجية الكشف عن هذه المتغيرات عملية صعبة ما لم يتم الاستناد إلى دراسات وأدبيات علم السياسة وعلم الاجتماع حول الريف والمدينة الجزائرية، خصوصا أعمال رائدة ل: آلان تورين، بيير بورديو، فاني كولونا، كلودين شولي، الهواري عدّي، جون كلود فاتان...

من جهة أخرى فإن دراسة التحول السياسي الذي عرفه الوسطان الريفي والحضري بالجزائر، وفهم القوانين والشروط التي تتحكم فيهما، لا يتم إلا بالاعتماد على المادة التاريخية، باعتبارها تحمل التفسيرات الاجتماعية والاقتصادية لهذين العالمين المتجاورين. ويزودنا البحث الميداني بالمعطيات اللازمة **لخلخلة** أشكال التعابير الدونية حول الوسط الريفي التي كرسها إجماع علمي موروث من الفترة الكولونيالية. كما تساعدنا المعطيات الرسمية معرفة هل ما تزال القوانين التقليدية تتحكم في إنتاج نفس الممارسات السياسية؟ رغم ما عرفه الريف من تحولات على مستوى البنية، والزمن والمكان. لذلك كان لازمًا علينا الانطلاق من بعض المعطيات التحليلية التي قدمتها أعمال أساسية هي لكل من: مصطفى لشرف، بورديو، فانون، محمد بوخبزة، هني أحمد، بوسعود، آيت عمارة... ليس فقط مرحلة ما بعد الاستقلال وإنما في الفترة الاستعمارية، أين شكّل الجدَل حول أدوار الريف أو المدينة في الثورة محفزا لنا للقيام بتتبّـع صيرورات النشاط السياسي بين الجغرافيتين. أضف إلى ذلك إستفادتنا من النقاش القيّم مع أساتذة مشروع **(الحركات الوطنية والتشكيلات الدولتية في الجزائر والمغرب)**، خصوصا أساتذتي الكرام، حسن رمعون و يعلاوي أحمد وغالم محمد، إذ أن الدراسة إستفادت من كل مواد هذا المشروع، كالابستمولوجيا، والحركة الوطنية، وتاريخ الجزائر في العصر الوسيط والعهد الاستعماري، وتم مقاربتها مع تاريخ ولاية غليزان ووسطي الدراسة، فكانت الفائدة أغنى.

إنطلاقا من أغراض الدراسة وطبيعتها، فنحن إزاء بحث تتقاطع في إطاره المقاربة السياسية مع المقاربة التاريخية والاجتماعية. لذلك وجدنا أنه يتحتم علينا استعمال **منهج تعددي** يستطيع قراءة الظاهرة السياسية وفق دوافعها الاجتماعية والاقتصادية ومبرراتها الثقافية. ورغم أننا معرضون في هذه الحالة إلى إنزلاقات وتداخلات نظرية (Dérives Théoriques) في إختبار المادة المفهومية على الواقع، إلا أننا سعينا إلى تحديد مفاهيم المجال السياسي و بعض أنماط العلاقات السياسية داخل هاتين الجغرافيتين، وساعدت توجيهات المشرف اجتناب هذا التعثُّـــر، وعليه فالمناهج المستعملة:

المنهج المقارن: من خلال عنوان الدراسة يتضح اننا في مجال مقارنة الانشطة السياسية بين المدينة والريف. وهذا المنهج ضروري لتبيان الفوارق التي تحدثها السياسات الوطنية على المجتمعات المحلية. ليس فقط على المستوى الآني ولكن من خلال صيرورة تاريخية. أما الإفادة الثانية فإن تعريف المدينة أو الريف هو بدوره لا يتم إلا عبر المقارنة بين الميزات التي يمتلكها كل وسط.

المنهج التاريخي: لا يمكن معرفة الخصوصيات التي تمتلكها أي منطقة محلية دون الرجوع إلى قراءة ماضيها القريب أو البعيد، فالمنهج التاريخي قادر على تتبع التغير السياسي الذي يطرأ عليها، ويكشف عن الثوابت والمتغيرات التي أثرت على خصوصيات الريف والمدينة على مستوى الزمن والمكان. إضافة أنه أفادنا في عرض مختلف النظريات التي شكلت تعاريفا للوسط الريفي و الحضري.

– عرف الريف والمدينة الجزائرية خلال العهد الاستدماري والمابعد كولونيالي أحداثا محورية غيرت ملامحهما ومن سلوك السكان، فكانت العودة للتطرق لبعض جزئيات هذا التاريخ ضرورة منهجية أخرى.

المنهج الوصفي: لا يكفي لمعرفة حركيَّة الظاهرة السياسية في الوسطين على إستقراء العموميات التي تزودنا بها المراجع أو التحليلات السائدة، وإنما يجب ملامسة التمثّلات التي تتركها الظاهرة على الأفراد، فشكلت الاستبيانات والملاحظة والمقابلة تقنيات تفيد في عرض تجارب إتصال هؤلاء الأفراد مع "**البوليتيك**" وخبرتهم للممارسة السياسية.

وعن **الأسباب** التي دعتنا إلى اختيار هذين الوسطين بولاية غليزان فهي ذاتية وموضوعية نذكر:

1. البعد الثوري لولاية غليزان عبر التاريخ، ودورها النضالي في حرب التحرير الكبرى بشقيه (العنف والسياسة). فكانت نموذجا للاقتراب من معرفة العلاقة بين أدوار الريفيين، وأدوار رموز الحركة الوطنية، على رأسها **حاج على عبد القادر**.(اول زعيم لنجم شمال افريقيا)
2. باعتبارنا ننتمي إلى الولاية، ولنا دراية كافية بمنطقتي **وادي ارهيو** و **واريزان** وبأشخاصها فذلك يساهم في تذليل بعض عوائق البحث والحصول على المعلومات الضرورية، وملء أكبر عدد ممكن من الاستمارات، وساعدت معرفتنا للأصول والعائلات في إفادتنا في التعرف على محدّدات **الصفة التمثيلية** في المجالس البلدية.
3. تعتبر منطقة غليزان منطقة ريفية بامتياز، غير أن تضخم المشاريع العمرانية في بعض البلديات ساعد على ازدياد نسبة **النزوح الريفي** خصوصا إلى دائرة وادي ارهيو والدراسة الميدانية المحلية تعطينا معطيات أخرى، كتلك التغيرات الجديدة التي يعرفها الريف، وبُعد المسافة الزمنية عن التفسيرات التي قدمتها أعمال سابقة في دراسة ظاهرة النزوح الريفي، أبرزها كتابات بن اشنهو، مع التأكيد أننا لا ندّعي مقدرتنا على الكشف عن كل هذه الأسباب "الجديدة". وإنما محاولة لتفسير البيانات التي بين أيدينا، وإستنتاجا لما تُطلِعنا عليه.
4. شهدت غليزان وقت العشرية السوداء إضطرابا أمنيا وسياسيا كبيرا، من نتائجه الارهاب العنيف بمنطقة الرمكة، والذي حصيلته مئات القتلى في أقل من يومين والذي وأحدث تغييرا

إجتماعيا خطيرا؟ فتشكلت في فترة سابقة **إمتناعية** عن الإهتمام بالشأن السياسي بسبب العنف.

من خلال هذه المناهج و الدوافع، فإن الدراسة لا تؤكد أنها حققت بشكل نهائي الأهداف البحثية الكاملة حول موضوع التغيُّر السياسي، لكنه تصميم تمهيدي إستكشافي (Exploratory) يهدف إلى تكوين تخمينات وفرضيات حول واقع الريف أو المدينة الجزائرية وأثر السياسات الوطنية عليهما وهو عمل يتطلب كفاءة عليا ودراية واسعة الاطلاع على الاقتصاد والجغرافيا والاجتماع، لكن شكلت الأدوات البحثية المستعملة (إستمارات الإستبيان، المقابلات، السجلات والوثائق الرسمية) أساليبًا أفادت في إستقراء الواقع السياسي لوحدتين جغرافيتين –**واريزان و وادي ارهيو**–. غير أن هذه الرغبة بالبحث تصطدم **بعوائق** أهمها: عدم وجود دراسات سياسية تناولت وادي ارهيو أو واريزان سواءا على مستوى التأليف الاكاديمي (كتب، مقالات، محاضرات، مذكرات...) او المعطيات الرسمية (عدم وجود مونوغرافيات بأرشيف البلديتين يتناول تاريخهما)، اضف الى هذا كله البيروقراطية التي ترهق البحث والباحث، وصعوبة مقابلة عناصر أساسية كانت محورا في التغيُّر السياسي الذي طرأ على البلديتين فترة العشرية السوداء....

ومن حيث هيكل الدراسة فقد توزعت على ثلاث فصول، به فصلان مكونان من ثلاث مباحث، تطرق الفصل الاول إلى بحث الأطر النظرية للمفاهيم المفتاحية للدراسة وهي **(التغير، الريف، المدينة)** مع الإشارة إلى الأزمة النظرية التي تواجهها العلوم الإنسانية في التعريف الدقيق لها. وتطرق الفصل الثاني إلى خصوصيات المدينة والريف والجزائري خلال الحكم الاستعماري وبعده، والتعرف على شكل التحولات السياسية والاجتماعية التي طبعته بعد الاستقلال، وتم التطرق في هذا الصدد إلى نموذجين من الريف والمدينة بولاية غليزان. واحتوى الفصل الثالث على تحليل نتائج الدراسة الميدانية التي تجيب عن التساؤلات التي أثرناها كمنطلق لمعرفة **أشكال التغير السياسي بين واريزان ووادي ارهيو**.

حاولنا من خلال هذا العمل أن نبين مدى تعقد تفاعلات الأفراد مع السياسة في المرحلة "الديموقراطية" التي يمر بها النظام، التي هي الأخرى تعيش أزمة في تشكيل أسس المشروعية الدائمة التي تضمن فاعلية الذوات من أجل التغيير السياسي وتقليص الفوارق الاجتماعية والثقافية بين الوسط الريفي والوسط الحضري. وهو عمل يحتاج رؤية أكثر تشابكا بمقدرا تشابك وتعقد "**البولتيك الجزائري**"، لكننا إستفدنا واستمتعنا بالبحث في أول فرصة أكاديمية أتيحت.

خلاصَـــــــــــــة تنفيذية

تأتي هذه الدراسة لتحاول معرفة خصائص مجتمعين غير منفصلين تماما، المجتمع الريفي والمجتمع الحضري، وهي أولى محاولاتنا من أجل الانخراط في **علم الاجتماع السياسي للعالم الريفي**. وباعتبار أن العالم الحضري شكّل محور كل الدراسات الاجتماعية، من حركات المجتمع المدني وصولا إلى الأحزاب وأنظمة الحكم، لا يزال العالم الريفي – والريف الجزائري بالخصوص– مهجورا من قِبل العلوم السياسية. ونظرا لأن هذين الوسطين أصبحا في إتصال دائم، تجنبنا دراسة كل وسط على حدى، خصوصا وأن المقاربات الجديدة تركّز على المتصل **ريف– مدينة** لتقلّص الصعوبات من الاستعانة بنموذج واحد للتفرقة بينهما. دون أن يعني ذلك الغاية كانت تِعداد الفوارق بينهما وإنما هي تفسير وتركيب النتائج المحصل عليها.

من خلال هذه المنهجية كان لازما الاتجاه إلى ملاحظة النشاط الاجتماعي وتدقيق بعض الروتين اليومي للأفراد لاستخلاص تفاعلهم مع **السياسة**، سواء كحرفة يمارسونها أو كثقافة من بنيتهم الفكرية، في إطار فكرة موجِّهة Idea-Leading هي عقلانية المجتمع الريفي والحضري للسياسة من جهة، وتدهور أشكال إمتهان السياسة بفعل ممارسيها من جهة أخرى، الأمر الذي يسبب **عزوفا سياسيا** حادا ويُضاعِف منه. وكان إختيار منطقة واريزان ووادي ارهيو كوسطين لمحاكاة الإشكال العام مع الواقع. فترتبت الدراسة وفق هيكل تنظيمي مكوَّن من ثلاث فصول:

الفصل الأول: يختص هذا الفصل في تقديم مختلف التعاريف والنظريات التي ترتبط بمصطلح التغيّر، وعن مرادفاته في اللغات الأجنبية، وكذا إرتباطاته الدلالية مع مصطلحات مشابهة أو تقديم فروق المعنى بينها. وبما أن التغيـُّـــر يتصل بالتجربة الانسانية في كل زمان ومكان، كان لابد من التطرق لبعض خصائصه، وشروطه: كتفاعل الذات مع نفسها ومع الآخر، وصولا إلى عرض مختلف **نظريات التغير الاجتماعي** دون أن نهمل التحديات التي تواجهها المعرفة الاجتماعية في "**التبعثر**" وعدم وجود منهج معرفي توحيدي لها. غير أن الظاهرة الاجتماعية ليست معزولة عن السلطة، فكان تعريف **السياسة** و**نظريات التغير السياسي** مطلبا آخر يصب في صميم الدراسة المعنونة: **بالتغير السياسي بين الوسط الريفي والوسط الحضري**.

و**الفصل الثاني:** تطرق إلى بحث مفهومين آخرين هما الريف والمدينة، فكان في الجزء الأول منه عرض تعاريف الريف والخطابات الدونية التي ميّزته في مختلف العلوم الانسانية التي سقطت في فخ النزعة الاثنو–حضرية و أصبحت لا ترى في هذا العالم سوى "خيبة" و" إضطراب" و" تقليدية". وهو خطاب إحتقاري لم يسلم منه الريف الجزائري الذي إستحمل ولا يزال الكثير سياسات التفكيك النفسي والاقتصادي منذ الاستعمار إلى الوقت الحالي، فخصَّصنا في جزء معتبر ما كان دافعا أساسيا للقيام

بهذه الدراسة، وهو التعرف على أشكال الأنشطة السياسية التي عرفها الريف إبان الثورة، ومقدار العنف والعنف المضاد المسلط عليه. وصولا إلى تحولات **أنظمة الخطاب** حوله بعد الإستقلال، باعتباره مُـــجهَّزا لغاية ثورية اقتصادية. وكما كان الريف سندا ثوريا كانت المدينة الجزائرية خزانا سياسيا واستراتيجيا، وفضاءا مراقبا مُتحكَّما به، فكان التوقف على بعض مآثر الثورة في المدينة الكولونيالية أمرا ضروريا. ودون الابتعاد عن مجال الدراسة وفي شكل موافق لما قُدّم، تمت الاشارة الى أبعاد ولاية غليزان الثورية ورجالاتها السياسية. وفي إطار عنوان الدراسة حضر وريف، شكلت واريزان ووادي ارهيو نموذجين آخرين للكشف عن أوضاع السكان الاقتصادية والسياسية أثناء الثورة التحريرية، وصولا إلى **التغيّرات السياسية** التي طرأت عليهما منذ إعلان التعددية.

باعتبار أن الجزائر دخلت في تجربة ديموقراطية لأزيد من عشرين سنة، فهل يمكن الحديث عن إمتلاك الأوساط المحلية لثقافة ديموقراطية كافية لمثل هذا التحول؟ إن جوهر **الفصل الثالث** هو الإجابة–المحصَّلة ميدانيا– عن هذا التساؤل وعن الإشكال العام. ذلك أنه يشرح أسباب إمتناع أفراد الوسطين من مزاولة **المهنة السياسية** والإنخراط في تسيير **الشأن السياسي** العام، أو من خلال المشاركة السياسية (التصويت كنموذج هنا) لتغيير الوضعيات وتحويل السياسات. وتوضح هذه النتائج عزوف الفرد الجزائري عن "**البوليتيك**" بفعل تصوراته المسبقة عنها، والمترسخة عبر زمن من المآسي والأحداث. تتجسد هذه الصورة كذلك في الحكم السلبي على نشاط الأحزاب التي أصبحت تعني عقما فكريا و ضعفا في الطاقة النضالية. وباعتبارنا ندرس الريف كان لابد التوقف للمرة الثانية عند شريحة إقتصادية–تاريخية هي **فئة الفلاحين**، فبحثنا سلوكهم الاتصالي بمؤسسات الدولة وتفاعلهم مع الحركة السياسية في بلديتهم. وأخيرا فإن بحث الريف والمدينة يستوجب التوقف عند ظاهرة تتبادر إلى الذهن لدى اقتران المصطلحان، هي ظاهرة "**النزوح الريفي**". فما هي أسبابها؟ وما الأثر الذي تتركه على الثقافة والسلوك؟ ومبحث الثقافة يقودنا إلى مستوى أعلى هو التعرف على أشكال تمثلات الأفراد السياسية لبيئتهم المحلية أو الوطنية، ورؤيتهم للواقع الدولي.

لا تختلف كثيرا مظاهر التغيـُـــــــــر السياسي بين الوسطين، ذلك أن كلاهما تأثـَّر وبنفس الدرجة من السياق السياسي الوطني، ومن السياسات العامة التي تنتهجها السلطة منذ إعلان التعددية. والنتيجة الرئيسية هي أن سلبية المواطن حول السياسة أو العمل السياسي ليس مردها نقصا في ثقافته السياسية، وإنما تحوّل السياسة إلى "**بـزار**" وسوق سياسية مفتوحة على الفساد المالي، وهو الذي يتعارض في جانب آخر مع المنظومة القيمية لهذين المجتمعين المحافِظيْن نسبيا.

الفصـــــــل الأول:

التغير السياسي والاجتماعي : قواعد مفهومية وأطُـــر نظريَّـة.

"ليس التغيُّـــر أيا كان شكله وصعيده، شأن نخب تفكر وتقرّر، عن بقية الناس التي يراد لها أن تقرر وتنفذ، وإنما هو صناعة مشتركة يسهم فيها الفاعلون الاجتماعيون، كل في موقعه وانطلاقا من حقل عمله، بحيث تأتي الحلول ثمرةَ المداولات على جميع المستويات، بعقل تركيبي يستطيع صاحبه أن يؤلف على نحو مثمر وفعال، بين الأنماط والأشكال والطراز، بقدر ما يرى إلى البعد المتعدد للواقع بتعقيد تضاريسه وتقاطع خطوطه وتفاعل عناصره، أو بتداخل جوانبه وتناظر أركانه وتراكب مستوياته".

على حرب (تواطؤ الأضداد: الآلهة الجدد وخراب العالم، 2008)

1- طبيعة التغيُّـــــــــر ومميِّـــــــــــــزاته.

1-1/ التغيُّـــــــر: مفردات التعريف وأشكَال الاستعمال.

هناك إجماع ما بين المعاجم العربية والأجنبية (الفرنسية*والانجليزية) حول معنى كلمة التغيّر من حيث أنها تتضمن التبدّل والتحوّل من حالة إلى أخرى. وهي مشتقة من الفعل "غَيَّر" للدلالة على عملية التبديل أو التحويل... يعرف القاموس الأكاديمي الفرنسي في طبعته التاسعة **التغيّر**[1] ب:

(Changement) : مستمدة من غيّر Change *، فعل غيّر. كنتيجة لهذا الفعل.*

1. *تعديل في حالة، أو طبيعة، أو وضعية أو تحويل. كل شيء قابل للتغيّر، تغيّر الزمن، تغيّر المواسم، تغيّر القمر. الغليان أو التجمد هو تغيّر في الحالة. التغيّر في اللهجة أو في الاتجاه، والتغيّر المفاجيء يخشى من تحوله للأسوأ. نحن إما نحب أو نخاف التغيّر".*
2. *أين يتم استبدال شخص ما أو شيء ما بآخر. أو بتغيّر في الميزة. تغيّر في المشهد، إجراء تغيير (تغيير مهم في الحكومة)....*
3. *وعن أصل المصطلح فقد ظهر في بداية القرن الثاني عشر على شكل مفردة* cangement *(فعل تغيّر-تحّول) (Psautier d'Oxford, Éd. Fr. Michel, 76, 10) وفي نهاية القرن الثالث عشر مفردة* chaingemenz *من فعل غيّر، والاسم بإضافة* ment *(Serm. De S. Bern., Éd. W. Foerster, 41, 26 Ds GDF. Compl.).*

وفي **معجم كنز اللغة الفرنسية (TLFI)** فانه يعرَّف[2] ب:

1 *جعل الشيء أقل أو أشد اختلافا، تحويله، تعديله.*

2 *الاستبدال أو التجديد، أن تشكل شيئا مختلفا ولكن بنفس طبيعة وظيفته. (تغيير الهواء، تغيير المشهد، تغيير الستائر).*

ومن حيث المعنى الفيزيائي (Phys) *فإننا نتحدث عن تغيّر جسم من حالة فيزيائية إلى أخرى.*

-إحلال شخص محل شخص آخر، الانتقال من مكان إلى آخر (تغيير الإقامة، السيارة...)

ترد مادة (التغيّر) في المعاجم العربية بمعنى التحوّل والتبدّل، والانتقال من حالة إلى حالة أخرى يقول ابن منظور في **لسان العرب** (1232،1311م). *: "تغيّرَ الشيء عن حاله: تحوّل. وغيّره: حوله وبدّله، كأنّه جعله غير ما كان، وفي التنزيل العزيز :﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ*

---

* اعتمدنا قواميس رقمية من خلال خدمات موقع المركز الوطني للموارد اللغوية والنصية (CNRLT) وقد أنشئ الموقع عام 2005 بتعاون بين المركز الوطني للبحوث العلمية (CNRS) و CNRLT يجمع ضمن بوابة واحدة العديد من المصادر والموارد والأدوات اللغوية ويشمل التوثيق، الحفظ، التنقيح، ووفرة المصادر. تضمن استمرارية الخدمة والبيانات جهودUMR ATILF (CNRS - جامعة نانسي)، وهو ضمن المشروع الأوروبي CLARIN.

[1] **Dictionnaire de l'académie française : 9ème édition. (1992) La version informatisée, Le mot 'Changement' sur**
Stable Url : http://atilf.atilf.fr/dendien/scripts/generic/cherche.exe?15;s=785497920;;

[2] Trésor de la langue française (1971-1994) La version informatisée
Stable Url : http://www.cnrtl.fr/definition/changement

*حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ **(الأنفال / 53)**، قال ثعلب: معناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله، ....، وغِيَر الدهر: أحواله المتغيّرة. ولا يقال ألا غيّرت. وذهب اللحياني إلى أن الغير ليس بمصدر إذ ليس له فعل ثلاثي غير مزيد. وغيّر عليه الأمر: حوّله...وقال القطامي : إلا مغيّرنا والمستقي العجل وغيّر الدهر أحواله المتغيرة. وورد في حديث الاستسقاء: من يكفر الله يلق الغير أي تغيّر الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد، والغير: الاسم من قولك غيّرت الشيء فتغيّر*"[1]. فالتغيّر يشير إلى الاختلاف الكمي أو الكيفي ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة، أو اختلاف الشيء عما كان عليه، عبر فترة محددة من الزمن.

أما في **<u>قاموس التراث الأمريكي للغة الانجليزية</u>**، فإن مفردة Change وردت بشكل مفصل يشير إلى العديد من التغيّرات التي تصادف الحياة الاجتماعية والسلوكات اليومية، ومن بين تلك الشروحات:

1. Change: فعل "غيّر" 1 – التسبب في جعله مختلفا (تغيير هجاء كلمة واحدة).
   - إعطاء شكل أو مظهر مختلف تماما ل..، يتحول (غيّرت الساحة إلى حديقة).
2. إعطاء أو استلام بشكل متبادل: التبادل، تغيير الأماكن.
3. تبادل أو استبدال بشيء آخر، عادة من نفس النوع أو الصنف.
4. لوضعه جانبا، التخلي، تركه للآخر، أو التبديل: تغيير الأساليب، تغيير الجوانب.
5. لاستلام أو لإعطاء ما يعادل العملة النقدية،كعملة قيمتها أقل أو بعملة أجنبية.

- للانتقال من حالة إلى أخرى ،كالقمر أو المواسم.
- للقيام بتبادل: إذ تفضل هذا المقعد سأغيّر معك.
- تناوب مع شخص آخر في أداء مهمة. أو تناوب شخصين لأداء مهمة واحدة أو اثنتين في آن واحد عن طريق التغيير .
- من حيث التعبيرات: تغيير اليدين.
- الانتقال من مالك واحد لآخر. غير (شخص) رأيه، تعديل نظرته أو موقفه أو بشان قرار سبق وأن عقده.
- لتغيير نهج أو موقف واحد"[2].

وعن الفرق بين **التغيّر** و**التغيير** فتشير الهيئة اللغوية (تغيّر) الواردة على وزن (تفعّل) إلى تبدّل وتحوّل وتحرّك (وانتقال ذاتي)، فحين نقول:" *(التغيّر الاجتماعي)، فإنّ هذا المركب الوصفي يومئ إلى تحقُّق أمر حصولي قد يكون عفويًا أو تلقائيًا، بينما الهيئة اللغوية (تغيير) على وزن (تفعيل) تشير إلى صورة غيرية، فحين نقول: (التغيير الاجتماعي)، فإنّ هذا المركب الوصفي يتحدث عن أمر عملي تحصيلي، أي يستحضر في وعيه فعلا يقوم به أحد أو جماعة لإحداث التبدل والتحول والنقل من حالة إلى حالة، فهو تبديل وتحويل وتحريك (ونقل غيري)، وهو عملية قصدية، وليست عملية عفوية أو*

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، **لسان العرب**، لبنان، دار صادر، المجلد الخامس، بدون سنة نشر، ص:3325.

[2] **The American heritage dictionary of the English language**, (Houghton Mifflin Company Edition. 3Rd Edition Copyright 1992) pp 1333,1334.

تلقائية، ويظهر فيها طرفان أحدهما القائم بالفعل والتغيير (الفاعل، المغيِّر)، وثانيهما: الجهة التي تجري عليها عملية التغيير (المنفعل، المغيَّر)"[1]. وسنستخدم طوال هذه الدراسة كلا المصطلحين حسب مقتضيات المعنى المقصود بين الصيغة الوصفية والفعل التحصيلي.

إن تأملا بسيطا في هذه التعريفات ينبهنا إلى علاقة **التغّير بالزمن**، فاللغة العربية تشير إليه ببعض التعابير كتغيّر الحال والدهر، أو كما المثل الشائع (دوام الحال من المحال)."*فحينما نتكلم عن التغير فإنه يتبادر إلى الذهن أن شيئا مَا سيتواجد بعد زمن مَا، هذا ما نقوله، فنحن نتعامل حول اختلاف بين ما كنا نشاهده قبل هذه اللحظة من الزمن، وما نشاهده بعدها. ينبغي من أجل ذكر هذه الاختلافات أن تحتفظ وحدة التحليل على الحد الأدنى من هويتها، بالرغم من تغير الزمن*[2].(Strasser And Randell *1986 :16* وهذا ما جعل علم الاجتماع يهتم بالبعد الزمني للمجتمع في تفسيره لظواهر التغير فيه، "*فأصبحت دراسة التغير الاجتماعي هي جوهر علم الاجتماع، ربما أن كل علم اجتماع يدور حول التغيّر، ومثل هذا التغيّر هو سمة واضحة للواقع الاجتماعي. أي أن أي نظرية مهما كانت منطلقاتها المفهومية، فإنها عاجلا أم آجلا حتما ستواجهه*.(Haferkamp And Smelser .1992. A1) "[3].

وحول مفهوم التغير الاجتماعي، فيوضح Piotr Sztompka أنه: "*إذا بحثنا عن أي تعريف بسيط للتغير الاجتماعي في الكتب المتداولة لعلم الاجتماع، فسنجد أن معظم المؤلفين يركزون على أنواع مختلفة من التغير، لكن بالنسبة لأغلبيتهم يشير إلى تحولات بنيوية في العلاقات، وأن تحديد التنظيمات والصلات بين المكونات الاجتماعية يبدو أمرا عسيرا*"[4]، ومن بين التعاريف التي يقدمها:

' *التغير الاجتماعي هو التحول في تنظيمات المجتمع وفي أنماط التفكير والسلوك عبر الزمن. (Macionis 1987 :p638).*

التغير الاجتماعي هو تعديل في شكل تنظيم المجتمع (Persell 1987 :586).

التغير الاجتماعي يشير إلى اختلافات عبر الزمن في العلاقات بين الأفراد، التنظيمات، الجماعات، والمجتمعات، والثقافات .(Ritzeretal et al 1987 ;560).

التغيرات الاجتماعية هي تعديلات في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية والمؤسسات والبنى الاجتماعية عبر الزمن. (Farley 1990 :626)'[5].

والسؤال المطروح : هل يكفي إضافة "**اجتماعي**" إلى مفردة التغيّر، ليصبح مدلولا للتغيّر الاجتماعي؟ وما معنى "**اجتماعي**" Social؟ يوضح برينو لاتور Bruno Latour *إنه من المألوف أننا نستعمل "اجتماعي" للتعبير عن ما كان قد اجتمع، ويؤدي وظيفته على شكل كل، دون النظر تماما إلى ما الذي قد اجتمع؟ تركب، أو ربط؟ هذا الاستعمال للمصطلح مقبول مع مثل (الاجتماعي هو ما اجتمع) أو*

---

[1] الشيخ علي علي آل موسى، **معوقات التغيير الاجتماعي**. مجلة البصائر(مجلة فصلية - فكرية اسلامية - تصدر عن مركز البحوث والدراسات في حوزة الإمام القائم العلمية) لبنان. 2011/04/22.

[2] Piotr Sztompka,**The sociology of social change. (**Uk, Blackwell Publishers **,**First Published. 1993) p 4**.**

[3] Ibid.,p 5.

[4] Ibid.,p 6.

[5] Ibid.,p 6.

(الاجتماعي هو مركب خاص) فالجملة الأولى تعني أننا نهتم أولا بالروابط التي تجمع العناصر دون الروتين الذي جمعها، بينما تعنى الجملة الثانية بالجوهر، أين الميزة الكبرى تكمن في أنه مختلف عن باقي المواد" [1].

يضيف لاتور أن مفهوم "**اجتماعي**"* أصبح يُعرَّف من خلال ربط الظاهرة الاجتماعية بمجموعة من المصطلحات مثل: النظام الاجتماعيsocial Order، الفعل الاجتماعي Social Practice، البعد الاجتماعي *Social Dimension*، النسق الاجتماعي *Social Structure*. وينتقد التصنيفات التي وُضعت مسبقا في علم الاجتماع لتحديد الفئات المجتمعية وتصنيف المجموعات، *"فيبدو أن علماء الاجتماع من خلال تعريفهم لل(اجتماعي) يحددون مساحة واسعة ليست لها علاقة بالخريطة التي نحتاجها لتعريفنا له، لا أقول أن الخرائط المتوفرة ناقصة، ولكنها تشير إلى معالم الأقاليم"* [2] ويوضح *"أن هناك سياق اجتماعي لا تحدث فيه أنشطة مجتمعية، وهو مجال معين من الحقيقة، ويمكن أن يستعمل كنوع معين من السببية لتفسير السمات المتبقية الموجودة في مجالات أخرى (علم النفس، القانون، الاقتصاد) والتي لا يمكن التعامل معها كلها* [3]. ويضيف *"أن (اجتماعي) مفهوم ضبابي وأن هناك اجتماعي سابق على الاجتماع Social Priori وأن الأفراد خلال تفاعلهم لا يقومون سوى بإعادة الاجتماع Re-Assembling أو إعادة الاتحاد Re-"Association* " [4].

هذا التحديد والفهم ضروري لاجتناب التركيب الميكانيكي للمصطلحات الذي قد يؤدي إلى مغالطات و توليفيات منهجية، أو أن يصادف التركيب المصطلحي-النظري تناقضات في حالة اختباره على أرض الواقع، خصوصا تلك المصطلحات المفتاحية لعلم الاجتماع، كما أن التعاريف التي ننطلق منها هي التي تحدد فهمنا للتغير وللظواهر المحيطة به. أو بعبارة لاتور هي "الخرائط" التي نضعها لتهدينا إلى المسالك الوعرة التي تعرفها تحليلات أي ظاهرة مجتمعية.

---

1 Bruno Latour, **Changer de société : refaire de la sociologie** .traduit par Nicolas Guilhot,(Paris, Editions La Découverte ,2006),p 35.

* حول تعريف اجتماعي (Social) *"فإن التنوعات المتشابهة في الحقل الدلالي تظهر بكل وضوح أن هناك اتجاها ينطلق من العام إلى السطحي ((S,Strum et B,Latour ;The meaning of social from baboons to humans(1987) إن اتيمولوجيا مصطلح اجتماعي في حد ذاتها مادة تثقيفية، فالجذر (seq) يعطيها معنى أول ب"يتبع" ،والجذر اللاتيني (socius) يشير الى" رفيق"،شريك فالجينالوجيا التاريخية لهذا المصطلح ظهرت في مختلف اللغات بمعنى "إتّبع شخصا ما" قبل أن تعني التقيُّد به او الانضمام إليه، في الأخير بمعنى" أن يكون لك شيء ما مشترك" المعنى الآخر ل"اجتماعي" أن يكون لك حصَّة من مؤسسة اقتصادية، و"اجتماعي بمفهوم العقد هي من ابتكار روسو، و"اجتماعي بمعنى المسالة الاجتماعية هي إبداع من القرن 19 ...ومع ابتعاد المعنى عن المصطلح الأول تمَّ اختزال مفهوم اجتماعي مع الزمن ..فكان هناك اتجاه يختزل اجتماعي في المجتمعات البشرية والمعاصرة ، ويتجاهل أن الاجتماعي يتسع إلى ما هناك ف" كاندول Candolle" مؤسس علم القياس scientometrie (استعمال الإحصاء لقياس النشاط العلمي) كان كما أبيه عالم اجتماع النبات(Candolle ,Histoire des sciences et des savants depuis deux siècles d'après l'opinion des principales académies ou sociétés scientifiques .)1987.1873 فالفلفل الأحمر والقردح والأشجار والنحل والنمل والحيتان فهي كذلك اجتماعية، إن السوسيو- بيولوجيا هي الأخرى عرفت هذا الاتساع لمعنى "**اجتماعي**"((E.D Wilson ,Sociology, The new synthesis(1975)* ورد في:

Bruno Latour, p 15

2 Ibid., p 241.

3 Molly Anne Rothenberg, **The excessive subject, a new theory of social change. (**UK, Polity Press. First Published 2010), p 16.

4 Ibid., p 17.

1- 2 السمَـــــــــات العامة للتغيُّـــــــــــــــر:

لماذا ندرس التغيّر؟ هناك قدر غير محصور من الإجابات التي ترتبط بهذا الموضوع، ذلك أن التغيّر سمة أساسية في الطبيعة، وقانون يسير على كل المجتمعات والظواهر الإنسانية، ما يجعله موضوعا للعلوم الطبيعية والإنسانية. ونذكر بحكمة هيراقلطيس Heraclitus حين قال: "**لاشيء هناك دائم سوى التغيّر**". هو مرتبط بالإنسان في حركيته وبعالم أفكاره وتمثلاته، وظاهرة تلامسه في "**الوجود والزمن**". وإدارته لهذا التغيّر تستند إلى نظرته العلمية لما يدور حوله من تطورات وتحولات، وبمدى تلك القوة اللازمة التي يملكها لتبديل الوضعيات والأدوار، ومرتبط كذلك بدرجة **تفاعله في الزمان والمكان**، وإجابته عن بعض الأسئلة مثل: المجتمع إلى أين؟ الإنسان إلى أين؟. لذا كان موضوع التغيير مادة أساسية للحكومات والمؤسسات والأفراد.

فالتغيّر هو تلك الرغبة في التجاوز التي تحاول القبض على مجريات الزمن الراهن، والتحرك ضمن الاستراتيجيات والآليات التي تتحكم فيه، إنه "**نظام المجاراة** " والانخراط في كسب الفرص وفق نماذج عقلانية تساير التسارعات الهائلة. هو يحدث أولا على مستوى الفكر،*"والذي يفكر بطريقة حية وراهنة هو الذي يحسن أن يتغير لكي يساهم في فهم المستجدات وإدارة التحولات وقيادة المصائر، ولا يعني ذلك القطع النهائي مع ما هو حاصل، وإنما يعني إقامة علاقات متحركة ومتجددة مع الثوابت، بقدر ما يعني إعادة توظيف المكتسبات وتشغيلها لإدراجها في أنظمة أكثر وسعا وتركيبا"* [1].

"ليس التغيّر سوى ذلك التعبير عن حالة عدم الرضى على الوضعية الراهنة، وأن نفكر أن باستطاعتنا تطويرها، وأنه لم يبق لنا سوى الاعتراف بما هو غير ملائم ويتوجب علينا تحويله" [2]. فهو يرتبط بعوامل ذاتية وأخرى موضوعية. غير أن فهم التغير وملاحظته وتفسيره والكشف عن ماهيته كلها أمور تستعصي على كل محاولات الضبط الأكاديمي، والتحكم في المفهوم، سواء بتفسيره علميا أو بتأطيره نظريا، بالرغم من ذلك: *"فإن هناك عوامل منظمة ومشتركة بين مختلف المجتمعات قد تسمح بذلك. فعلى سبيل المثال يتطلب تطوير نجاح درجة من التعبئة الاجتماعية تفاضل هيكلي ،تخصيص المصادر المجانية وتنويع المنظمة الاجتماعية ، ووجود نظام حكومي مستقر ومرن. يمكن أن يُفهم التغيّر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من خلال الجمع المنظم للعوامل العرضية والعشوائية، والأحداث الفريدة"* [3].

يرى ويلبرت مور أن ميزات التغيّر المعاصر يمكن أن تلخص في مجموعة من التعميمات هي[4]:

---

[1] علي حرب، **أزمنة الحداثة الفائقة: الإصلاح -الإرهاب -الشراكة** (لبنان، المركز الثقافي العربي، الطبعة الاولى 2005) ص 46.

[2] **Changement politique et social: éléments pour la pensée et l'action**..(DAKAR, Réseau ENDA GRAF SAHEL. 2005) p 1.
Stable Url : http://www.grafdiapol.org/IMG/pdf/livre_CPS_Enda_Def_1_.pdf

[3] Gene Shackman, Ya-Lin Liu and George (Xun) Wang, **"Why does a society develop the way it does**?" Stable Url : http://gsociology.icaap.org/report/summary2.htm

[4] Wilbert E. Moore, **Social change (**Englewood Cliffs, Nj, Publisher: Prentice Hall, First Edition 1963), p 2.

1. *يصيب التغيّر السريع أي مجتمع أو ثقافة، ويتم بشكل كبير أو بصورة مستمرة.*
2. *التغيرات ليست معزولة عن بعدها الزماني أو المكاني، فهي تحدث عبر سلسلة حلقات متتابعة ولا تعبر بالضرورة عن أزمات مؤقتة، تعقبها فترات من الهدوء بعد إعادة بنائها، ويتردد صدى نتائجها عبر مناطق بأكملها أو العالم كله تقريبا.*
3. *هكذا فان أي تغير معاصر يمكن أن يحدث في أي مكان، وتمتد نتائجه لأي مكان، فهو يقوم على أساس ثنائي.*
4. *نسبة التغير المعاصر، التي إما خططت، أو تلك المترتبة عن النتائج الثانوية للتجديدات الحديثة أعلى بكثير من تلك التي حصلت في المرات السابقة.*
5. *تبعا لذلك، فإن مدى التقنيات المادية والاستراتيجيات الاجتماعية يتوسع بسرعة وتأثيره الصافي يكون مضاف او تراكمي على الرغم من الزوال السريع نسبيا لبعض الإجراءات.*
6. *الحدوث الطبيعي للتغير يؤثر على نطاق أوسع على تجارب الأفراد والخصائص الطبيعية للمجتمعات في العالم المعاصر –ليس لان هذه المجتمعات هي من جميع النواحي أكثر "تكاملا" لكن لأنه عمليا*

لا توجد ميزة من ميزات الحياة معفاة من توقعات وطبيعية التغير.

ويعدد جون سكوت في شرحه لمصطلح (التغير والنمو) في كتابه "**علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية**" مميزات التغير نلخصها كالأتي:

1- *" يتسم التغير بأنه واحد في كل المجتمعات، إلا أن سرعة ونطاق وعمق وإيقا ع التغيرات تختلف من مجتمع إلى آخر، ويطالعنا التغير شاملا وسريعا وبارزا في المجتمعات المتقدمة على الأخص "* [1].

2- *"تتفاوت التحولات في كل هذه المتغيرات قي نطاقها أو أهميتها بالنسبة إلى كامل المجال وإيقاعها. وبعض التغيرات يأتي بشكل داخلي بالنسبة إلى المجال، حيث يكون قابلا للتكرار وهي تولد المجال بالشكل نفسه في كل مرة من بين ذلك تغير في الروتين اليومي للأسرة وتقلبات المرور من الصباح وحتى المساء أو التعاقب الموسمي للعمالة في المجتمعات الزراعية، وهناك تغيرات أخرى تحدث تحولات كمية حيث تعدل من طبيعة المجال بالكامل"* [2].

3- *"تأتي التغيرات الاجتماعية عادة مترابطة في تتابعات زمنية ومترابطة سببيا، ويطلق على أي تتابع من المتغيرات المترابطة سواء كانت ناسخة أو تحويلية، إسم عملية إجتماعية، وتشمل مثل هذه العمليات الاجتماعية التحول للنمط الحضري، أو التحول للنمط الصناعي، والنمو الاقتصادي والعولمة"* [3].

تعرف كل المجتمعات التغير الاجتماعي، وتنشأ من ذلك ثلاث أسئلة: هل هذا التغير طبيعي وعادي؟

---

[1] جون سكوت، **علم الاجتماع : المفاهيم الأساسية** . ترجمة، محمد عثمان (لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،الطبعة الأولى 2009). ص 96.

[2] المرجع نفسه: ص98.

[3] المرجع نفسه: ص99.

ما مصدره؟ وما سرعة إيقاعه؟[1] يقودنا هذا التساؤل إلى ما يمكن أن تلعبه العوامل البيئية والتكنولوجية والثقافية والسياسية وغيرها في إعادة رسم خصائص أي عملية تغيّر، وفي اتجاهاتها وأبعادها ومراحلها، فمثلا Sztompka في تصنيفاته لتعاريف التغير الاجتماعي، يشرح نموذج النظام Model System (يجب أن ندرك تماما التحذيرات التي نبه إليها لاتور في استعمال "الاجتماعي" كنظام أو كنسق، وسنعرض لاحقا مستويات الشكوك التي يبديها) أين يتم التعامل معه كنسق، *"إذ تتطور السمات العامة للنظام من خلال التفاعل المعقد بسبب: التوازن واللا توازن، الاتفاق أو التنازع، الانسجام أو الخلاف، التعاون أو الصراع، الازدهار أو الأزمات، السلم أم الحرب...فحينما نحلل النظام إلى مكوناته وأبعاده الأولية فإنه ينطوي على تغيرات محتملة "* [2] هي كالأتي :

1- *التغير في التركيبات: (مثلا: هجرة من مجموعة إلى أخرى، تجنيد في مجموعة، تهجير السكان بسبب المجاعة، تسريح حركة اجتماعية، تشتت جماعة).*

2- *التغير في البنيات: (مثلا: ظهور عدم المساواة، تبلور السلطة ،تطور علاقات الصداقة، انشاء علاقات تعاونية أو تنافسية).*

3- *تغير الوظائف: (مثلا: اختصاص أو تفاضل في فرص العمل، تدهور دور الأسرة في الاقتصاد، الادعاء بالدوار التلقينية التي تؤديها المدارس والجامعات).*

4- *تغيّر الحدود: (مثلا: دمج المجموعات، تخفيف معايير القبول ودمقرطة العضوية، تشارك وانفتاح مجموعة على الأخرى)،*

5- *تغير في علاقات النظام الفرعي: (مثلا: هيمنة النظام السياسي على المنظمات الاقتصادية، مراقبة الأسرة وكل المجال الخاص من قبل حكومة استبدادية).*

6- *تغير في البيئة: (مثلا: تدهور ايكولوجي، الزلازل، ظهور فيروس نقص المناعة البشرية HIV،إلغاء نظام ثنائي القطبية العالمي)*[3].

وعليه فظاهرة التغير وعمليات التغيير تخترق كل النظام وهي إما تُحدث تحويلا كاملا في نظام اشتغاله، وإما تظهر كعوارض تؤثر في تركيبه أو بنياته أو وظائفه.

---

[1] Bryan S.Turner, **The Cambridge dictionary of sociology** (Uk, Cambridge University Press, First Published 2006), p559.

[2] Piotr Sztompka, op.cit. p 5.

[3] Ibid., pp 5,6.

3-3/التغيُّـــــر نتيجة تفاعل الذات مع نفسها ومع الآخر.

الظواهر الجماعية، الاجتماعية والسياسية، تنجم عن أشكال سلوك فردية مجمَّعة، فالظاهرة الجماعية توجد بسبب اجتماع عدة أعمال فردية والظاهرة العشوائية ليست في حقيقة الأمر سوى ردة فعل فردية بين الفرد ومحيطه، والتي يمكنها أن تتجلى في الفعل الجماعي . وحسب غي باجوا Gay Pajoit *"فإن علم الاجتماع لا يمكنه حاليا فهم الحياة الاجتماعية إلا من خلال إدماج الموضوع الفردي في مناهجه "* [1]، إذن *حول "الفرد في علاقاته يجب أن تكون انطلاقة النظرية في علم الاجتماع"*[2] ويتساءل*"لماذا لم يُدخل علم الاجتماع* ***الموضوع الفردي*** *في مفاهيمه حول المجتمع"* [3]. وحسب رأينا فإنه لم يبتعد عن الإطار النظري الذي وضعه سيمل (G.Simmel 1858-1918) حينما يقرر في "**فلسفة النقود**" أن القيمة الفردية (وهي ذاتية) يمكن أن تكون عبر التفاعل والتبادل الاجتماعي قيمة مجتمعية (موضوعية).

قد يكون هذا المقترب صالحا في ظل التفتت الاجتماعي الحاصل لدى المجتمعات الحديثة أقرب إلى الصحة، بفعل **الفردانية** التي تفرضها قيم الحداثة و"**المجتمع الاستهلاكي**" و ديناميات ***العولمة والتهجين***"[4]. *"فالبنسبة إلى باك Beck وباومن Bauman وآخرين تطورت العولمة يدا بيد بفعل الفردانية (Beck, 2004; Beck And Beck-Gernsheim, 2002; Bauman, 2001) واستمر التعبير في أن يكون له تفسير معقول للعمليات المعاصرة في العمل ضمن تشكيل الهوية الذاتية (Cartmel, Furlong.1997) فالوحدة الأساسية في إعادة الإنتاج الاجتماعية تدعي الآن لكي تكون الفرد"*[5]. على هذا النحو *"فإننا في ظروف العولمة الراهنة نشهد تصاعد النزعة الفردية التي تتيح للناس الإسهام أكبر في تكوين أنفسهم وبناء هوياتهم الخاصة، وقد أخذت وطأة التقاليد والقيم الراسخة بالانحسار بعد تزايد التفاعل بين الجماعات في إطار نظام عالمي جديد، كما تناقص وزن الرموز الاجتماعية التي كانت تحدد الملامح لخيارات الناس وأنشطتهم ...وقد أرغمت العولمة الناس على العيش بأساليب تأملية وانعكاسية أكثر انفراجا وانفتاحا، وبعبارة أخرى فإننا نتسجيب ونتكيف مع البيئة المتغيرة حولنا"* [6].

وفي نفس السياق فإن مركز ENDA GRAF SAHEL طور مفهوم **التفاعلية المعممة** Interactivité Généralisée التي تأخذ من الفرد عامل حاسم في أية عملية تغيير، من خلال تفاعله مع المجتمع والمؤسسات. إن التفاعل بين هذه العناصر الثلاث هو المبدأ الحاسم في آلية التغير الاجتماعي والسياسي المنشود، حسب ما نراه فإنها مقاربة عمودية وأفقية أو بالأحرى تصاعدية تنطلق

---

1 Gay Pajoit, **Le changement social: approches sociologiques des sociétés occidentales contemporaines**. (Paris, Armand Collins, 2003) p 5.

2 Ibid., p 14.

3 Ibid., p 15.

4 Janne derveen pieterse, **Globalization as hybridization**, In. Mike Featherstone, Global Modernities (London; Sage publications,1995).

5 Matthew Adams, **Self and social change**. (London; SAGE Publications, First published 2007),p 7.

6 انتوني جيدنز، **علم الاجتماع** .ترجمة فايز الصياغ (للطبعة الرابعة) (لبنان، المنظمة العربية للترجمة ومؤسسة ترجمان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، أكتوبر 2005)، ص 137 .

من الفرد الفاعل وتنازلية تبدأ من البنى الفوقية كالمؤسسات والكل الاجتماعي، يعبر المركز عن مختلف العمليات المجتمعية التي تنشأ ضمن هذا المخطط:

الشكل (1-1): مبدأ التفاعلية المعممة [1]

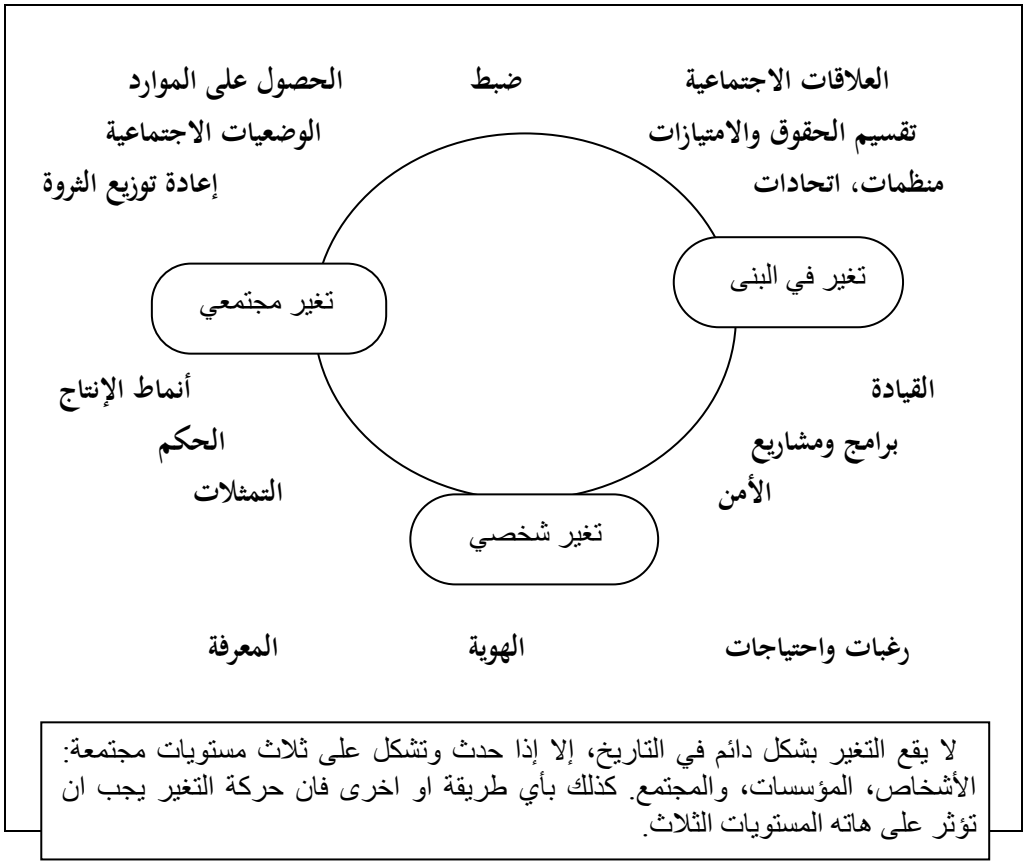

أ) **التغيّر الفردي**: وفقا لمبدأ التفاعلية المعممة، فإن المؤسسات والمجتمع ككل، موجودة داخل الأشخاص الذين يقومون هم بذاتهم إعطاء حياة لها. وباختصار، فإن هذه الكيانات هي في علاقة جدلية، ومما لاشك فيه أنهم في حوار في كل لحظة. فإذا لاحظنا تموضع القطب(التغير الشخصي) وجدناها في نقطة منخفضة من المثلث، رمزيا إنه يدعم القطبين الآخرين (المؤسسات والمجتمع)، *"ليس صدفة أن يكون التغيير مبادرة من الأشخاص ولا ينفذ إلا عبر الأشخاص."* [2]

ب) **التغّير المجتمعي**: لا يمكن أن يقلص المجتمع إلى مجموع الأفراد والبنى، على هذا الأساس: *"إن التغيّر المجتمعي يمكن أن يشتمل على وقائع متناقضة اعتبارا من تلك المسائل المتعلقة بالحكم والعدالة وإنتاج أنظمة الضبط وتقسيم الحقوق والامتيازات إلى تلك المسائل المتعلقة فقط بالاقتصاد كإعادة توزيع الثروة أو الحصول على الموارد. وعليه يمكن للمجتمعات أن تدرس على عدة مستويات المحلي الوطني و العالمي"* [3].

ج) **التغّير المؤسساتي**: يشمل التحولات التي تحدث على مستوى المؤسسات والبنى كإدارة، المؤسسة، العائلة، المسجد.

إن مجرد قراءة بسيطة لهذه المقاربة توحي إلى **التفاعلية الرمزية** التي طورها جورج هربرت ميد

---

1 **Changement politique et social,** Op.cit. p 12.
2 Ibid ., p 13.
3 Ibid, p 13

George H. Mead (1863-1931) حيث هي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى (Micro)، منطلقةً منها لفهم الوحدات الكبرى، بمعنى أنها تبدأُ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي. *"أفعالُ الأفراد تصبح ثابتةً لتشكل بنية من الأدوار، ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم اتجاه بعض من حيث المعاني والرموز. وهنا يصبح التركيز إما على بُنى الأدوار والأنساق الاجتماعية، أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي. ومع أنها تَرى البُنى الاجتماعية ضمناً، باعتبارها بنى للأدوار بنفس طريقة بارسونز Parsons ، إلا أنها لا تُشغل نفسها بالتحليل على مستوى الأنساق، بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المتشكِّل عبر اللغة، والمعاني، والصورِ الذهنيةِ، استناداً إلى حقيقةٍ مهمةٍ، هي أن على الفرد أن يستوعب أدوارَ الآخرين"*[1]. غير أن المركز لا يعزل الفرد عن المؤسسات السياسية والاجتماعية التي تساعد في وضع هذه الرموز، ولا يمكن بأي حال اعتبار الفرد مجرد لغة.

تركز النظريات الاجتماعية المعاصرة على دور **الوضعيات المحلية** في رسم **الوضعية الكبرى** للمجتمع، واستطاعت الفردية المنهجية Ethnomethodology تأصيل التفاعلية الرمزية وتجذيرها كبحث تقني وواضح في نظرية المعرفة، ومن هنا فإن اعتماد مركز ONDA GRAF SAHEL على هذين النموذجين هو التحكم بالوسائل التقنية لضبط حركة التغيير، وجعل النظرية تلامس الواقع المعاش، والتي تركز على الوضعيات التي ينتجها الفرد وعلى كيفية إعادة إنتاجها. *"فهو حين يتكلم عن التغيير فإنه يعطي تعريف عملي يتلاءم مع منظمة ما، أين المهمة هي بالأساس قضية عملية موضحا الأمر خطوة بخطوة "*[2] نفس الاتجاه يقوم به بعض الباحثين الكنديين من خلال "**محاولات نقد الخطاب السوسيو-جماعي**"[3] ونقد تطبيقات سياسة الدولة المؤسساتية لتسيير السياسات العامة (الصحية بالخصوص)، بتوجهها للجماعة بدل وضع نصوص تتعلق باحتياجات الفرد مباشرة ومعالجة مشاكله[4].

وفي مؤلفه الضخم "**علم اجتماع الفلسفات** "[5] يطور كولينز Randall Collins نظريته" ***النظرية العامة لطقوس التفاعل*** "*General Theory of Interaction Rituals "وينتقد تركيز علم الاجتماع الجزئي فقط على الفرد أو الفاعل فقط عبر تحليل وتركيب ديناميكا الوضعيات، بينما الأجدر التركيز على الوضعية المحلية local situation حيث يكون فيها الفاعل أقل من الوضعية الكاملة أو الأكبر بعد عملية التفاعل مع الأشخاص الواعية"*[6]. هذه العملية لا تستمر سوى ساعات أو دقائق أو ثواني. *"إن الوضعية المحلية نقطة بداية التحليل وليست نقطة الانتهاء والحالة الجزئية ليست الفرد، ولكنها تخترق*

---

[1] إيان كريب، **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، ترجمة محمد حسين غلوم (الكويت،عالم المعرفة،ع (244)، 1999) ص ص131،130 .

[2] **Changement politique et social,** Op.cit., p 15.

[3] **Essai critique sur le discours socio communautaire**: Lionel-Henri Groulx .The Canadian journal of sociology / Cahiers canadiens de sociologie, Vol. 25, No. 3 Summer, 2000) pp 343-367.

[4] تم وضع هذا البرنامج من خلال فريق بحث وضعته وزارة الصحة والخدمات الاجتماعية بكندا من منشوراته:
"Nouvelles orientations des politiques sociales pour une société en mutation", Gouvernement du Québec,1996,conseil de la sante et du bien-etre ،**L'harmonisation des politiques de lutte contre l'exclusion**, Gouvernement du Québec, 1996 ،**Forum national sur la sante, la sante au canada: un héritage i faire fructifier** Tl Et Tl 1 ،Ottawa, 1997.

[5] Randall Collins, **The sociology of philosophies: a global theory of intellectual change** (USA. Harvard University Press. Paperback Fourth Printing, 2002).

[6] Ibid., p 20.

*الفرد، ونتائجها تمتد لأعلى عبر الشبكات الاجتماعية. كل التاريخ الإنساني يتكون من الوضعيات ولا يوجد أحد خارج الوضعية المحلية، وقيام ديناميكا الشبكات الاجتماعية يكون عن طريق التقاء الوضعيات المحلية. والتي يدعوها "**سلاسل التفاعل الطقوسية**" .Interaction Ritual Chains* [1]
ودور عالم الاجتماع هو تفسير هذه الطقوس الاجتماعية، وقد أشار إلى ذلك جيدنز في الفصل الأول من كتابه **(علم الاجتماع)** بمثال فنجان الشاي الذي يشرح فيه دور "**المخيلة السوسيولوجية**" (Milles1970) في تفسير الروتين اليومي"[2].

إن هذا العرض حول التفاعلية ودور الفاعل يخدم الدراسة التي نحن بصددها حول تحليل السلوك السياسي في الوسط الحضري والريفي. وبرأينا أن البنائية الوظيفية والتركيز على البنية والنسق التي يمكن أن تحلل داخلها التفاعلات – خصوصا تلك الدراسات حول المجتمع الريفي– تصبح غير ذات معنى إذا نحن أخذنا بعين الاعتبار التحولات الهيكلية التي طرأت على هذه المجتمعات وكذا دور إرادة التغيير لدى الأفراد، والتي تجعلهم يكوِّنون ثقافة خاصة عن ما يحيط بهم تختلف عن الثقافة الكلية(المجتمعية). فبرأي جيدنز أن الأنساق الاجتماعية توجد ضمنيا في الممارسات التي يقوم بها الفاعلون. *"هكذا نصل إلى التفرقة التي وضعها بين الفعل والبنية من خلال التركيز على الممارسات الاجتماعية . ذلك أن مجال الدراسة في العلوم الاجتماعية طبقا لنظرية التشكيل لا هو خبرة الفاعل الفرد، ولا وجود أي شكل من أشكال الكل المجتمعي، بل هو الممارسات الاجتماعية المنتظمة عبر الزمان والمكان'(Giddens,1984)*"[3]. وتلعب اللغة دورا أساسيا في هذه العملية. تبعا لذلك فان تصنيف جيدنز لأنماط المجتمعات ونظريته في" **التشكيل وثنائية البنية**" ترتكز على تحليل الفعل الفردي، وفهم معظم ممارساتهم الحياتية اليومية، وأشكال استجابتهم للتغيرات المحيطة بهم، كما انها لا تهمل دور التقنيات والاتصالات والميديا في تشكيل هوية الفاعلين، والدور الذي تلعبه العولمة في اعادة خلق صورة جديدة للمجتمعات، *"وتسمح نظرية جيدنز بتجاوز التعارض القائم بين البنية والفرد، عن أنماط المجتمعات فيحددها بثلاثة: المجتمعات القبلية وهي مجتمعات تقوم على التفاعل وجها لوجه، ومنها يكون التكامل الاجتماعي وتكامل النسق شيئا واحدا. ثم المجتمعات ذات الطبقة المنفصلة، وهذه تشهد انفصالا بين التكامل الاجتماعي وتكامل النسق، مع ان درجة التكامل فيها متدنية نسبيا أصلا، وتتسم بوجود ما يدعوه بعلاقات التعايش التكافلي بين المدينة والريف. ويطلق على هذه المجتمعات أيضا تسمية "الحضارات"، والظاهرإنها تضم كل المجتمعات التي هي بين المرحلة القبلية والمرحلة الصناعية .أخيرا مجتمعات الطبقات، وهي تصنف أساسا من خلال الانفصال بين التكامل الاجتماعي وتكامل النسق، وبوجود درجة عالية من التكامل بين كل واحد منهما على حده. وهي توجد في المجتمعات التي أصبح من العبث الحديث عن انقسام بين المجتمع والريف. فهي تعيش بدلا من ذلك في بيئة مصطنعة. وتطور المدن مهم في هذا السياق"*[4].

[1] Collins, Op.cit. p21

[2] أنتوني جيدنز، المرجع نفسه، ص 48.
[3] إيان كريب، المرجع نفسه، ص 172.
[4] المرجع نفسه، ص ص، 179-180.

2- نظريات في التغيُّـــــــــــــر: بناء الواقع أم تأطيـــــــــره؟

2-1/ نظريات التغيُّر الاجتماعي: مدخل ابستمولوجي.

"فالهدى هو أن يهتدي الإنسان إلى الحيرة، فيعلم أن الأمر حيرة والحيرة قلق وحركة، والحركة حياة، فلا سكون، فلا موت، ووجود، فلا عدم."

محي الدين بن العربي (فصوص الحكم)

من بين المشاكل المنهجية التي تصادفنا في تصنيفات علماء الاجتماع لنظريات التغيّر الاجتماعي المختلفة هي:

1. الكم الهائل من النماذج التي وضعت لتفسير تطور السلوك البشري والمجتمعات بصفة عامة.
2. التمازج الحاصل ما بين البحث في الأسباب والشروط Causes And Conditions أو مشكلة الانتقال بين الكل والجزء (الاستقراء) أو مابين العلة والقانون.
3. عدم وجود تصنيف نظري متفق عليه.
4. تداخل منهجي مابين المؤرخين وعلماء الاجتماع، أي مابين دراسة التغيّر عبر "الأزمنة الطويلة" و ملاحظة الظاهرة في أزمنة مقاسة نسبيا.

برأينا أن كل عالم أو فيلسوف أو مؤرخ أو عالم اجتماع لم ينتج سوى تفسير للتغيّر في النشاط البشري، وأن كل دراسة جادة و"منضبطة" للسلوك الإنساني تحمل ضمنا نظرية فيه.

ومن بين أهم الجهود التي حاولت وضع تصنيف ونقد لنظريات التغيّر الاجتماعي هو ذلك العمل المتميز لريمون بودون" **نقد نظريات التغيّر الاجتماعي**"[1]، والتي يقسمها إلى أربع أو خمس أنماط. ينطلق بودون في نقديته من فلسفة العلوم، ونزعته في المنهجية الفردية لنقد "**البرامج***PROGRAMME*"* التي خضعت لها نظريات التغيّر الاجتماعي. أما الأنماط المفسرة له فهي:

النمط الأول : يدرس التغيّر اعتبارا إلى اتجاه *A Trend*، وتقوم فلسفة منظريه الاجتماعية على أن المجتمعات خلال مرحلة نموها تمر بمراحل (روستو Rostow) أقصاها مرحلة *النمو Stage Of Growth* متبوعة بتطور ديموغرافي واقتصادي، أو من خلال حالات (August Comte) التي وضعها

---

[1] Raymond boudon, **La place du désordre: critique des théories du changement social.**(Paris, Presses Universitaires de France, 1984)

واعتمدنا على النسخة الانجليزية:

Raymond boudon, **Theories of social change *a critical appraisal* .***translated by j C. Whitehous* (USA,University of California Press and Berkeley Los Angeles**.** Polity Press1986).

* يقول: "في كل حالة، فان هدف البرنامج هو أن يُظهر أنماطا مختلفة أو يكشف عن وجودها. إن شكل وطبيعة هذه الأنماط تختلف من واحد لآخر. إن وصف مختصر لهذه الأنماط الأربعة أو الخمسة، مع إسنادها بالأمثلة، سيجعل من الممكن وصف الميزات الخام للبرامج الضمنية الشائعة في نظريات التغيّر الاجتماعي". (المرجع، ص 9) .

في الأطوار الثلاثة التي مرت بها البشرية (الميتافيزيقة، الدينية، الوضعية أو (العلمية)).أو يتم التغيّر الاجتماعي عن طريق الصراع، حيث يعتبر ميلز المجتمع كنسق، وهو نسق في حالة تطور يتكون من جماعات تتنافس من أجل المصادر وتحكمها صفوة سائدة. وأن عملية التصنيع تزيد في تمركز الصفوة والتي يمتلك أعضاء الصفوة صفات وأصول اجتماعية متشابهة، وقابلية تبادل الأدوار وقدرة العمل في سرية، وفي الوقت نفسه تتزايد بحدة نسبة الموظفين، وهذا يؤدي إلى زوال الأفراد المستقلين وإلى ضبط سيكولوجي وضبط نظامي، والذي ينجم عنه زوال الحرية عند كل مستويات المجتمع. وبالمقابل عند داهرندورف Ralf Dahrendorf، فانه في المجتمع الصناعي تتعارض المصالح بعضها مع بعض فيظهر الصراع الطبقي، وينتهي الصراع على ظروف موقفية معينة (سياسية واجتماعية) وبما أن المجتمع مجموعة من الاتحادات تتعاون إجباريا من أجل المصلحة، إذا فهذا المجتمع جاهز للتطور الديناميكي أي التغير الاجتماعي المستمر. بنفس منطق الصراع يرى سان سيمون (بطريقة البحث عن الاركيولوجا الطبيعية للمجتمعات، كما يستعير بودون المصطلح من ميشال فوكو) فانه في المجتمع الصناعي تبرز مجموعات قيادية **متعاقبة** (عمال أو اختصاصيون) تقود الصراع ضد موظفي الرأسمالية وتحقق النمو لكل المجتمع. ويمثل صراع الطبقات عند ماركس محركا للتغير الاجتماعي.

<u>النمط الثاني</u>: تتمحور نظريات هذه المجموعة حول القوانين الشرطية Conditional Law من صيغة (إذا أ، ثم **ب**) 'if A, then B' أو بصيغة احتمالية (إذا أ، ثم (عادة) **ب**) ' if A, then B (usually)' "*وتبرز في أبحاث توكفيل، حيث أن التطور السياسي ولبرلة المؤسسات تؤدي إلى تقدم الشعوب وتحقيق حريتها، ورغم أن دراسة توكفيل كانت فقط في أمريكا الشمالية إلا انه لا يعتبرها تاريخ بل "**دراسة**"*[1]*، و أنها قانون يصح تعميمه عبر منهج Area of Validity أين تعمم الظاهرة ما وراء زمان ومكان حدوثها* "[2]. من جهة أخرى يفترض بارسونز (بقانون طبيعي) تطور العائلة النووية وأشكال القرابة بفعل التصنيع، وتشكُّل التكامل الاجتماعي عن طريق التكيف والتكامل، و *لتجنب تناقضات التركيز على عامل واحد يقترح ضمن برنامج ثانوي Subprogramme مفهوم البنية التي تستوعب المتغيرات. وفي النيو–ماركسية فإنها تعتبر أن النظام النصف إقطاعي يرفض أي تجديد تقني: لأنه كمثال بسيط يغير من علاقة السيطرة بين المستأجر ومالك الأرض وشروط الإنتاج. ويمكن وضع هذا المثال في شكل نظام ضمن صيغة (إذا أ، ثم ب) ليعطي نسقا من حيث (شروط إنتاج لدى نمط نصف إقطاعي)*" [3]. ووظيفة النظريات هنا الكشف عن ديناميكية البنية. يلاحظ بودون أن النمط الأول يمكن أن يكون متضمنا في الثاني بتطبيق صيغة القوانين الشرطية.

<u>النمط الثالث</u>: نظريات تتميز باستنتاجات تشخص من خلال التجريب، تهتم بشكل التغير الاجتماعي وليس بمضمونه يمكن تنميطها تحت" **<u>الشكل العام</u>** " لنظريات التغيّر. ظهرت كاستجابة للثورات العلمية، و"التي مرت حسب كون بثلاث عمليات:

1. مرحلة العلم العادي (علم حل الأحجيات *Anomalies*).

---

[1] Boudon, Ibid., p 12.
[2] Ibid., p 14.
[3] Ibid., p 15.

2. مرحلة الثورة (كاستجابة للازمة وتغيير النظرة إلى العالم).
3. مرحلة علم عادي جديد.

وكمثال على هذه الصيغة الجدل الهيغيلي–الماركسي"[1]. وتمثل تحليلات كروزييه Crozier حول "الشكل"، *"استجابة الفرد الفرنسي للمشاكل كأساس للتغير. إن أحجيات كون التي تشكل الأزمات البانية للثورات تشبه "الأسئلة " التي يثيرها علم الاجتماع، والتي تعطي استمراره تماما مثل ثلاثية هيغل"*[2].

النمط الرابع: نظريات تبحث في أسباب أو عوامل التغيّر (Causes Or Factors). *"غير أنه وبفعل التغذية العكسية يمكن أن يكون استعمال مفهوم السبب غامض في تفسير التغير الاجتماعي"*.[3] ويمكن أن تكون المعتقدات الدينية هي القوى الدافعة للتغير الاجتماعي (ماكس فيبر) أو عن طريق الانجاز الاجتماعي*Achieving Socially* (Mcclelland) أو عن طريق التقدم التكنولوجي و تحول نمط الإنتاج (White Lynn).

التعاريف	الامثلة
النمط الأول: البحث عن اتجاه	**بارسونز: الاتجاه نحو العالمية.** **كونت: الحالات الثلاث.** **روستو: مرحلة النمو.**
النمط الثاني: أ/القوانين الشرطية	**بارسونز:ا لتصنيع_____ العائلة النووية.** **داهرندورف: التصنيع____اختفاء الصراع الطبقي.**
ب/القوانين البنيوية	**Nurks: الحلقة المفرغة للفقر.** **Bhaduri: الطبيعة المنتجة لعلاقات الانتاج النصف اقطاعية.**
النمط الثالث: أشكال التغير	**ثلاثية هيغل.** **كون:الثورة العلمية.**
النمط الرابع: أسباب التغير	**فيبر:الاخلاق البروتستانتية.** **ماكلالاند: مجتمع الانجاز.**

الجدول (1– 1): تحليل البرنامج: أربع أنماط لنظرية التغير الاجتماعي[4].

يقترح بودون نمطا خامسا هو عبارة عن "**توهُّم**" *An Illusion*، ينتج بفعل النتيجة الخاطئة *non Sequitur* التي يصل إليها القانون الشرطي، أو من خلال الوقائع التي تتضارب مع النظريات، والتي "تتمرَّد" على هيكل البنية وتُعارض **القانون والسبب** مثل (عامل القيم، البيروقراطية، التحديث، التصنيع). كمثال على ذلك، تعارض الأبحاث النظرية التي وضعها Robert and Helen Lynd في ريف Middletown وتضاربت بعد 50 سنة مع دراسات Caplow. وتتميز أنها نظريات

1 Boudon, Ibid.,p 22
2 Ibid.,p 23.
3 Ibid.,p 23.
4 Ibid.,p 26.

حتمية Deterministic Theories.هذا التضارب يدفع بودون إلى تبني **نظرية التعقيد** [1] *Complexity* في تفسير الظواهر، وإدماج السلوك الفردي في تحليل إنتاج الوضعيات التي يصنعها الأفراد في سياق اجتماعي معين. غير أن بودون يؤكد على أهمية النظرية لان أهمية الاعتقاد بوجود نظرية للتغير الاجتماعي هي ما طور النظرية: *"وأخيرا فان النقطة التي اشدد عليها هو أن تلك النظريات من التغيرالاجتماعي كانت لها منزلة النماذج في اغلب الأحيان أو نظريات رسمية، أهميتها إنها مجموعة تمكننا من فهم تدفق التاريخ العظيم، ووثوقيتها الابستمولوجية بينت لماذا يحدث التغير الاجتماعي. وتظهر كيف أن العلوم الاجتماعية لم تدنو إلى دراسة الظواهر الوحيدة"* [2].

إنه ورغم أهمية هذا التصنيف النقدي، إلا أن هناك تصنيفات متعددة، منها ما تهتم بحركة التاريخ مثلا: النظريات الدورية (ابن خلدون، توينبي، شبينغلر، فيكو)، وهي نظريات تشاؤمية. بعد ذلك وبفعل التطور التكنولوجي الذي شهده القرن التاسع عشر وفلسفة الأنوار ظهرت ***فكرة التقدم***، وبحث الفلاسفة عن وضع "مخطط إجمالي لجدول تاريخي لتقدم الفكر البشري" Esquisse d'un tableau historique (des progrès de l'ésprit humain)* ستمثل على يد أوغست كونت تفسيرا لنظريته حول التطورالارتقائي الذي تمر به البشرية، وقانون الحالات الثلاث عبر دراسته الديناميك والستاتيك (السكون) الاجتماعي Social Static And Social Dynamic.

وحسب غابريل ألموند فإن نظرية التقدم بين القرن 19 والقرن العشرين تراوحت في خمس مواضع من فلسفة التاريخ :1- *اتجاه العملية التاريخية: سواء الخطية، الارتدادية، التقدمية، المنحنية، الدورية . 2- نسبة التغيير التاريخي: سواء تزايدية أو مميزة بالتحويلات الكمية .3- فاعل(أو فواعل)التغيير التاريخي: سواء كان (كانوا) قوة قدسية تسيطر على التاريخ أو بواسطة خطة قدسية فرضت في البداية وتعمل بعد ذلك بنفسها خارج التاريخ، كما تشير إلى ذلك فكرة العناية الإلهية، أو أن يكون الفاعل هو إنسان(جهد وعقل)، أو الإنساني والمقدس يعملان معا في بعض النسب. 4 - ماهية التغيير التاريخي ذلك أن أمكنة التحولات التاريخية وتفاعلاتها كالمعرفة، الحرف، الفنون، التطورالمادي، الرفاهية،*

---

[1] *براديغم **التعقيد** طوره عالم الاجتماع الفرنسي إدغار موران: " يتلخص في تبيان خاصية تعقيد العالم والإنسان، ما يستلزم منهجاً يتطابق مع هذه الخاصية..لا يسعى فكر التعقيد إلى استبدال فكرة اللانظام بالنظام، بل إلى خلق حوار منطقي بين النظام واللانظام والتنظيم''* انظر

Edgar Morin, **Vers un nouveau paradigme** (Revue Sciences Humaines, N 47, Février 1995) p12.

غير أن ريمون بودون أشار إلى انه ظهر في الولايات المتحدة.في مقال :

R.Todd La Porte (Ed.**),** ***The architecture of complexity***, Organized Social Complexity, Princeton, Princeton H. Simon, General Systems, I, 1965, 63-76.

ويشير البعض إلى أنه ظهر من خلال الاكتشافات الكيميائية على يد **ايليا بريغوجين** (جائزة نوبل1977) في كتاب **" نظام خارج الفوضى** ***Order out of chaos*** والذي طور فيه"***Dissipative Structures.***" عبارة عن بنى مفتوحة على العالم الخارجي وتتفاعل معه، لديها طاقة ثابتة وقادرة على التدفق بشكل لانهائي، بنى خاضعة للتقلبات الطارئة وتغيرها مفاجيء. كما بدأت تظهر وجهة نظر **التعقيد** في العلوم السياسية لتفسير الفواعل الهوياتية عبر العالم وعلاقة الفرد بالمكان: انظر مقالة الجغرافي جاك ليفي:.

Jacques Levy**, Du monde a l'individu: la complexité dans les sciences sociales**, Sciences Humaines, No.47 (Fevrier1995), p34.

[2] Boudon: Ibid,.p 223.

* عنوان الوصية المؤثرة التي ألقاها كوندرسيه في السوربون أواخر القرن السابع عشر،"*وهذا دون أن ننسى انه بين تورغو وكوندرسيه، يندرج كل من ليسنغ (lessing) في المانيا، وبرايس(Price)،وبريستلي(Priestly) في انجلترة، إنها في الحقيقة، نظرية ألفية جديدة (عقلانية كليا،ومملكتها الموعودة أرضية كليا، وإنسانية كليا) ..إنها طوباويا جديدة ودائمة ستقترح نفسها على الأمل الإنساني*". انظر وصفا لهذه الفكرة : جان جاك شوفالييه، **تاريخ الفكر السياسي: من المدينة الدولة إلى الدولة القومية**. ترجمة، مجمد عرب صاصيلا (لبنان: المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1998) ص 543.

المؤسسات السياسية، الأفكار، الأخلاق، الروحانيات، القيم.كلها مرتبطة سويا. 5-هوية حاملي التاريخ: سواء كانوا يونانيين، يهودا، مسلمين، مسيحيين، أو في هوية أوسع كالإنسانية أو الإنسان المتحضّر"[1].

ظهرت فكرة جديدة هي "**التطور**"، ستكون بمثابة "مفتاح نظري" لما سياتي بعد نظرية هربرت سبنسر (1820-1903) الذي يرى أن كل الأفعال تسير وفق قانون "الاتصال النسبي" أي أنها مرتبطة ببعضها، حيث أن هناك تشابهاً بين المجتمع والكائن العضوي في عدة مجالات. وهو يرى أن التطور بشكل عام يتجه تدريجياً من مرحلة التجانس Homogeneity إلى مرحلة اللاتجانس Heterogeneity وصولاً إلى مرحلة التكامل.

بعد ذلك نظريات الصراع، أبرزها التي وضعها ماركس حين حدد ثلاث مفاهيم جديدة للتحول الاجتماعي: -الطبقة ترتبط بزمن، -ظهرت وستزول - قبل زوالها تكون دكتاتورية البروليتاريا (نخبة العمال)، وقد طورتها النيوماركسية. وظهرت تفسيرات أخرى: منها ما تركز على التكنولوجيا، أو العامل الثقافي. لا يمكن بأي حال ذكرها كلها لأنها بنظرنا تقع ضمن سياق المحاور التي وضعها بودون (الوظيفة، القانون، البنية، السبب، الاتجاه، الشكل العام).

إن العصر الصناعي ساعد المنظرين على فهم المجتمع وتحولات الرأسمالية، غير ان أدوات التحليل حاولت شرح التغير الكلي عن طريق السوق، ونمط الإنتاج. أي الأسس الاقتصادية الاجتماعية للتغير. والسؤال الذي يواجهها هو: كيف يمكن تحليل قوى التغير الرأسمالي في ظل التغير التكنولوجي وعصر الإنسان الرقمي، وإعادة الهيكلة الصناعية، ومجتمع المعلومات.

تُركِّز بعض النظريات المعاصرة على العولمة وديناميات التفكيك و التأحيد التي تفرضها على المجتمعات، وتعتبر المقاربة السوسيولوجية لجيدنز من خلال **البنية والتشكيل** أهم المقاربات التي ركزت على عوامل التغير (البيئة، السياسة، الثقافة) ليتجاوز تلك التبريرات الأحادية. ويركز آلان تورين[2] على الحركات الاجتماعية، كمدخل للتغيير. أما التفاعلية الرمزية (هربت ميد، بلومر Mead, Blumer) فتعنى بالقضايا المتصلة باللغة، وأن التفاعل بين الأفراد يتم عن طريق الرمز، وتفاهمات ومواضعات مشتركة، تتم التفاعلات عن طريق المعنى الذي يعطيه الأفراد لأنفسهم وللآخرين، وتساهم في خلق المجتمع ومؤسساته. غير أنها مقاربة تهمل الأنساق الاجتماعية ودورها في صناعة المتخيل الفردي.

---

1 Gabriel A.Almond, Marvin Chodorow, Roy Harvey, ***Progress and its discontents***, Pearce bulletin of the American academy of arts and sciences, Vol. 35, No. 3 (Dec., 1981. P6.)
Stable Url : http://www.jstor.org/stable/3823284

2 من خلاله دراسته للعمل الطلابي استطاع تورين صياغة نظريته في **الحركة الاجتماعية** و**الفعل** الذي تقوم به ضد النظام الاجتماعي، هي نظرة نقدية لوظيفية بارسونز. "إن طموح تورين من خلالها هو بيان كيف أن التأكيد على الفعل لا يؤدي بصورة حتمية إلى التطوعية (voluntarism) أو الفردانية (individualism)، إذ أن كليهما لا يوفر نظرة ثاقبة إلى "فاعل" الفعل: إلى "الذات" التي تقوم بالفعل."إنه وبالرغم من تأكيده على الفعل الاجتماعي إلا أنه لا يهمل دور البيئة والسمة التاريخية أو التاريخانية". ورد في: جون ليشته، **خمسون مفكرا أساسيا معاصرا: من البنيوية إلى ما بعد الحداثة**. ترجمة: فاتن البستاني. (لبنان،المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز الوحدة العربية ،الطبعة الاولى2008) ص 497.

2-2/ التغيُّـــــــــــــر وتشظّي النظرية الاجتماعية.

التغير الاجتماعي هو عملية تحول المجتمعات، وظهر المصطلح نتيجة تطور دراسات علم الاجتماع التاريخي، "*وهو يختلف في الواقع في مقداره واتجاهاته ويظهر على أنه غير معرَّف، أو بالأحرى عارض ويستحيل استخلاص حركيته ك" قانون" للتطور* "[1]. إذن فهو:" *مفهوم مراوغ. هو حتمي، وللمفارقة، يعتمد على الإرادة وأفعال الأفراد العاديين". فنحن نعتنق تغييرا، "رغم ذلك شيء في طبيعتنا يقاومه بعنف، ننظم حركات اجتماعية أو حملات سياسية، واستراتيجيات عمل حول الحاجة للتغير، بالرغم من ذلك نفهم بالكاد كيف يعمل*"[2]. أما الحراك الاجتماعي فإنه: *الإمكانية التي يملكها الأفراد والجماعات في إطار منظومة اجتماعية ما من أجل تغيير المكانة التي يحتلونها، سواء كانت مكانة مهنية أو جغرافية أو اقتصادية." بمعنى أنه مبحث يركز على العلاقة بين الموقع الأصلي للفرد أو الأفراد، وموقعهم الخاص في إطار نظام التراتب السوسيو مهني*"[3]. وهو إما عمودي أو أفقي أو جانبي.

من حيث السمات التي يتميز بها التغيُّر وجب إبراز العلاقة بين تطور التفكير الاجتماعي ودرجة التغيرات السريعة الهائلة التي تتميز بها المجتمعات المعاصرة في ظل ثورة الاتصالات وتعقد الظواهر المجتمعية على نحو ما يطلق عليه المفكر ما بعد الحداثي جان بودريار Jean Baudrillard "***عالم الواقع المفرط***"[4] *Hyper-Reality*. والسؤال الذي يواجهنا هو كيف يمكن وضع أنساق نظرية ثابتة للعمليات الفردية اليومية المتباينة؟ وهل يمكن تطويع الظواهر الاجتماعية والسياسية لينطبق عليها المنهج؟. من جهة أخرى هل يمكن لعلم الاجتماع إنتاج نظرية في التغير الاجتماعي في ظل أزمة الحسم في المفاهيم، لعل أبرزها كما أشار لاتور مصطلح **اجتماعي**. يتخذ بودون موقفا نقديا حين يقول: *"إن العلوم الاجتماعية تتميز اليوم بافتقادها إلى إطار نظري عام، بالمعنى الحقيقي، من هنا انطباعها بالوصفية Descriptivism. وهي، لئن كانت تكدّس الدراسات الخاصة، والمفيدة -في غالب الأحيان- حول أكثر المواضيع تنوعا، توحي أيضا بضياع هويتها وتداعيها على نحو يستحيل تداركه....إن إخفاق العلوم الاجتماعية المعاصرة في محاولة إنشاء إطار عام قادر أن يضمن لها الهوية والخصب، عائد إلى ارتباطها بنظرية في السلوك الإنساني قابلة للجدل، وتصور ضيق للعقلانية، مما يحكم عليها بتقديم ظاهرات هشة للعلوم الاجتماعية"*[5].

وأمام الانتقالية السريعة للأنظمة الاجتماعية وبفعل **انضغاط الزمان-المكان** (David Harvey 1990)

---

1 Frédéric Lebaro**, La sociologie de A à Z. (**Paris, Dunod, 2009) p30.

2 Scott London, **Understanding change: how it happens and how to make it happen**

3 حافظ عبد الرحيم.، **الزبونية السياسية في المجتمع العربي: قراءة اجتماعية-سياسية لتجربة البناء الوطني في تونس (**.لبنان،مركز دراسات الوحدة العربية .الطبعة الأولى 2006) ص 118.

4 يخلص بودريار في نظريته هذه إلى أن تغلغل وسائل الاتصال الجماهيرية في حياتنا وفي كل مكان إنما يخلق"عالما من الواقع المفرط"، يتكون من اختلاط أنماط السلوك االبشري من جهة والصور الإعلامية من جهة أخرى، ويتألف هذا الواقع الجديد من صور خليطة ومتداخلة تكتسب معانيها ودلالاتها من صور ومشاهد أخرى ترتكز مرجعيتها إلى "واقع خارجي"، ورد في: (انتوني جيدنز: علم الاجتماع، ص 514.) ومنه فالسؤال المطروح اليوم بلغة بودريارية كيف يمكن ملاحظة و قياس التغير والتنظير له في ظل "الواقع المفرط" أين الواقع الحقيقي لم يعد موجودا بالفعل؟.

5 ريمون بودون، **أبحاث في النظرية العامة في العقلانية، العمل الاجتماعي والحس المشترك** .ترجمة جورج سليمان (لبنان.المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى 2010) ص 52.

وبزوغ الحداثية كقوة ثقافية[1]، بفعل الوقائع المادية المتغيرة، بحيث *"تتنوع الممارسات العملية، التي تنشأ منها مفاهيمنا حول الزمان والمكان، بمقدار تنوع التجارب الفردية والجماعية، أما التحدي فيكمن في كيفية إيجاد إطار تفسيري شامل يجمعها ويكون في الآن نفسه الجسر الذي يهدم الهوة بين التغير الثقافي وديناميات الاقتصاد السياسي"*[2]. *لنجد في الحالة هذه أنفسنا "ضد المنهج"*[3] *بتعبير فايرابند (Fayeraband 1980) حين يعتبر أن قرارات الإرادة الإنسانية تتفوق على ثبات العلم الطبيعي. وأن النظريات العالمية يمكن أن تكون خرافات (*Fairy Tales). يلتقي هذا الموقف مع ما أعلنه بودون منذ أكثر من ثلاثين سنة ب *"أزمة علم الاجتماع"*[4] *(التي تمس اللغة، المنهج، والابستمولوجيا). "وفي فرنسا ذهب لاتور و* ولغار (Latour And Woolgar 1979) *إلى أن النظريات الاجتماعية هي عبارة عن "بناء"، وبما أننا نرى العالم انطلاقا من هذه البناءات، فإننا لا نستطيع المقارنة بين صور العالم التي تم تقديمها مع حقيقة خارجية هناك لا نمتلك حق الدخول إليها"*[5].

إن التحولات الفجائية، *"والتي هي متسارعة بقدر لا يمكن السيطرة عليها في ظل ما يفتحه العالم اللامحدود من الرموز والدلالات على مستوى المنطق والبنية والهوية والفاعلية والاقتصاد. تضع المعارف والنظريات في حالة إخفاق متكرر. كما أن المتغيرات المجتمعية تفاجئ العاملين في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية، بجهلهم المجتمع و حركيته، أو بالواقع وتعقيداته، من هنا ننتقل من صعيد إلى صعيد، في عمل الرصد والدرس، بحيث لا يقتصر التحليل على الواقع المجتمعي في حراكه وتحولاته، وإنما يأخذ العلوم والمعارف في تحولاتها وطفراتها المتواصلة"*[6].

في الحالة هذه فإن أصحاب المشاريع والاختصاصيون مجبرون على الانتقال إلى مستوى آخر في التحليل، أي من تفسير التغّير إلى وضع نظرية في التغّير تستند على فلسفة للتغّير، والتي تأخذ المجتمع حقلا للدراسة، والسؤال الأهم: هل يمكن وضع نظرية للتغير في زمن الفوضى والاضطراب كما ينظر الفوضويون*. أو بعد انفجار البراديغمات والأطر العلمية التي تفسر الظواهر المجتمعية بفعل ثورة التفاعلات التي سببتها العولمة. *"وهل يمكن لأنماط منظمة أن توجد وسط الفوضى الظاهرة؟"*[7] ، خصوصا وأنه قد انعكست هذه التطورات على الفلسفة (كضرورة معرفية تنتج المعنى) التي أصبحت غير ذات معنى، *"فانقلبت العقلانية المتفائلة والمتشددة لدى الفلسفة ذات الاتجاه العلمي إلى نقيضها، إلى*

---

[1] ديفيد هارفي، **حالة ما بعد الحداثة، بحث في أصول التغيير الثقافي** .ترجمة محمد شيا . (لبنان، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى ماي 2005) ص 303.

[2] المرجع نفسه، ص 251.

[3] Paul fayeraband, ***Against methode*** (London; New York.Verso,1980).

[4] Raymond Boudon, ***La Crise De La Sociologie***. (Genève, Droz, 1971).

[5] **العلوم الاجتماعية والنسبيتان**، ريمون بودون.ترجمة محمد مصباح .مجلة **إضافات** العدد 13 شتاء2011 (لبنان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية) ص 96.

[6] علي حرب ، **تواطؤ الأضداد : الآلهة الجدد وخراب العالم**، الجزائر العاصمة، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2008 .ص 24،25.

* **فوضوية Anarchism :** حركة غير بعيدة عن بعض اتجاهات ما بعد الحداثة ،ورغم انه كان هناك على الدوام مفكرون فوضويين، لكن الحركة لم تتميز إلا خلال القرن التاسع عشر.وفي مقابل الماركسية تقريبا .تميزت الحركة بعدائها لكل أنواع الأنظمة والسلطة والاستبداد وتحديدا لمفهوم الدولة، وضمت الحركة مفكرين وإصلاحيين من اليمين(غودوين) إلى اليسار (باكونين) مقتبس من : ديفيد هارفي، **حالة مابعد الحداثة**، ص 420.

[7] Scott London, **Understanding change: strategies for innovation and renewa**l. Stable URL . http://www.scottlondon.com/reports/change.html

لاعقلانية متشككة ومتشائمة"[1]. من هنا فالمهمة مزدوجة: مراقبة التفاعلات والديناميكية التي تحدث على مستوى الواقع، وبالمقابل، رصد التعديلات التي تحدث على مستوى المناهج والنظريات وهذا ما أوجد أكثر من نظرية فيه، تشمل العديد من العلوم كالانتربولوجيا، الاجتماع، الفلسفة التاريخ، القانون، الاقتصاد، الفيزياء، البيولوجيا، الكيمياء، والرياضيات، وإدارة الأعمال...

إنتقد أركون من جهة أخرى الدراسات المفرطة في التخصص والعاجزة عن فهم حركة المجتمع (العربية الاسلامية على الخصوص). يقول: "*إن الدراسات الانتربولوجية السوسيولوجية تعاني من صعوبات التوصل إلى الأرضية العلمية: أقصد أرضية المجتمعات المدروسة وذلك لأن الأنظمة السياسية تعارض ذلك...أقول ذلك ونحن نعلم أن المجتمعات المدروسة بحاجة ماسة إلى تداخل هذه العلوم كلها والى التفاعل فيما بينها والتحاور من اجل تشكيل صورة شمولية عن المجتمع لا صور جزئية متقطعة ومتجاورة إلى جانب بعضها البعض، ينبغي ان نخرج من نزعة التخصص الضيقة، هذه النزعة التي تعزل باحثي العلوم المختلفة عن بعضهم البعض، فلا يعودون قادرين بعدئذ على تقديم تفسير صحيح وشمولي لحركة المجتمع*"[2].

في هذا الإطار أي بعد فشل الرؤى الأحادية "وخيبة العقل الأسسي Foundationalist"، و"القانون"، و"النظام والانتظام"، هل يمكن الحديث عن نهاية النظرية؟ وهل يمكن التركيز على النظرية بينما هناك مشاكل عملية تستدعي إنتباهنا؟. يرى البعض أن النظرية ورغم نسبيتها فإنها لازمة لتحديد الإمكانات وإدراك الفجوات التي يمكن أن تصيب أي عملية تغيير، رغم إقتناعنا بالفوضى التي تحيط بنا وبتشابك الظواهر .

شرح كون هذا المأزق الذي يصادف العلم وافترض أن بداية التغيير في العلم تكون بحصول نظرة جديدة إلى العالم و"*أنه عندما تتغير البراديغمات، فان العالم نفسه يتغير معها، فالعلماء الذين يقودهم براديغم جديد يتبنون أدوات جديدة ومختلفة و ينظرون في أمكنة جديدة، وربما يكون الأكثر أهمية من ذلك أن العلماء يرون خلال الثورات أشياء جديدة ومختلفة عندما ينظرون، وبأدواتهم المألوفة، في أمكنة كانوا قد نظروا إليها من قبل ...إن التغير في البراديغمات تجعل العلماء يرون عالم بحثهم المنشغلين فيه مختلفا، ومادام لجوء العلماء إلى ذلك العالم لا يكون إلا من خلال ما يرونه ويفعلونه فقد نرغب في القول أنهم بعد حصول الثورة يستجيبون لعالم مختلف*"[3]. إن كون ورغم دفاعه عن النظرة العلمية للتغير وأساسية البراديغم* فانه كان يعي أهمية المتغيرات التي يمكن أن تطرأ عليه. وسيلهم نظام "**حل الأحجيات**"

---

[1] فرنر شنيدرس ،**الفلسفة الألمانية في القرن العشرين** ، ترجمة محسن الدمرداش. (القاهرة ،المشروع القومي للترجمة (833)، المجلس الأعلى للثقافة والفنون،2005) ص 164.

[2] محمد أركون، **الأصولية واستحالة التأصيل، من اجل تاريخ آخر للفكر الإسلامي**. ترجمة، هاشم صالح (لبنان، دار الساقي، الطبعة الثانية 2002) ص 297.

[3] توماس كون، **بنية الثورات العلمية** .ترجمة حيدر حاج إسماعيل (لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، سبتمبر 2007) ص 205.

* **البراديغم**: مصطلح طوره كون ف :" المصطلح ذو علاقة وشيجة بالعلم العادي وباختياره رميت إلى طرح فكرة أن بعض الأمثلة المقبولة من الممارسة العلمية الفعلية، وهي امثلة تشمل القانون، والنظرية، والتطبيق، واستعمال الأدوات – تقدم نماذج تصدر عنها تقاليد للبحث العلمي متناسقة منطقيا. فالأشخاص الذين يقوم بحثهم على براديغمات مشتركة يكونون ملتزمين بقواعد ومعايير الممارسة العلمية نفسها، ذلك الالتزام وما سينجم عنه من اتفاق ظاهري هما الشرطان الضروريان للعلم العادي. أي لنشوء واستقرار تقليد خاص من تقاليد البحث العلمي (**بنية الثورات العلمية** ، ص 64).

العديد من بعده أبرزهم ريمون بودون.

إن الظواهر الاجتماعية هي معقدة كما في جسم الإنسان، *"وأن المجتمع هو كائن حي ومعقد والذي تعمل فيه الأنظمة المتعددة والأنظمة الفرعية سويةً للحفاظ على الجماعة ودعم نموها وتطورها ،لكن هنا التشابه ينتهي، عندما يتعلق الأمر بتطوير ليس هناك إتفاق على المبادئ الأساسية التي تحكم الوظائف الاجتماعية"*[1]. لذلك فان التركيز الآن على منجزات العلوم الطبية الحديثة والفيزياء لتفسير مجمل التحولات الاجتماعية الطارئة، أصبح أمرا ظاهرا في العلوم الإنسانية : خصوصا وأن البعض من المساهمات الساحرة في نظرية التغيّر ليست تلك التي ترد من علم الاجتماع أو علم الأجناس البشرية وإنما من مجموعة انتقائية من الأساتذة الباحثين متعددو التخصصات في حدود الفيزياء الكمية ونظرية الأنظمة العامة، وكذلك بفعل تصاعد نظريات الفوضى والتعقيد وبفضل الفائزين بجائزة نوبل مثل الكيميائي إيليا بريغوجين (Prigogine Ilya) والفيزيائي موراي (Gell-Mann Murray) والاقتصادي كينيث أرَّاو (Arrow Kenneth) والذي ساهم مع آخرين في دراسة الأنظمة المعقدة وابتكر نظرة جديدة لفهم عدم الاستقرار والتقلبات التي تميز الظواهر العشوائية، سواء كان في الجزيئات على مستوى الأنظمة الحيوية، أو تلك التي تخص الأنظمة الاجتماعية"[2]. من هنا فإن ظاهرة التغيّر ليس ظاهرة أحادية بل تشمل كل العلوم والأبعاد، تنتقل من الكائن البيولوجي إلى الكائن الاجتماعي، ومن المحلي إلى العالمي، من البساطة إلى التعقيد، والعكس.

أمام هذا المأزق التنظيري بدرت العديد من المحاولات التي تريد التحكم في فوضى الاجتماعيات الحاصلة، وتقريب وجهات النظر. من بينها محاولات شبيهة بتلك التي أثارتها **حلقة فيينا**. فخلال ترأسه في (2004) American Sociological Association يدعو عالم الاجتماع ميشال بوراوو (Michael Burawoy) *إلى تبني "**علم اجتماع كلياني**" Holistic Sociology كفيل لتجاوز التناقضات المنهجية بين علماء الاجتماع عن طريق الحوار وفرق العمل الجماعية. وأصدر نداء إلى علماء الاجتماع للالتزام بأخلاقيات مشتركة، وتبادل أشكال الممارسة، وارتباط اجتماعي وحضاري أعظم، وأن نموذج الانضباط هو الذي له الإمكانية لتغيير علم الاجتماع عبر أسلوب يزيد صندوقه من المعرفة والفهم، ويساهم في خدمة المجتمع"*[3]. وهكذا حاول Burawoy الزيادة في انضباط علماء الاجتماع وحاول "**التخيل للمستقبل**" (Abbott 2007) و التأكيد على أنه: *"لا يوجد علم اجتماع عام بدون علم اجتماع محترف sociology professional" (Burawoy 2005). و يقوم علم الاجتماع الكلي على أربعة علوم: "علم اجتماع محترف، علم اجتماع نقدي، سياسة علم الاجتماع، وعلم الاجتماع العام. وكلها محاور تدور حول مقاربة "**الفعل الاجتماعي**"، ويعتبر أن علم الاجتماع العام حواري (تماما كما في نظرية الفعل التواصلي لهابرماس)، وتسعى المقاربة لفهم الناس كما يفهمون أنفسهم خلال المحادثة"*[4].

---

[1] Garry Jacobs, Robert Macfarlane, And N.Asokan , **Comprehensive theory of social developmen**t. stable Url: Http://Www.Icpd.Org/Development_Theory/Comprehensive_Theory_Of_Social_Development.Htm

[2] Scott London, **Understanding change: strategies for innovation and renewal**.

[3] Vincent Jeffries, **Redefining the nature and future of sociology: toward a holistic sociology:** in. **handbook of public sociology**, edited by Vincent Jeffries (USA, Rowman & Littlefield Publishers. 2009) p 1.

[4] Lawrence T. Nichols, **Burawoy's holistic sociology and sorokin's "integralism": a conversation of ideas**, in. **handbook of public sociology** . pp 27,29.

غير بعيد من بوراووي، حاول سوروكين Pitirim A.Sorokin قبله تقديم نموذج متعدد التخصصات، والذي يعتبر أهم منظور من النظرية الاجتماعية. قدم أعمال واسعة للجمهور الأكاديمي وللناس، يعتبرها فانسنت Jeffries Vincent أنها إحتوت النماذج الأربعة لعلم الاجتماع الكلي، وسماها النظام العلمي لعلم الاجتماع العام، أو **النظرية التكاملية** Integralism وفي نظرية المعرفة فإن: *"تحليل سوروكين للبنية الاجتماعية يتطلب أشكالا من التفاعل، وأسباب التضامن والنزاع، وأنواعا من العلاقات الاجتماعية، وخصائص للمجموعات المنظمة، والتباين الاجتماعي والتنضيد.(1937،1947)*"[1].

جهود أخرى تحاول سد الثغرات بين تصنيفات علماء الاجتماع، والعمليات المجتمعية الهائلة المتدفقة عبر الزمان والمكان، في هذا الصدد سيشكل التشكيك في استخدامات "اجتماعي" محور نظرية لاتور حول **الفاعل_المصدر*** Acteur-Reseaux بحيث يتوجب فيها على العلوم الإنسانية أن تعالج خمس شكوك (Uncertainties) هي:

1. *حول طبيعة المجموعات: هناك عدة طرق متناقضة لتحديد هوية الفاعلين.*
2. *حول طبيعة الأفعال: بمجرد أن نتبع مسار فعل معين، تقحم مجموعة من الناس لتحويل الأهداف الأولية.*
3. *حول طبيعة الأهداف: من الواضح أن قائمة الكيانات المشاركة في التفاعلات المجتمعية، هي أكثر اتساعا من التي نقر بها عموما.*
4. *حول طبيعة الأفعال المحصلة: تتضاعف التناقضات حول طبيعة العلوم الطبيعية ، وتصبح في علاقاتها أكثر فأكثر غريبة عن بقية المجتمع.*
5. *وأخيرا حول نوع الدراسات المضطلع بها تحت مسمى علوم "الاجتماعي"، بحيث لا يمكننا أن نرى بوضوح كيف أن العلوم الاجتماعية ستكون تجريبية."*[2]

الغرض من الإشارة إلى أزمة علم الاجتماع هو ربط العلاقة بين التغير الغير متحكم فيه من جهة على مستوى الواقع، والحركة الابستمولوجية التي تصادف العلوم من جهة أخرى، وأن النظرية مهما كانت صيغتها فإنها تملك القدرة على الاستمرارية والنقد والتجدد، وأن المعطيات قابلة لإعادة التفكير والتركيب، وأن ***"الحيرة"*** تقود إلى نظريات أكثر صلابة، تماما كما فعل أبرز الرواد من آرون إلى بورديو إلى هابرماس حين تحدثوا عن نهاية وظيفته وبالمقابل قدموا جهود مهمة لقراءة المجتمع. أما غرضنا المنهجي فيتمثل بتبيان نسبية النتائج التي توصلنا إليها الدراسة ونسبية الأحكام التي ممكن أن تصادفها. تماما كما

---

[1] Vincent Jeffries **The scientific system of public sociology: the exemplar of pitirim a. sorokin's social thought .**In**. Handbook of public sociology**, p 109.

[*] لذلك "فهدفه في سوسيولوجيا **الفاعل-المصدر** لا يتمثل في تثبيت (**الاجتماعي**) موضع الفاعلين المدروسين فيه، ولكن على العكس، السماح للفاعلين أنفسهم العمل على تركيب ال(اجتماعي) مكاننا." (Latour, Ibid,.P 46) وعن تقسيم الفئات الاجتماعية يشرح لاتور كيف أن هناك أشخاص يتم تصنيفهم تعسفا من قبل علماء الاجتماع وهم لم يأخذوا بعد أدوارهم في هذا الصنف، كما أن الصنف بحد ذاته مفتوح على ادوار أخرى غير معلومة .

[2] Bruno Latour , Ibid., p 34.

يكشف عبد الله حمودي في دراسته للمجتمعات المغاربية التقليدية حيث: *"أنه قد تجابه هذه التسويغات الفعل الفردي والجماعي، دون أن يعي الفاعلون بذلك، فالتجربة اليومية لكل الفاعلين ملتبسة جدا وقوامها مواقف وأحاسيس ورهانات، والدوافع الشفافة نادرة. إذ أن أي فعل بسيط يستدعي ما لا حصر له من فرضيات ومرجعيات وتعليقات، وإذا قبلنا هذه الملاحظة فإنه يمكن أن نعلن من الآن أن العوامل الموصوفة بالموضوعية، ووعي الفاعلين أنفسهم، لا يمكن أن تفسرها أحكام ابستمولوجية مختلفة إختلافا تاما في توجهها، ولذلك فالمشكل يكمن في إختيار العوامل التي ينبغي الاحتفاظ بها في تأويل الفعل "*[1].

وأمام هذه **الحيرة** أظن أنه زمن *" تتقدم فيه الأسئلة وينهزم الجواب"* على حد تعبير الشاعر والمفكر أدونيس، وأن الإجابة تفوق مقدرتنا وتبقى لأهل الاختصاص.

2-3/ السياسَـــــــة والتغيُّـــــر السياسي .

أمام التطور المجتمعي بمختلف أبعاده، فإن المنظومة السياسية تحمل في ذاتها إمكانية التغيُّر الذاتي، باعتبارها ترتبط بأفراد المجتمع، كما يمكنها أن تأخذ أشكالا متعددة، وتخصصات متوسعة النطاق. والتغير في البنى والمؤسسات السياسية ليس سوى ترجمة لأفعال ووعي الفاعلين المجتمعيين ودور الحركات الاجتماعية.

إلا أنه وقبل التطرق لأشكال التغيُّر السياسي، وجب التوقف عند مصطلح "**سياسي**"، وماذا يعني تحديد موضوع سياسي؟. بحيث أنه *"ليس من السهل على الموضوع السياسي بلوغ تعريف لا يكون تعسفيا بشكل مفرط؟ إن صعوبة الجواب تعود للميولة الدلالية الغير العادية لكلمة "**سياسة**". إن علم الاشتقاق اليوناني يدل على مرجع: إنها ما يمس المدينة (city) أي من خلال التوسع، وما يتعلق بحكم المجموعة. ولكن خارج نطاق هذا التثبيت، تنقل كلمة سياسة دلالات متنوعة للغاية، حتى من دون الحديث عن مفاهيمها، التي يمكن، حسب السياقات إما أن تخفض جدا من قيمتها، و بالعكس، تضفي عليها طابعا مثاليا جدا"*[2].

من هنا، فإن القضية الأساسية تكمن في مركز فهم "**سياسي**" (ستساعدنا هذه النقطة خلال دراستنا لسلوك الأفراد السياسي بين الوسط المديني والريفي، وفي كيفية تفسيرهم وتعاملهم مع البوليتيك Boulitique*) ف"سياسي" يرتبط بمصطلحات مثل: (الخطاب السياسي)، (علم السياسة)، (الثقافة السياسية)، (المهنة السياسية)، (الظاهرة السياسية) ولا يمكن بأي حال إجراء فصل تعسفي لمعنى "سياسي" للحصول على تعريفه العلمي، بالإضافة إن لكل مصطلح سياقه الاجتماعي، ما يجعل تعريفه

---

[1] عبد الله حمودي، **الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة** .ترجمة:عبد المجيد جحفة(المغرب، دار توبقال للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى2000) ص 35

[2] فيليب برو، **علم الاجتماع السياسي** .ترجمة ،محمد عرب صاصيلا (لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2 ،2006) ص 10

* **البوليتيك**: لفظ يستعمل في اللغة الشائعة الجزائرية للدلالة على نشاط متخصص في السياسة، أو تحيل إلى ميدان سياسي تتصارع فيه مصالح من يحتكرون السلطة .وأحيانا مفهوم احتقاري "سيدي انا لا اقول/امارس البوليتيك ". ويرجع الفضل إلى مالك بن نبي الذي ادخل المصطلح في الميدان الأكاديمي والدراسات البحثية.

ليست وظيفة علم السياسة وحده، وإنما كما يدعو آلان تورين (Alain Touraine) *"بضرورة تدخل علم الاجتماع"*.

هذه المتطلبات تفرض علينا تقريب الفرق بين السياسة كقيمة وخطاب فلسفي، و كتفسير للمعطيات الواقعية. وأظن أن أفلاطون في كتابه "السياسي" نبه ومنذ زمن بعيد إلى تلك الازدواجية، حين عرَّف "السياسي" كتطابق للرجل السياسي مع استتباع لعلم السياسة، وأن الحوار **سياسي**(Politicos)، يتعلق بالمدينة، وموضوعه العدالة. إنه نسج ماهر بين المعرفة والتطبيق، لذا فإن أفلاطون وأرسطو ربطوا من بعيد أن تعبير "سياسي" وبلغة اليوم يشير إلى نشاط متخصص لقادة أو جماعة عامة، أو بشكل خاص للدولة، التي تعتبر أن المسالة السياسية بصفة أساسية هي تنظيم القهر كما عرفها هوبس، لكن مع التنبيه إلى أن "السياسة ليست هي الدولة" (Marcel Prelot)، عكس ما ذهب إليه البعض في علم الدولة (Statology). أما في الدلالات العامية كما يعرض ذلك فيليب برو، فهي عموما :

–السياسة كحيز رمزي للتنافس بين المترشحين لتمثيل الشعب .

–السياسة كنشاط متخصص (مارس السياسة).

–السياسة كخط سلوك، أي تسلسل مواقف متخذة، وسلسلة متماسكة من أعمال وتصرفات (السياسة الحكومية...).

–سياسة عامة، وتعني النشاط المتعمد والمطبق على نشاط خاص.(السياسة الصحية، سياسة السكن...).[1]

إذن فمهمة تحديد المفهوم تنتقل إلى علم الاجتماع السياسي إذ أن:"علم الاجتماع السياسي يختلف عن النظرية السياسية في القياس، والإحصاء، ومنهج المقارنة وفيه الملاحظة ضرورية شأنها شأن العلوم الأخرى. وتعتبر الجغرافيا الانتخابية لأندريه سيغفريد André Siegfried أول البحوث التجريبية لهذا العلم، عن طريق سبر الآراء، وفتَح المجال واسعا أمام سوسيولوجيا كمية للسياسة"[2]. من هذا المنطلق جاءت أهمية تأكيدنا على النظريات في التغير السياسي لابد وأن تهتم بمثيلتها في التغير الاجتماعي، ومدى تشابه التنظيرات والأسس التي تعتمدها في تفسير الظواهر، وهو أمر نجده في تلك المقاربة التي قدمها مركز ONDA GRAF SAHEL والمعنونة ب "**التحول السياسي والاجتماعي**".

أما إذا تحدثنا عن التغير السياسي فإننا في الحالة هذه نأخذ بعين الاعتبار النتائج التي يتركها عمل "**السياسي**"، فالتغير السياسي كما وأنه ظاهرة ضرورية في العلوم الإنسانية، فإنه في ذات الوقت يشكل موضوعا دسما في خطابات السياسيين والإداريين، لذلك فهو برأينا يتخذ ثلاث مستويات:

1 على مستوى حرفيي السياسة والمسيرين: أي كيف يفهمون ويطبقون التغيير السياسي، وكيف يستعملونه في الخطاب السياسي والتعبئة الجماهيرية.

2 على مستوى العلوم الإنسانية: وكيف يتعامل العلماء والمصلحون مع النظريات التي تفسر أشكال عمل التنظيمات السياسية، وتصنيف التجارب ضمن قوالب نظرية.

[1] فيليب برو، المرجع نفسه، ص 17.

[2] Frédéric Lebaro, Ibid., p 92.

3 على مستوى العامة (الجماهير): وكيف ينظرون إلى الأعمال المنجزة التي يقوم بها الصنف الأول في إطار عملية التغيير، وما هي الفوائد المحصلة.

إن ميزة غموض السياسية تجعل وضع التغير صعبا فمثلا *:"بالنسبة إلى السياسي فالتغيير يقبل في الحالة التي يمكن فيها من دون أن يكون مرغما على وضعه حيز التنفيذ وفق عملية واضحة ومستمرة، فالسياسي ينخرط في التغيير من دون أن يخشى تحقيقه"*[1].(نستعمل التغيير في هذه الحالة للاشارة إلى الفعل التحصيلي*)*.

وعن السياسي عموما، التغير هو رؤية ذهنية وأكثر من تطور، هو هدف وعملية ونتيجة، *"فالبنسبة للسياسي حدود طعم التغيير تنتهي بمجرد هزيمة على المستوى الانتخابي، إذا كان هذا التغيير يتعارض مع مصلحة وكلائه، لكن يبقى من المألوف التحدث عن التغيير، أن يقدم نفسه على انه التجديد الذي سيحدث، من هنا تأتي المصالح التي يعرفها العالم السياسي باستخدامه الواسع لكلمة تغير ومترادفاتها، لكن دون اي محتوى محدد، ما يسمح بإعطائه نوعا من المرونة التي يحتاجها، تكون ضرورية، وتعطي الانطباع لدى الجماهير انه حيز التطبيق"*[2].

<u>نظريات التغير السياسي</u>: قبل عرض بعض النظريات التي عالجت التغير السياسي وجب الإشارة إلى أنها:

- نظريات كلية، لذلك تدمج الاقتصاد، التاريخ، المجتمع (كالماركسية مثلا)
- العديد من النظريات التي سنعرضها تنطبق عليها الأنماط التي وضعها بودون.
- باعتبار أن السياسة والسلطة ملازمة لتاريخ المجتمعات، فإن العديد قام بتفسير أشكال التحولات التي تطرأ على الأنظمة السياسية للمجتمعات الصناعية، وارتبطت بما يسمى عموما" دينامية الغرب" (Norbert Ilias, 1939) أهمها التصنيع والديمقراطية.
- النظريات تحاول وضع نظرية في التغير السياسي لما "**<u>يجب أن يكون</u>**"، أي بصيغته الايجابية، لذلك فهي نظريات في التنمية، خصوصا وأن اغلبها كان بعد الحرب العالمية الثانية، وفي مرحلة محو الاستعمار Decolonization وموجة تطوير العالم الثالث.
- بعض النظريات السياسية في التغير هي نفسها التي تشرح التغير الاجتماعي(بارسونز، سبنسر، ماركس...)

في مؤلفهما المشترك"من أجل علم الاجتماع السياسي" .يضع (جين بيار كوت، ومونييه Jean Pierre Cot & Jean Pierre Mounier)[3] تقسيمات للتغير السياسي وفق:

1-التغير السياسي كانعكاس للتغيّـــــر الاجتماعي.

2-التغير السياسي "بأولوية السياسية".

3-التغير السياسي باستقلالية السياسية (نسبية).

---

[1] Raymond Vaillancourt , **Le temps de l'ambiguïté, le contexte politique du changement,** (Canada, Presses de l'Université du Québec, 2006), p 57.

[2] Ibid., p 58.

[3] Jean Pierre Cot, Jean Pierre Mounier, **Pour une sociologie politiqu**e. Tome 1 (Paris, Editions Du Seuil.)

النمط الأول: فإن التحول الحاصل ليس في حقيقة الأمر سوى نتيجة التطورات المجتمعية، سواء كانت سلمية أو صراعية. أبرز التفسيرات هي الماركسية، وأوضح ماركس وإنجلز أن الأساس الحقيقي للظواهر السياسية يوجد في القاعدة، وأن السياسية تابعة. إن الأصول الرئيسية للتغير لا تتمثل في الأفكار والقيم، وإنما المؤثرات الاقتصادية هي "محرك التاريخ"، "*وأن تاريخ المجتمعات برمته حتى الآن هو تاريخ الصراع بين الطبقات*" .وأن "*البنية الاقتصادية للمجتمع هي الأساس الذي يشاد عليه أي بناء قانوني وسياسي، تستجيب له أشكال محددة من الوعي الاجتماعي*". و"يبقى مع ذلك أن ماركس كان يتصور أن السلطة السياسية منذورة، كقاعدة عامة، لضمان بقاء منظومة الاستغلال الاقتصادية، وهذه الأطروحة التي يطورها إنجلز عندما يفسر أصل الدولة بحرص الطبقات المسيطرة على تجنب خروج صراع الطبقات في حال تفاقمه، عن كل مراقبة، وتدميره للمجتمع بأسره. غير أن الاعتراضات التي توجَّه، هو أنه لا يمكن اختزال الإنسان في بعد المادي فقط. وإهمال التطلعات والمثل. والتصرفات التي تفرضها الحرية والكرامة.

في نفس السياق بحث سبنسر عن قانون التطور، بحيث أن التطور المجتمعي يقود إلى مجتمع فرداني أين تتقلص السلطة السياسية إلى أقصاها، فالتنمية الاجتماعية هي بمدى حرية الفرد ضد أي سلطة. ويضيف دوركايهم في (تقسيم العمل الاجتماعي) تأثير العوامل الثقافية على السلطة السياسية، وأن أصل السياسي هو الدين، الذي يستقل شيئا فشيئا ليشكل مؤسسته الخاصة. ومع بارسونز الذي يعتبر أن المنظومة الاجتماعية هي منظومة فرعية لمنظومة العمل وأن الأولى تحوي أربع منظومات: سياسية، تكيفية، إقتصادية، ومجتمعية، ويرى أن العوامل الثقافية تسهل التكامل الاجتماعي وهي الأركان الأساسية للسلطة السياسية.كما يرى غابريال ألموند أن المنظومة السياسية تتحدَّد بالتفاعل المجتمعي من خلال بنيتيها: البنى السياسية، والبنى الثقافية.

النمط الثاني: يرى أنصار هذا النمط، أن التحولات السياسية لا تحدث إلا من خلال الميزات التي تتصف بها النخب، أو المؤسسات. ويحاولون عكس الماركسية فصلها عن الاقتصاد والعامل الاجتماعي، و المخطط أدناه يبين أبرزها[1]. يتبين من خلاله أن مجموع النظريات لم تعالج سوى المجتمعات الصناعية، لذلك تستعمل المعجم الماركسي (طبقة، إنتاج، صناعي...) أما عن **النخبة السياسية** –وفقط– التي تحكم فهناك أن هناك تدخل واضح لرجال الأعمال وأصحاب البنوك في تحديد السياسات. إن بيرنهام لم يحدد لنا هل يوجد نفس شكل النخب في كل المجتمعات؟. هل هي واحدة في المجتمع الواحد؟.أما عن **التفوق الطبيعي** للرجل السياسي فهذا أمر غير وارد في النظم الديموقراطية أين تزداد الصفة التمثيلية، والترشح السياسي. إضافة إلى ما تفتحه موجة الثقافات الآن، وعلى المستوى الفردي النفسي، يتم مزاولة السياسة اعتبارا إلى المزايا والمكافآت والشهرة.

[1] تم وضع المخطط استنادا إلى المرجع: Jean Pierre Cot, Jean Pierre Mounier, **Pour Une**. **Sociologie Politique** p 99-149 .

الجدول (1–2) أولوية السياسة في عملية التغير السياسي.

التصنيفات	المنظرون	خصائص التغير السياسي
أ/ أولوية "السياسية"	ريمون آرون Raymond Aron	–دور التغيير السياسي في التغير الاقتصادي "ثورة روسيا" 1917. –رغم التشابه المجتمعي بين المجتمعين الاشتراكي والرأسمالي.الا ان المؤسسات السياسية هي المؤثرة على الاقتصاد. وهي من صنعت شكله.
ب/ من يحكم؟		–شكل النظام السياسي في المجتمع الرأسمالي راجع لإرادة المخططين السياسية.
1–النخبة	←	قانون التفوق الطبيعي(إن ما يميز النخبة عن الجماهير هو التفوق الطبيعي، السيكولوجي لشخص ما عن الآخر، ما يجعل هناك اختلاف بين الأقوياء والضعفاء. من يحكم ومن يطيع.)
2–النخبة والحراك السياسي	باريتو Pareto ←	التفوق بالمكانة: مجموعة المسيرين Managers تقوم بتسيير مؤسسات الدولة السياسية والاقتصادية.
	بيرنهام Burnham ←	الطبقة الحاكمة: ليس التغير من طبقة واحدة ولكن من خلال علاقات القوى المسيطرة.
	ريسمان Reisman	ميلز Charl Milles: هناك ثلاث مؤسسات تشكل سلطة الدولة ،تتعاون فيما بينها، ومسؤولة عن كل السياسات(المؤسسة السياسية، العسكرية، الصناعية).
	موسكا، باريتو Moska & Pareto ←	الحراك الاجتماعي مرتبط بالحراك السياسي. باريتو: الحراك من خلال حركة النخبة مع معارضيها وهم(التقليديون الذين يرفضون التحديث، النخب الاقتصادية التي تخشى الإصلاح الاقتصادي، sous–prolétariat، الجماهير الشعبية).
3/ التغير السياسي للأنظمة الغربية	آرون ريمون ←	خاصية الأنظمة الغربية أنها دستورية تعددية، تضمن الحرية والحقوق، ونتيجة الفساد تقوم الثورات إما بالدخول في العنف، أو الدخول في السلطة، أو هزيمة عسكرية على يد الخارج.

النمط الثالث، استقلالية "السياسية": يحدد دانيال غاكسي في كتابه **(محترفوا السياسة:** Daniel Gaxi Les Professionnels De La Politique Puf,1973.**)** بأن السياسة ظهرت بظهور المؤسسات السياسية، ويختص بها أفراد، ويمكن تدعيم الشواهد بالتاريخ الأوروبي. والسياسة هي نظام إدارة السلطة داخل المؤسسات: *"فالمؤسسة السياسية في علاقة تبادل، وفي داخل النظام السياسي مجموعة من الأشخاص والموظفين، ويتم توزيع الخيرات بين الحلفاء والأجهزة، ومع الطبقات الاجتماعية التي تؤمن لها الحماية والامتياز، أين المؤسسة السياسية تحتاج إلى الصراع التنافسي لأجل السلطة"*[1]. هناك مؤسسات سياسية تتطور خارج النظام الاجتماعي، ويظهر السياسيون، وتخصص الوكلاء، ويتم **حرفنة السياسة** Professionalisation de la politique. إن تاريخ الملوك والحكام في أوروبا يشير إلى دور المؤسسات الملكية، والعرش، أو التاج في وضع القرارات المجتمعية الحاسمة (الحرب، الدين، التوسع،...). إن المؤسسة السياسية كبينية لتنظيم التفاعلات قانونيا، تستمر بفعل المهنة السياسة التي يقوم بها أشخاص تدفعهم المصالح، والموارد السياسية الأولية. لكن هل هذا يعني أن يختزل التحول السياسي في عمليات بيروقراطية؟... إن وجهة النظر هذه تتعارض مع ما يسميه فلورباييه ***"وهم أسطورة السياسة"***. *"فإذا كانت أسطورة السياسة حقيقية، وإذا كان مجموع السلطة مركزا بين أيدي المسؤولين*

[1] Ibid., p 153.

السياسيين، يكفي الاستيلاء على السلطة السياسية لتغيير المجتمع، لا يتغير المجتمع بمرسوم، إذ أن السلطة مركزة في مجالات متعددة ...إن قوة المصالح المالية بشكل خاص هائلة، إذ أنَّ قرارات المستثمرين تلعب دورا في توجيه الوضع"[1].

يدخل ضمن هذا النمط نظرية **الدافع الديموقراطي**، والتي تركز على المنظومة السياسية ودورها في تقسيم السلطة، وتحقيق العدالة الاجتماعية والحرية الإعلامية وانفتاح الأسواق، والتغير الحداثي المستمر. وذلك بما تتيحه للأفراد من الحرية والاستقلالية في التعبير عن أفعالهم، وتنظيمها وتنظيم المجتمع بالأسس القانونية الكفيلة بإحداث التغير السلمي والتدريجي. ترتبط هذه النظريات في جزء كبير منها بنظريات الثقافة، بحيث تركز على مدخل **الثقافة السياسية** و**التثاقف** في تحديد الوعي السياسي اللازم لأي عملية إنتقال ديموقراطي.

[1] مارك فلورباييه. **الرأسمالية أم الديمقراطية: خيار القرن الواحد والعشرين**. ترجمة، عاطف المولى (الجزائر: منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2007)، ص45.

الفصل الثاني:

خصوصيـــات المدينة والـــــريف الجـــــزائري.

لا يزال هيكل البناء الاجتماعي الجزائري متفاوتا في مبناه بين الوسط الريفي والوسط الحضري، ذلك أنَّ كل ثقافة هي نتاج المكان الذي تتحرك فيه، وتغيّرها يكون بمقدار التفاعلات التي تثيرها مع ثقافات من أمكنة أخرى، والقدرة على التجديد الداخلي هي الضمان الوحيد لعملية التثاقف هذه. وإن كان الريف الجزائري شهد تدميرا مبرمجا خلال الحكم الاستعماري، فهو لم يظفر بعد بالفرصة الاقتصادية والسياسية اللازمة التي تضمن له شروط التنمية والتحوُّل، ويزيد الخطاب العلمي والسياسي حول "تجاوز" تقليدية الريف والانخراط قسريا في لعبة الحداثة أحد العوامل البارزة في إستمرار محاولات الزحزحة لأنساق ثقافية تكرَّست عبر التاريخ في نظم قيمه وأنماط عيشه، والسؤال المطروح: هل تم بالفعل تحديث المدينة ثقافيا؟ وهل لا يزال الريف تقليديا؟ وهل تم تنحية المؤسسات السياسية التقليدية بالريف لصالح سلطة عقلانية تسهر عليها الدولة؟. نحاول في هذا الفصل التعرف على بعض خصوصيات الريف والمدينة وعلاقاتهما الجدلية بالسلطة.

1- الوسط الريفي : مِن سياسات تفكيك البنية نحو تفكيك الخطاب.

1-1/ تعريف الريف: تعدد المناهج وخطَـــــــــاب احتقاري.

لا يوجد على مستوى المناهج والتقنيات ومفاهيم علم الاجتماع تعريف واحد لدراسة الريف، يكون موضوعيا وإجرائيا، إضافة إلى تداخل مصطلح "**ريف**" مع العديد من المصطلحات المشابهة مثل: قروي، زراعي، فلاحي، بدوي. وتزيد الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية هذا الخلط*، بحيث يستعمل مرات كصفة ومرات أخرى ك"اسم".

من بين التعاريف المعجمية، تعريف TLFI للريف (Rural)[1]:

[نتكلم عن شيء] ينتمي إلى الحقول، متعلق بالحقل، من الريف، مترادفات: ريفي، قروي، فلاح، قرية. وفي الاقتصاد: إستغلال، المجتمع الريفي، ملك، السكن الريفي، النزوح الريفي، الهندسة الزراعية. "في المناطق الريفية فان كل شيء هو ثمن عرق الجبين، أين يتصلب القلب كما اليدين، بسبب قوة التعب، يتم التكفل بالآباء والأجداد، ويمتلكهم شعور أنهم غير نافعون".

[نقيض، الطريق القروي (خاص بالفلاح)] طريق ريفي، طريق ينتمي إلى الملكية الخاصة آو العامة للبلدية، هو مخصص لمصالح البلدية فقط، يمكن أن تضم هذه الطرق طرق الواصلات الكبرى، طرق الفلاحين المعتادة، وطرق البلدية، وباختصار الطرق الريفية هي الطرق العامة .

[القانون الزراعي] : مجموعة من القوانين تتعلق بالملكية العقارية في المناطق الريفية، أو اختصاص من علم الحقوق يعرف بالقانون الزراعي...

[نتكلم عن أسلوب حياة أو طريقة عمل] صفات من الريف، أشخاص من الريف، سلوك قروي، أساليب قروية...

[نتكلم عن دراسة، أو فرع معرفي] أين موضوع الدراسة يتعلق بالأشياء أو الأشخاص في الريف، (تطورت الجغرافيا الريفية والعلم الاجتماع الريفي في معاهد العلوم الزراعية).

أما الريفية (Ruralité) فهي وضعية الأشخاص والأشياء في الريف، مميزات/خاصية ما هو ريفي (ماذا تعني الريفية؟ إنها التقاليد الناتجة عن عمل الحقول، عن نظامها وعن منهجها.

يتبين من خلال هذه التعريفات أن مصطلح الريف ذو استعمالات متعددة، فهو يشمل الجغرافيا والسلوك والثقافة، أو النشاط الاقتصادي، إضافة إلى أنه يشير إلى إقليم يخضع لتنظيم إداري تقوم به الدولة (قانون زراعي، طريق بلدي). إن تعريف الريف لم يكن مستقلا، وإنما من خلال الثنائية ***ريف–حضر***، وتم اعتماد هذا التمييز لفترة طويلة، ولكن وفق هذه النظرة فإنه لا يوجد سوى تصنيفين رئيسين للإقليم، بحيث تعريف الأول يقود إلى الثاني، وبالتالي إعطاء تعريف للريف يرتبط بتعريف الحضر. ومن هنا يؤكد العديد

* ليس هناك في اللغة العربية فرق بين قروي أو ريفي، إذ يستعمل المشارقة والمغاربة (المغرب الأقصى) عادة مصطلح قروي (كعلم الاجتماع القروي)، وهذا التشابه واضح في قواميس الترجمة (مثلا المنهل ، المورد ...) وعليه فإننا سنستخدم خلال هذه الدراسة المصطلحين: إما لتجنب التكرار، أو لنقل المقتبسات كما ترد في مراجعها الأصلية. نقطة أخرى وهي أن اللغة الفرنسية خاصة واللغة الانجليزية تتضمن مترادفات لمصطلح ريفي(Rural) أوسع من نظيرتها في اللغة العربية.

1 Voir Adress Url : http://www.cnrtl.fr/lexicographie/rural

على أن الحضر جد متنوع وغني لا يمكنه أن يخضع لتصنيف واحد، وكما تقول مزحة H, De Farcy حين يتناول إحدى التعريفات *إذا كان "الريفي هو ما ليس حضري، وإذا عرفنا الحضر هو ما ليس ريفي، فإننا سندور في حلقة مفرغة"* [1]، ويربط الاقتصاديون مفهوم الريف بالنشاط الزراعي والمزارعين، *"ففي مجال عصرنة الزراعة فان مفهوم ريفي كان يعني زراعي، والتي حاولت ربط العمل السياسي للفلاح بمفهوم الثورة الزراعية(هنري مندراس)* "[2].

قبل شرح مختلف المحكات التي تفرق بين الريف والحضر، وجب الإشارة إلى موقع المجتمعات الريفية في علم الاجتماع، والذي خصص فرعا معرفيا اصطَلح عليه"**علم الاجتماع الريفي**"، وكيف ينظر إلى أدوار الفلاحين في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، وعن ميزة هذه النظرة وأحكامها وتصنيفاتها. لقد اهتمت كتابات علم الاجتماع بخصائص المجتمعات ضمن ثنائية الريف والحضر. نجدها منذ أن ميَّز ابن خلدون بين البدو والحضر واختلافهم في **'المعاش'**، " *فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد إلى البدو* "[3]. أما الحضر، ومعناه الحاضرون: *"فمن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع، منهم من ينتحل التجارة. وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو* "[4]. يصنف دوركايم المجتمعات الريفية ضمن المجتمع التقليدي الذي يتصف بالتضامن الآلي Mechanical، أما في رأي شارلز كولي Cooley فإنه يتميز بالعلاقات الأولية وعرف لوري نلسن المجتمع الريفي بأنه ذلك الذي ترتفع فيه درجة الألفة Intimacy والعلاقات الشخصية الغير رسمية، كما تعد الزراعة هي المهنة الأساسية للسكان[5].

"ظهر علم الاجتماع الريفي في الولايات المتحدة في 1907، لمحاولة التكفل والنهوض وتنمية المجتمع الريفي الذي تأثر بالحرب الأهلية (1880)، من خلال التركيز على القضايا الريفية كبعد من السياسة الاجتماعية "[6]، إلى أن نيوباي* Newby يرى *أن **فرديناند تونيز** ferdinand Tönnies هو الأب المؤسس لعلم الاجتماع الريفي، بل ويصفه بأب دراسات الجماعة (Bell And Newby 1971)، لأنه كان يؤمن دائما أن الجماعات الحقيقية هي التي توجد بالريف(Newby 1977)*"[7] ويعتبر كتاب تونيز (الجماعة والمجتمع Gemeinschaft Und Gesellschaft) نقطة إنطلاق أساسية في أي مجهودات

---

[1] Piatier A., Madec J, **Comment et pourquoi définir un espace rural**. In: Économie rurale. N°118, 1977. pp 3-13.
http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/ecoru_0013-0559_1977_num_118_1_2474

[2] Mischi J. et Renahy N., **Pour une sociologie politique des mondes ruraux**, *Politix* 2008/3, nº 83 , p.11

[3] ابن خلدون (عبد الرحمان ابو زيد ولي الدين)، **المقدمة**. (لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر،2004) ص 125.

[4] المرجع نفسه، ص 126.

[5] محمد الجوهري (وآخرون)، **علم الاجتماع الريفي** (الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2009) ص 87.

[6] Sam Hillyard, **The sociology of rural life** (USA (New York), Uk (oxford) Berg Publishers, First Published 2007) ,P13

[*] هوارد نيوباي [Howard Newby]: كان مستشار جامعة Southampton، وأستاذا لعلم الاجتماع في جامعة Essex وأستاذ زائر في استراليا وأمريكا، أستاذا لعلم الاجتماع وعلم الاجتماع الريفي بجامعة Wisconsin-Madison، في 2001 أنهى عمله لتجربة عامين كرئيس لجامعات المملكة المتحدة. نشر عدة كتب حول **التغير الاجتماعي بالوسط الريفي في بريطانيا**، اشتغل 8 سنوات كمفوض للتنمية الريفية ، من مؤلفاته (**عامل مختلف: دراسة حول العمال الريفين في شرق انجليا**)، **(ارض خضراء و رائعة: دراسة في التغير الاجتماعي في الريف الانجليزي** [1980])، **(الريف في تساؤل**[1988])، **(مشكلة علم الاجتماع** [1995]).

[7] Sam Hillyard, Ibid,. p 16.

تنظيرية حول الريف.

تقوم نظرية تونيز على مصطلحين هما الجماعة Gemeinschaft والمجتمع Gesellschaft، وعلى أساس نقد دور التصنيع في تشويه بنية الجماعة. ليست هذه النظرية محور دراستنا لكن يكفي أن نلخص أهم الاختلافات التي تميّز الجماعة عن المجتمع، مع الأخذ بعين الاعتبار تحذير نيوباي من ربط الجماعة بالريف والمجتمع بالمدينة. أو التقليدي بالريف والحديث بالمدينة، كما جرت تقاليد علماء الاجتماع بعد التضامن العضوي والميكانيكي لدوركايم، ولا نعرف بالضبط كيف تم موضعة العلاقات الإنسانية جغرافيا؟. وسنوضح لاحقا كيف استطاعت هذه الثنائية أن تنتج خطابا خاصا حول الريف والمزارعين.

الجدول (2–1) : تونيز (1955) مصطلحا الجماعة والمجتمع [1].

الجماعة	المجتمع
جماعة.	مجتمع/اتحادات/تنظيمات
واقعي، حياة عضوية .	الأفعال تبدو كوحدة ظاهريا
الأفعال تبدو كوحدة ظاهريا.	وهمية وبنى ميكانيكية
حميمية، والحياة معا حصرية وخاصة.	حياة عامة – هي العالم نفسه
مقيد به منذ الولادة .	يذهب إليه احد على انه بلد غريب
عضوي.	ميكانيكي
ينبغي أن يفهم على انه كائن حي.	موجود في عالم العمل، السفر أو العلوم التجارية.
	مؤقت وسطحي.
قديم.	جديد إما كحالة، كاسم، او كظاهرة.
ما قبل صناعي.	ما بعد صناعي.
	مسؤول عن تدهور "الجماعة" في العالم الحديث.

مع ذلك يرى نيوباي أن شرح تونيز استعمل بشكل خاطىء، *"والخطر في تفسير مساهمة تونيز يكمن في استعمال الروابط الجاهزة بين مصطلحي الجماعة والمجتمع، وعلاقاتهما بالوسط الريفي أو الحضري، إن التعيين التلقائي لهذين المفهومين على طول سلسلة من الريف والحضر يؤدي إلى مغالطات. فتونيز لم يشر إلى أي جماعة اجتماعية بعينها (سواء ريفية أو حضرية) عندما كتب (Gemeinschaft und Gesellschaft) حدد أشكال الاتحادات الإنسانية (Lee and Newby 1983) ، بالأحرى، كان تونيز حريصا على القول بأنه يمكن العثور على كلتا العلاقتين في البيئتين الحضرية والريفية، ويركز على أن فهم كيفية شعورنا بالمكان يعتمد على التنظيم الاجتماعي، ويعتبر هذا التحليل الهام كأحد أقدم أشكال انخراط علم الاجتماع وكشفه عن مثل هذا الاتصال(Lee and Newby 1983) . من المهم أن نعرف أن مفهوم تونيز للجماعة، على الرغم من أنه تضمن موقعا، يذهب بعيدا إلى أبعد الحدود ليشمل نوعا من العلاقة – التي يمكن على الأقل– أن تميز المجتمع كله"*[2].

وبارتباط النشاط الإنساني بالمكان، تأكد الاهتمام بالريف مع تبلور الجغرافيا البشرية، وعمقته المدرسة الإقليمية في فرنسا (برين، فيدال دي لابلاش Vidal De La Blache) وفي ألمانيا (أعمال ماتيسن). بحيث اهتمت بالعمران الريفي وأنماط السكن. لينتقل العلم إلى الدراسات السوسيولوجية

[1] Ibid,. p 7.
[2] Sam Hillyard, Ibid,. p 14.

والاقتصادية التي تبحث أشكال ونمط العيش في المجتمعات، وعن طبيعة العلاقات والأنشطة الاقتصادية، وحول تفضيل السكان لنوع من الأقاليم دون سواها، وبفضل ظهور ممارسات مجتمعية بين الجغرافيتين. وكذا بفعل التكنولوجيا والتوسع العمراني مع احتدام النقاش حول إشكالات التهيئة والجهوية وضبط المجال وحاجات المدينة المتزايدة، والخصوصيات الثقافية والممارسات المجتمعية المتمايزة لدى هؤلاء السكان. لذا أصبحت التطورات والتحولات التي يشهدها الوسط القروي موضوع علم الاجتماع الريفي الذي اعتبر ك"**تطبيق**"* لعلم الاجتماع العام.

وعن آبائه المؤسسين في فرنسا فيمكن العودة إلى الكتابات الأولى التي اهتمت بعلم الاجتماع الريفي في فترة ما بعد الحرب، *"إن بحثا سريعا في هذا المجال يؤدي إلى نتائج مثيرة، فأول أثر لدرس عثر عليه في "علم الاجتماع الريفي" يوحي إلى أن معهد الدراسات السياسية في باريس هو رائد هذا التخصص المعرفي. مفاجآت أخرى: هذا الدرس أسند في البداية إلى عالمي جغرافيا(1947-1949)، ثم إلى جون ستويتزل(1951-1952) Jean Stœtzel ، قبل أن ينتقل إلى هنري مندراس(Henry Mendras). إن "منسوخات" دروس هنري مندراس وجون ستوتزل(خصوصا 1963,1964) تبدأ دوما إلى الإشارة إلى أن علم الاجتماع القروي هو امتداد لعلم الاجتماع العام And Mendras :1956-1957.1967-1968 Stœtzel : 1951-1952 –"*[1].

يطمح علم الاجتماع الريفي لإدماج الأبعاد السوسيولوجية للنشاط الفلاحي وللعالم القروي، يتساءل عن هذا التحديد **بول باسكون:** "*هل هذا يعني أننا إزاء علم اجتماع "طبقي"؟، فرع يخص جماعة الحضر، وآخر للقرويين؟ إن علم الاجتماع القروي يهدف إلى معرفة المجتمع القروي وجعله مفهوما، وهو علم اجتماع الطبقات المستغَلَّة، والجماعات الأضعف ثقافيا أو التي لا تملك وسائل تعبير مهيمنة. إن علم اجتماع هذه العوالم هو علم اجتماع ينجز تنقيلا للمعلومات. وأن علم الاجتماع القروي يستخلص ويبلور ويصدِّر، من القروي باتجاه الحضري، معرفة عن الغرابة القروية تطمح إلى أن تكون مفهومة. وبالتالي فإن عالم الاجتماع القروي هو ناقل أكثر منه محلِّل*"[2]. لكن وفق تحليل باسكون تتبادر إلى الذهن التساؤلات حول دور علم الاجتماع الريفي، هل يهدف فقط إلى فهم العوالم الريفية (التقليدية) بغية تقديم نظرة حول التغيير الاجتماعي نحو العوالم الحضرية (الحديثة)؟، أم فقط محاولة إدماج طبقة القرويين في العملية الإنتاجية الصناعية؟، لنصل بذلك إلى نقطة الانطلاق الأولى ألا وهي الحضر مركز أول لأي عملية تحليلية حول العمران أو

---

* يؤكد ذلك ميشيل روبير (Robert,1986,5-6) عندما يكتب: "سيحدد علم الاجتماع الريفي **بحقل تطبيقه**، أكثر مما سيحدد بحقل نظري خاص به، ومن هذا المنطلق يمكن مقارنته بعلم الاجتماع الحضري الذي يتبادر إلى ذهننا مباشرة، لكن علم الاجتماع القروي ليس نقيضه، فالتخصصان معا لم يتأسسا في تضاد مع بعضهما البعض، إنهما يقسمان المجال وسكانه، وكل واحد منهما يتبع مجاله النظري الخاص" ورد في : مارسيل جوليفي، **الرسالة الحالية لعلم الاجتماع القروي**. ص 72.

[1] مارسيل جوليفي، **"الرسالة الحالية" لعلم الاجتماع القروي**، ترجمة: حسن احجيج .(مجلة **إضافات**، العدد14 ربيع 2011 (توزيع مركز دراسات الوحدة العربية) ص 71. والنص الاصلي باللغة الفرنسية :

Marcel Jollivet, **La « vocation actuelle » de la sociologie rurale**.
Stable Url: http://ruralia.revues.org/6?&id=6

[2] بول باسكون، **ما الغاية من علم الاجتماع القروي**، جريدة المناضل الالكترونية الأحد 29 مارس 2009 . نقل النص عن الفرنسية: **مصطفى المسناوي** عن **"المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع"**(B.E.S.M) ، العدد المزدوج: 155-156 (خاص بـ **:بول باسكون**) ص ص 59-70.

النشاط الاقتصادي أو أشكال السلوك ...

في (**رسالته الحالية لعلم الاجتماع القروي**) يصر **مارسيل جوليفي** على تعقيد هذه العوالم، والتي تتطلب تداخلا معرفيا للكشف عنها، يقول: "*بما أن القرويين بشر كالآخرين، فإنهم موضع اهتمام كل العلوم الاجتماعية ومع ذلك فإنهم يعشون في وسط خاص يستلزم من الباحث أن يكون متخصصا، ويقتضي أحيانا إشكالية مختلفة، فعالم الاجتماع القروي كالاثنوغرافي، ينبغي ل أن يكون عليما بمناهج وتقنيات كل العلوم الاجتماعية الأخرى اللهم إلا إذا كان يضمن مشاركة فريق مكون من تخصصات مختلفة (Mendras1958). يعتبر ذلك اعترافا لجيل ما يطلق عليه التكامل المعرفي للقرويين (Ruralistes)، وتطمح مقاربة القرواني إلى إدماج كل أبعاد الاجتماعي، الزمن والمجال، المحلي والكوني، يتعلق الأمر بمقاربة يمكن نعتها بالمقاربة الكلية (Holiste)*" [1].

لا تهتم هذه الدراسة بمساءلة علم الاجتماع الريفي بالنسبة إلى علم الاجتماع العام، أو تلك المساءلة السوسيولوجية التي تبحث في عرض جهود المختصين في وضع نظرية كلية عامة في علم الاجتماع الريفي صالحة لتفسير كل المجتمعات، كما أراد ذلك هنري مندراس، وإنما التأكيد على أن أزمة تجديد المفاهيم في هذا الفرع المعرفي ترتبط بأزمة علم الاجتماع العام في دراسته لل"اجتماعي" وتصنيفه للمجتمعات، وقد وضحنا في الفصل الأول الخطوط العريضة للشكوك التي يبديها برينو لاتور كمنطلقات لتجاوز مثل هذا التعثر. وإذا أصبحت "**العلوم الاجتماعية في تحدي العالم الريفي**" كما يشير إليه عنوان كتاب برنار كايزر Bernard kayser "*فإن هناك مستقبل لعلم اجتماع الريف، على أن تؤكد أي سوسيولوجيا على أهمية الفاعل الاجتماعي، وتعتبر التفاعلية كمنهج يشتمل على المساهمة المابعد حداثية القيمة في علم الاجتماع من أجل الحد من سذاجة الواقعية، لكن مع شرط احتفاظها بالانضباط النظري وصقل التراكم المعرفي، ويمكن تحقيق هذا التقدم من خلال تطبيق انعكاسي معاصر لتقاليد البحوث الاثنوغرافية، والذي يسمح بتحليل السلطة والصراع على المستوى التفاعلي والمؤسسي–المتوسط*" (Hillyard 1999, 2004) [2]

<u>خطَـــــــاب حول الريف ومكوناته:</u>

إن مفهوم ريف ***ضبابي***، وهو يمثل الوجه السلبي للمدينة وكان يتم الإشارة إليه كزراعي. أو يعنى به مجتمع بدائي و تقليدي مغلق، ذو ثقافة خاصة ومحافظ. ضمن ما يمكن تسميته **<u>خطاب حول الريف</u>** – **احتقاري غالبا**– أكثر منه حقيقة علمية. إضافة إلى مكونه الأساسي وهم المزارعون، "*ويطرح علم الاجتماع القروي صعوبات إضافية. فالقرويون مقهورون ومبتورو الأطراف في المجتمع الحاضر، والثقافة المهيمنة هي، في الوقت الحالي، ثقافة المجتمع الصناعي والمديني، الرأسماليّين عندنا. ويحسّ سكان البادية، وفي كل سجلّات وجودهم، بواقع استغلالهم من طرف عوالم مجتمعية أخرى. [كما أن] أكثر رجال السياسة تقدما لا يهدفون سوى إلى جعل هؤلاء يلعبون أدوارا محددة بشكل مسبق، خارجهم، ضمن سيناريو عام ليسوا فيه*

[1] مارسيل جوليفي، ص 72

[2] Sam Hillyard, Ibid,. p 155.

سوى قوة مكمّلة وسلبية ينبغي الإطاحة بها"[1]. بناءا على ذلك فان العلاقة بالمركز من خلال علاقات السلطة بالمعرفة كما يشرحها ميشال فوكو فان كولونا في كتابها **(علماء ومزارعون: العناصر السوسيو-تاريخية حول الجزائر الريفية)** تبين انه *"في معظم الحالات التاريخية والحقول الثقافية يتم تعريف المزارعين سلبا من طرف أولئك الذين يمتلكون السلطة، سواء على المستوى الصريح أم الضمني. قد تساعد هذه التعاريف على انتهاج سياسات النهب بدل التطور، يمكننا استعمال بدون حرج منطوقات العلوم الاجتماعية في الخطابات السياسية أو بالاستعمال الشائع الذي يصف الريف كحالة بدائية، أو على الأقل كحالة ناقصة، كمجال للاعقلانية الاقتصادية أو الندرة والجهل والمحافظة الاجتماعية"*[2]. كذلك *"فإنه يحيل إلى* ***الزمن:*** *قديم، ما قبل صناعي، تقليدي...أو أنه عبارة عن* ***"مرقد"*** *بحيث أن الأنشطة الاقتصادية تتركز في المناطق المجمعة"*[3] ويعرف (J.Hite 1997) *"الاقتصاديات الريفية على أنها فضاء ذو كثافة سكانية ضعيفة، فقيرة نسبيا ومتخصصة، ومحافظة إقتصاديا"*[4].

تبرز هذه النظرة الاحتقارية للريف من خلال النموذج الانقسامي الذي يستخدمه الانتربولوجيون لعل أبرزهم دراسات **غيلنر** حول المجتمعات المغاربية. *"فقد عقد تقارنات/تماثلات بين الانقسامية ونظرية العمران البشري، وقال في هذا الصدد: "في خطاطة ابن خلدون، يوجد هناك أولا وقبل كل شيء،* ***المجتمع المحلي*** *المتماسك، والريفي الساذج البسيط القادر على إدارة نفسه حيث يتداخل ولاء أفراده القوي بعضهم لبعض، وانصهارهم في المجتمع المحلي الذي لا توجد فيه سلطة مركزية (غيلنر 2000)"*[5]. واشتهر بنظريته أن أهل المجتمعات القبلية وهي السيبة (ذو سمات ريفية بالأخص) ترفض السلطة المركزية (الدولة/المخزن). لذلك يتم وبشكل آلي لدى أهل الاختصاص معارضة السلطة المحلية بالسلطة المركزية التي هي بطبيعة الحال مدينية أو عمرانية بالتعبير الخلدوني.

تظهر النظرة الدونية للتركيبة الريفية والبدوية للمجتمع الجزائري والمغاربي بصفة عامة في كتابات السان سيمونيين أبرزها مقالات ماركس وانجلز عن ركود التكوينات الاقتصادية لما يسمى"**العالم الشرقي**"، *"بالنسبة لماركس فإن الريفيين ليسوا طبقة وفي معظم الحالات ليسوا طبقة ثورية، وحدها ولأسباب مختلفة تشكل البروليتاريا والبرجوازية طبقات ثورية"*[6]، أما سياسيا فان بروز طبقة الفلاحين على المسرح كان فقط بعد ثورة 1917 وبعدها الثورة الصينية [7]. في نفس السياق يقدم انجلز فرضية النهب التطهيري للمدينة على

---

[1] بول باسكون، **ما الغاية من علم الاجتماع القروي.**

1 Fanny Colonna **, Savant paysans: éléments de l'histoire sociale sur l'algérie rurale** (Alger, OPU 1987), PP 21,22.

[2] Lopez A. **Le monde rural face aux villes**. In: Économie rurale. N°178-179, 1987. p76.
Stable Url :
http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/ecoru_00130559_1987_num_178_1_3823.

[4] Schmitt Bertrand, Goffette-Nagot Florence**. Définir l'espace rural? De la difficulté d'une définition conceptuelle à la nécessité d'une délimitation statistique**. In: Économie rurale. N°257, 2000. p,43.
StableUrl :
http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/ecoru_00130559_2000_num_257_1_5180

[5] محمد مصباح. **الانتربولوجيا الانجلوساكسونية في المغرب: تقييم الأطروحة الانقسامية لغيلنر**.(لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة **إضافات**، العدد 14.ربيع 2011)،ص 155.

[6] Fanny Colonna ,P 23.

[7] Ibid. , p 24.

يد البادية، أي نهب الرحل للحضريين المستقرين يقول: *"إن الحضريين، وقد أصبحوا موسرين ومترفين يتراخون عن احترام القانون، أما البدو الفقراء فينظرون بحسد إلى هذه الثمرات واللذات، فيتَّحدون تحت قيادة نبي هو المهدي لمعاقبة الكَفرة وإقامة الشرائع الدينية والعقيدة الحقة ثم الاستيلاء على كنوز الكفار مكافأة لهم على ما قاموا به، وعلى رأس كل مائة سنة، يجدون أنفسهم في نفس وضعية من سبقوهم، فيحق التطهير مرة أخرى، ويظهر مهدي آخر. ولقد جرى الأمر على هذه الشاكلة منذ فتوحات المرابطين والموحدين الأفارقة باسبانيا"*[1]. حتى في الديانات العالمية التي قوامها المساواة والإحسان والعدالة، لم يسلم العنصر القروي من التمييز. ولاحظ ماكس فيبر أن كل الديانات كانت تخاف من الفلاحين: *"فالقانون اليهودي يعتبر أنه من المستحيل للفلاح أن يعيش حياة مستقيمة. واستهجنت المسيحية وثنية الفلاحين، واعتبرت بعدها أن الفلاحين المسيحيين هم من الدرجة الثانية"*[2]. إضافة إلى اعتبار الديانات الريفية (الوثنية) محلية وأنها لم تكن عالمية. وباختصار فان المؤسسين للفكر الماركسي لا يرون في الفلاحين سوى مجرد "**كيس من البطاطا**" كما عبَّر عن ذلك ماركس.

هذا التمييز للريف جاء كذلك على مستوى **المحكات** المستعملة للتفرقة بين الريف والحضر، والتي تأخذ الحضر كأساس لهذا التمييز، فهوية الريف سلبية الحضر، والقرية عكس المدينة، والمتحضر عكس القروي أو الفلاح، والحداثة المدينية عكس التقليد الريفي، وإنتاج السوق عكس الاكتفاء الذاتي. فهو فرق على جميع الأصعدة الثقافية والجغرافية والسياسية والديموغرافية. يستتبع هذا التمييز عملية ادلجة لكلا الوسطين، وتلعب اللغة دورا أساسيا في هذا المجال. فمثلا في اللغة العامية الجزائرية يصطلح كلمة **(العروبيَّة)** أو **(الدُوَّار)** لتشير إلى إقليم جغرافي معزول وسكاني مغلق(غير متحضِّر) أو كغريب**(برَّاني)**، وفي استعمالات ليست بالكثيرة **(البْلاَد)** كحنين إلى فضاء اجتماعي خاص. "*غير أن ما يثير المشكلة هو مشروعية التعاريف في حد ذاتها، والتي تميز بشكل عبر–تاريخي وعبر–ثقافي جماعة ما أو تشكيلة ما من المجتمع، أو نمط إنتاج معين*"[3].

في الزاوية الأخرى هناك من التعريفات التي تشير إلى الريف وسكانه كمركز ثقافي. هذا ما نجده مثلا في التعريف الفرنسي لمصطلح **ثقافة**: *"إذ كانت قد أصبحت في 1700 لفظا قديما في التعبير الفرنسي، ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر متحدرة من cultura اللاتينية التي تعني العناية الموكولة للحقل وللماشية، وذلك للإشارة إلى قسمة الأرض المحروثة. وفي بداية القرن السادس عشر كفت عن الدلالة على حالة (حالة الشيء المحروث) لتدل على فعل هو فلاحة الأرض"*[4]. وقد عرَّف بعض علماء الانتربولوجيا الفلاحين من خلال عاداتهم وتقاليدهم. يرى رادفيلد في القروي أو الفلاح :"*مركز حضاري وليس مركز مهني فالفلاح هو حامل للثقافة القروية وليس مجرد شخص يمتهن الزراعة، فالزراعة ليست*

---

[1] عبد الله ساعف، **كتابات ماركسية حول المغرب 1860،1925** ، ترجمة السيد المعتصم (الدار البيضاء، دار توبقال للنشر،1987) ورد في **الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية** (لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية. 1999) ص301.

[2] Colonna , Op.cit. p 22.

[3] Ibid., p 24.

[4] دنيس كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية** (لبنان، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى. مارس 2007) ص 17.

مهنة فقط وإنما هي كل ثقافي متكامل"[1]. فالفلاح إلى جانب الزراعة يمارس اختصاصات أخرى، ولم يعد يعتمد على الأرض كمصدر وحيد للرزق.

هل هذا التباين في الرؤى يعني عدم وجود تعريف إجرائي للريف؟. لقد استطاع علماء الجغرافيا والتهيئة العمرانية والإحصاء وضع اطر نظرية ومنهجية لتحديد الوسط الريفي .اقتناعا أن: "*معنى مفصل لمفهوم الريف يقود الى وضع المواصفات الجيدة لمعنى ريفي، وينتج المقارنات الأكثر صحة للمناطق الريفية البعيدة المختلفة، والنتيجة ستكون بيانات أكثر صحة ومعلومات افضل لفهم وتطبيق هذه المعرفة ونماذجها وتسليم الخدمات الصحية وتوزيعات التمويل الحكومي للخدمات الإنسانية*"[2]. لذلك استعمل المختصون العديد من المناهج لتحديد الريف والحضر، نأخذ مثال ذلك تصنيفات ميشال بلانك Blanc Michel:

1-**<u>المقاربة الفضائية</u>:** يفترض هذا الإطار التحليلي أن "*الريف مندمج في الحضر، ومنفصل عنه، في أن واحد. يرجع ذلك إلى سببين: الأول يتمثل في بعض نماذج الاقتصاد المجالي الذي يضع رؤية هرمية قوية للمجال، ومن جهة أخرى يجري التحليل من حيث قوى التشتت وقوى التجمع(التكتل)، وبالتالي فانه ينظر إلى الريف وخصائصه الناتجة أساسا من تأثير العوائق التي تكبح قوى التجمع*" *(Schmitt,1996, Goffette Nagot,- 1996; Perrier-Cornet et al, 1996)*[3]. هذه المقاربة تركز على وجود منطقة رئيسية ذات رتبة أعلى، لها معظم الأملاك والأنشطة الاقتصادية والخدمات، تؤثر على باقي المناطق ذات الرتب الأدنى، "*فالريف يظهر كاتحاد لنطاق سيطرة أماكن الرتب الدنيا*"[4] إضافة إلى ذلك فإن قوى التشتت أو التجمع لا ترتبط بالنشاط الاقتصادي أو السكان فقط، لكن عبر وجود اختلاف بنيوي، فكلما ابتعدنا عن المركز اتجهنا نحو الريف، فالريفية توجد في العمق. نستنتج أن هذه المقاربة تتحدد وفق علاقة المركز بالأطراف.

2-**<u>المقاربة الإقليمية</u>:** حسب ميشال بلانك "*فإن هذه المقاربة تسعى إلى التخلي عن معيار الريف/الحضر بتفضيلها استعمال ما ندعوه الاقتصاد المحلي*"[5]. إذ تأخذ بعين الاعتبار دور الثقافة والأنشطة الاقتصادية، وعامل الثقة الذي يسهل العلاقات خلال التفاعلات الانسانية بين الأقاليم، وباختصار فإن المقاربة الإقليمية تتساءل حول تأثير التجمعات الدنيا للأشخاص والأنشطة على الاندماج في الشبكات، إنها تتصور الريف على أنه مجال غير قادر على تشكيل إقليم منظم للغاية، ولكن مع ذلك يسمح للفاعلين المحليين الاندماج في شبكات غير متركزة، وإذا كانت كذلك، فإنه يجعلها قوية بشكل خاص[6].

---

[1] محمد الجوهري، المرجع نفسه، ص ص 78،79.

[2] Jeanin Bosak ,Baron Perlman Oshkosh, **A review of the definition of rural**. (Journal of Rural Community Psychology .vol.3,no.1,(1982). p 4

[3] Blanc Michel. **La ruralité : diversité des approches**. In: Économie rurale. N°242, 1997. p 5. Stable Url: http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/ecoru_0013-0559_1997_num_242_1_4892

[4] Ibid., p 6.

[5] Ibid., p 7.

[6] Ibid., p 9.

3-**المقاربة البنائية:** تركز على التمثلات الاجتماعية التي يمتلكها المسؤولون حول الريف، وكيفيات صناعتهم وتنظيمهم لهذا الجزء من الإقليم، *"فحسب بوديقل 'الفضاء ليس له هوية مستقلة عن الفاعل الذي صممه وفقا لمشروع، إنه لا يوجد كمعطى علمي أساسي، يريد أن يجد له تعريفا. فوضع تصنيف بدون مشروع ملموس ومؤكد بالنسبة إلينا لا يعد ممارسة فكرية'. إن الفئات المجالية، التي هي بمفهوم الريف، تظهر هنا بمعنى التمثلات الاجتماعية"*[1]، ومنه *"فإن هذه المقاربة تسمح بتحديد عدد من المعايير التي تقود إلى تصنيف هذه الفئات وفقا لارتباطها بالفضاء، وإلى المستعملين المباشرين، بما في ذلك أعضاء المنظمات والحكومات والجمعيات المعنية، بطريقة أو أخرى، يعرف من خلال تهيئة الفضاء الذي يعتبرونه ريفي"*[2] .إن الريف معرض هنا إلى التأثر في تعيينه إلى معظم الخطابات التي تنتج حوله.

لكن السياسات الحكومية العامة مضطرة إلى وضع تحديد إجرائي بالرغم من تيقنهم بالتناقضات التي يمكن أن يحملها. مثلا: وضعت الأمم المتحدة معايير كمية لتصنيف المناطق الريفية تقوم على: نسبة النشاط الزراعي في القوى العاملة، الكثافة السكانية، التقسيمات الإدارية داخل المنطقة، حجم السكان في التجمعات السكانية. ويخضع تحديد" **الريفي Rural**" في الولايات المتحدة الأمريكية إلى مكتبين:

1- مكتب إدارة وميزانية المقاطعات المصنفة الحضرية وغير الحضرية The office of management and budget metroplitan non-metroplitan classification of counties.

2- المكتب الأمريكي لتصنيف إحصاء المناطق والسكان The US bureau of census classification of areas and population.

ويضع **المكتب الاتحادي لسياسة الصحة الريفية** كتيبا يشمل تعريف الريف بغية دعم الجهود لتطبيق السياسات الوطنية، *"فالمقدار المحسوس لمشاكل الرعاية الصحية الريفية وتأثير أي تغيير في السياسة العامة تعتمد على كم ريفي معرف"(Maria Hewitt 1992)*[3]. والتصنيفات هي:

1 تتشكل المقاطعات : وهو المكون الجغرافي المستعمل عموما لتعريف الريف، فميزة المقاطعات أنها بسيطة وسهلة الفهم وحدودها ثابتة على الأقل عبر الزمن، بالإضافة إلى أن معلومات الصحة الوطنية التي تتضمن بيانات اقتصادية متوفرة لدى مكتب إحصائيات العمل، وتستعمل المقاطعات كوحدة جغرافية رئيسية في اغلب الولايات (سلطات قضائية وسياسية توعز مصادر المقاطعات مثال: مستشفيات، وكالات، صحة عامة)[4].

2 الرمز البريدي للمناطق Zipcod Areas تتشكل من المناطق الجغرافية المحيطة بها طرق تسليم

---

1 Blanc, Op. cit. p 9.

2 Ibid., p 9.

3 Thomas C. Ricketts, Karen D. Johnson-Webb, Patricia Taylor, **Definitions of rural: a handbook for Health policy makers and researchers**(University of North Carolina, From the Federal Office of Rural Health Policy to the North Carolina Rural Health Research Program, June 1998) p 2.

4 Andrew F. Coburn, A. Clinton MacKinney, Timothy D. McBride, Keith J. Mueller, Rebecca T. Slifkin, and Mary K. Wakefield, **Choosing rural definitions: implications for health policy** (USA, Rural Policy Research Institute Health Panel, March 2007), p 2.

البريد، تعتمد على العنوان والذي لايرتبط بتعريف المدينة، ميزتها أنها تسهل تنفيذ البرامج عن طريق إعتمادها على عنوان المستفيد، غير أن سلبيتها تكمن في أن مناطق الرموز البريدية مصممة لأغراض بريدية، كما أن الرموز البريدية تتغير من سنة الى أخرى[1].

3 الإحصاء الجغرافي Census Geography وهو أصغر بناء لتكتل سكاني يعتمد ويستعمل لصياغة تعريف الريف، ميزتها أن الإحصاء الجغرافي للسكان أكثر استقرار من الرمز البريدي للمناطق هي عرضة لتغيير في فترة عشر سنوات، والإحصاء الجغرافي للسكان متسق مع جغرافية المقاطعة. إن السياسات المستندة على تعاريف إحصاء منطقة السكان يمكنها أن تطبق بشدة[2].

يلاحظ أن المعايير المعتمدة لا تأخذ بعين الاعتبار النشاط الزراعي أو الجغرافية القروية أو الثقافة، وإنما هدفها كيفية توجيه السياسات العامة، وتقديم الخدمات، ومعالجة مشاكل الرعاية الصحية، وتحقيق التنمية أكثر من الاهتمام بالنزعة الوصفية ريف/حضر. أما الجزائر فقد نظمت بعد الاستقلال أربع إحصاءات قام بها المركز الوطني للإحصاء ONS، وهو يعتمد معايير خاصة لتحديد الوسط الحضري والوسط الريفي، وذلك من أجل توجيه سياسات تهيئة الأقاليم، خصوصا بعد ازدياد درجة التحضر، ورغبة الدولة في توجيه الإصلاحات الإدارية، وعموما فإن الحاجات التي دعت إلى تحديد هذين المجالين(الريفي والحضري) هي: *"ازدياد ظاهرة التحضر وظهور تجمعات سكانية جديدة، مع تركز ازدياد المدن الهامشية حول المدن الكبرى"*[3]. وتتوزع المناطق الريفية كما يلي:

"1- **المنطقة شبه ريفية**: تتشكل من تجمعات قريبة من مواصفات الحضر حيث:
-المقدار الأدنى للسكان محدد ب 3000.
-عدد المشتغلين محدد ب 500، منهم على الأقل 50% غير فلاحين.
2- **المنطقة الريفية المجمَّعة**: وهي المناطق الوسيطة بين المجال الريفي والحضري، أين اغلب السكان لا يعتاش من الزراعة، إنها مجموع منشآت عددها على الأقل 100 وحدة، تبعد إحداها عن الأخرى على الأقل ب 200م
3- **المنطقة الريفية**: تشمل المناطق المبعثرة التي تعتاش من الزراعة "[4].

هذه المعايير جد بسيطة وترتكز على عنصرين: **عنصر كمي** (عدد السكان)، وآخر (النشاط الاقتصادي) بالإضافة إلى توافر الخدمات وهو معيار يرتبط بسياسات التنمية المتبعة. نستنتج من ذلك أن المعايير المعتمدة عرضة للتغير في كل مرة نتيجة النمو الديموغرافي، وأن الظواهر الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية ليست مغلقة وإنما تتحرك، فيصعب عملية وضع السياسات العامة وكذا تصعب مُهمَّات الأطر الإدارية الالتزام بالنص الذي يحدد نوعية المنطقة. أمر آخر *"وهو أن الإقليم الريفي الذي ينتج بفعل ترسيم*

---

1 Andrew, MacKinney, D. McBride, Mueller, Wakefield, Op Cit., p 3.
2 Ibid., p 3.
3 Collections Statistiques N 97/2000,Serie S :Statistiques Sociales N 11 (6eme Recensement Generale De L'habitat Et De La Population 1998) **L'armature urbain** , (Alger, Office Nationale Des Statistiques, Décembre 2000) p 2.
4 **L'armature,** Op.cit. p 4.

الوحدات الحضرية، لا يزال غير متجانس، فبين الوسط الريفي للغاية والوسط الحضري توجد مناطق وسيطة أين مجموع السكان بها لا يعتاش من الزراعة، بل يعملون في الوحدات الحضرية القريبة، ويسكنون شقق تختلف أقل أو أكثر عن مثيلتها في الريف"[1].

1-2/ واقع علم الاجتماع الريفي بالجزائر.

دراسات الريف ومكوناته، ودراسة الأقاليم في الجزائر هي ذو تجذر تاريخي ومسيرة تحليلات سوسيولوجية ضمن ما يمكن تقسيمه:

1/ سوسيولوجيا ما قبل كولونيالية: التي حاولت معرفة جغرافية المتوسط وخصائص البنى الاجتماعية بالمغرب وشمال إفريقيا، قام بها هواة ورحالة مستكشفون وجغرافيون أوروبيون.

2/ سوسيولوجيا كولونيالية: قام بها الاستعمار الفرنسي لإعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية في الجزائر عبر دراسة قوانينها الخاصة والتحكم بها (مقتنعا بدور علم الاجتماع)، وتحقيق غرس المؤسسات الرأسمالية على أنقاض بنية تقليدية زراعية، وتفكيك المجتمع المحلي وتقسيم أصول الملكية الجماعية. *"ففي السنوات الأولى للغزو وفي 1937 قررت وزارة الحربية الشروع في التحري العلمي، فيقوم ضباط من مثل كارات وبيلسييه Carette Pelissier de Reynaud بإنجاز عمل سوسيولوجي وتاريخي وألسني، ينتمي الضابط Daumas إلى هؤلاء الضباط المؤرخين الجغرافيين،* [*] *وأعطت الأعداد الأولى من* ***المجلة الإفريقية*** *الصادرة عام 1856 اهتماما لمعرفة وسط "الأهالي" كأعمال الكابتن De Neveu حول الخوان Khouans وكل من درس القبائل من دوماس Daumas إلى فابر Faber عمل على كشف الخصم، الجمعيات الدينية، والأقليات العرقية"*[2]. فالعمل السوسيولوجي أملته الحاجة العسكرية خلال بداية تشكلّه على شكل أبحاث ومراسلات الضباط، أي **كإستراتجية أمنية وسياسية**، وما تستدعيه *"**مُهمَّة التحضر**"*، لينتقل إلى *"كم هائل من الملاحظات الاثنوغرافية قدمها باحثون ذو تنشئة فيلولوجية غالبا، منهم اميل ماسكراي E. Masqueray (1843_1893) مدير مدرسة الآداب العليا ودارس اللهجات والتقاليد الشعبية، وأودا O. Houdas(1840-1916) مفتش عام التعليم في الجزائر، وأحد دعائم ترسيخ العربية العامية، ودلفين G.Deldhin (1852-1919) مدير مدرسة وهران ودارس اللسانيات، ودو موتلنسكي(1854-1907) A.de Motylinsky دارس اللهجات، وفانيان أستاذ الإسلاميات في كلية الآداب، الذي حقق كثيرا من المخطوطات الجزائرية. اتسمت ملامح الخطاب السوسيولوجي الكولونيالي بتغليب المنظور الاثنوغرافي*

---

[1] Ibid., p 41.

[*] عناوين هذه الأعمال كالأتي حسب ترتيب ذكرهم:

Carette E ,**Explorations scientifique de l'Algérie dans les années 1840-1841** (Paris, imprimerie Royale, ,1844-1867).

Plessier De Raynaud, **Annales algériennes**. (Paris, Dumaine, Alger, Bastide 1854).

Daumas E, **Correspondance Du Capitaine Daumas** .(Alger, Consul A Mascara, G YVER , 1912).

قام دوماس بعمل انتربولوجي درس من خلاله تكوين القبائل وسلطتها، و ميزات إقليم متيجة السحرية ، كما قدم أمثلة حول طبع التحضر لدى العرب في المدن ودراسات عن الصحراء والقبائل، ومواردهما. انظر :

Daumas, **Mœurs et coutumes de l'algérie tell- kabylie – sahara** (PARIS Librairie de Hachette et cie) 1853

[2] Benjamin Stora, **Algérie, histoire contemporaine 1830-1988** (Alger ,Casbah Editions 2004) p 22.

ومنظور التحليل الانقسامي الذي يرى في البنيات الاجتماعية بنيات متضادة"[1].

تم تحليل العلاقات الاجتماعية في الجزائر وبلاد المغرب عبر أحكام دراسات استعمارية أكاديمية، فشكلَّت الثنائية **عرب/ بربر أو اسلام /بربر** محورا هاما آخر ركزت عليه السوسيولوجيا الإستعمارية، كالدراسات التي قام بها غوتيه E- Gautier.

قامت بهذه المهمة العديد من المعاهد[2] التي أنشأها الاستعمار. فقد *"شكلت المذكرات في علم الاجتماع المناقشة في جامعة الجزائر بين الفترة 1880- 1962 حوالي11,7 % من بين 48 مذكرة في علم الاجتماع 11 تتعلق بالفلاحين(القرويين)، الجماعات القروية، الحياة الأهلية والجمعيات الدينية. 10 حول القبائل، البربر البدو والمزاب. 08 حول المرأة، 06 حول التعليم، 06 حول الديموغرافيا، السكان،المدن. 05 حول اليهود واثنتان حول التعايش بين الجماعات. ومن بين المقالات المنشورة في* ***المجلة الإفريقية*** *La Revue Africaine بين 1922 و1950 هناك حوالي 3,86 % منها تعتبر متعلقة بعلم الاجتماع في معناه الواسع"*[3]. ويعتبر البعض أن تأسيس علم الاجتماع بالجزائر كعلم رسمي كان عام 1958 بجامعة الجزائر.

ليس الغرض هنا تقديم قائمة لمجمل البحوث في هذه الفترة، أو سرد أطرها المنهجية والتحليلية. وإنما التأكيد على أن العالم الريفي كان منذ عهد بعيد موضوعا للاجتماعيات والسياسة العسكرية في الجزائر، مستفيدا من الحركة النقدية التي اتسم بها علم الاجتماع في فرنسا. يمكننا القول إن السوسيولوجيا الكولونيالية تعززت بفعل طبيعة الإشكالات التي أثارتها المشكلات المجتمعية بالجزائر المستعمرة، كتركز الرأسمال والملكية العقارية والاستحواذ على الأراضي، والزوايا والتدين الشعبي والبناء التقليدي، وأشكال المصاهرة، واللهجات العامية، وتزايد أعداد الجماهير الكادحة في الريف، والتشريع القضائي الفرنسي وعلاقته بالعرف والشرع المحلي... وكذا الاهتمام بالمردود الاقتصادي للزراعة في الجزائر، ومحاولات فك أنماط عيش "**الآخر**" الغير أوروبي، وتهجين هويته.

3. **<u>سوسيولوجيا ما بعد كولونيالية</u>:** يعبَّر عنها كذلك سوسيولوجيا تيارموندية (عالمثالثية)، رافقت التحرر الوطني و التأكيد على **بنية وطنية** كانت قائمة قبل 1830، ومستعدة لتشكيل **الدولة –الأمة** ومواجهة تراث استعماري مكتوب. تحرك خطابها وفق **إيديولوجيا المعركة**، وكمهمة "**لتحرير التاريخ**"Décoloniser L'histoire[4] من المغالطات الاستعمارية، وإضاءة صفحات من الماضي للحاضر،

---

[1] محمد حافظ دياب، **علم الاجتماع في الجزائر :الهوية والسؤال**. في **الأزمة الجزائرية**، المرجع نفسه، ص 304.

[2] أسست جامعة الجزائر في 1909 بتجميع أربع مدارس كانت قائمة (المدرسة العليا للصيدلة 1857، المدرسة العليا للآداب، مدرسة الحقوق، ومدرسة العلوم 1879-1980) كان لها دور كبير في الإنتاج الأكاديمي- ذو النزعة الاستعمارية بطبيعة الحال- حول المجتمع الجزائري. وكلف ثلاثة أساتذة عام 1905 في مدرسة الآداب بتدريس الجغرافيا وتاريخ شمال إفريقيا. وساهمت العديد من الجمعيات البحثية في دراسة الأقاليم بالجزائر وشمال إفريقيا مثل: جمعية الجغرافيا والاركيولوجيا 1878، الجمعية الجغرافية بالجزائر وشمال افريقيا 1896، الجمعية التاريخية الجزائرية التي كانت تصدر ***المجلة الإفريقية*** وساهم في إثرائها العديد من الجزائريين أمثال: محمد بن شنب، بن شعيب، صوالح، بن مراد، أ،لشرف. لمزيد من التفاصيل أنظر :

Tayeb Chenntouf, **La sociologie au maghreb: cinquante ans après .** Revue Africaine de Sociologie (1), 2006, pp 3-4-10.

[3] Ibid**.,** P 5.

[4] Mohamed-Cherif Sahli, **Décoloniser l'histoire** (Alger, Editions ANEP,2007) paru 1965,(ED Maspéro).

يؤكد **محمد شريف ساحلي** على دور النقد التاريخي الموضوعي فيقول: *"إن معرفة التاريخ لا تسمح للإنسان أن يتحرر فقط من ماضيه، ولكنها تساعده على فهم مشاكله الحالية المطروحة وفهم مغزى تطوره. إن مأساة الريف الجزائري ودوره الثوري، لا يمكن أن يفسر فقط على ضوء أهداف ومناهج المستعمر المعاصر، إنه يجد جذوره في التاريخ البعيد للجزائر"*[1]. فتوجب على علم الاجتماع تكريس **المضمون الاجتماعي للاستقلال**، من خلال البحث في سبل التنمية ودراسة الفلاحين وأنماط إنتاجهم (باعتبارهم ينتمون إلى الأرض التي تمثل السيادة)، ومعالجة مشكل التوازن اللاجهوي، وهذا لا يتم إلا عن طريق **المثقف العلمي الملتزم** والطموح إلى تغيير الأوضاع، وتحمل المهمة النضالية 'الثانية'.

لقد تم وضع الجامعة الجزائرية في قلب التنمية، ما دفع المسؤولين إلى تخصيص بحوث تطبيقية، ترتبط بالتنمية والتكوين، ومفهوم "**للبحث**" يهدف إلى إدماج الجامعة في عملية التنمية الوطنية بتنسيق مهارات الباحث–الأستاذ، التقني–الغير جامعي، من أجل تلبية حاجيات السلطات المحلية، الجهوية والوطنية"[2](CURER)* في إطار ما سمي "**بالمسالة الزراعية الجزائرية**". غير أن هذه البحوث العلمية تميزت بالتحليلات المتكررة المنتمية إلى نفس المدارس الفكرية (التحليل الماركسي آنذاك) إضافة إلى وجود العديد من الدراسات الجادة الغير منشورة والغير معروفة. بالرغم من محاولات الدولة تركيز البحث حول الزراعة والعالم الريفي بإنشاء مخابر وطنية**، وفرق بحث جامعية ظل هناك فارق بين الإنتاج النظري والتطبيق العملي المنشود وكذا وجود تفاوت إحصائي بين هذه المراكز.

رغم عراقة علم الاجتماع بالجزائر إلا أن بعض المختصين والباحثين يرى أنه لم يعد خصبا بالقدر الكافي الذي يواكب حركية الظواهر في المجتمع الجزائري، وهناك من يرجع "**الأزمة البنيوية للعلوم الاجتماعية بالجزائر**"[3] إلى العامل السياسي، أين رغبة الإدارة تهميش دور المثقف أو تجعله بوق إيديولوجيا

---

1 Sahli, op.cit. p 135.

2 Guichaoua André. **La recherche en sciences humaines et sociales sur l'agriculture algérienne**. In: Tiers-Monde. 1980, tome 21 n°83 .p665.

* (Centre universitaire de recherches, d'etudes et de réalisations de l'université de constantine)

** تميزت هذه المخابر بافتقارها إلى التمويل اللازم وعدم التنسيق البحثي فيما بينها، إضافة إلى عدم وجود وضع قانوني محدد لطرق النشر وللباحث،غير أن هذا لم يمنع وجود العشرات من المذكرات التي تستجوب الجزائر الزراعية في مرحلة ما بعد كولونيالية .وتشرفت الجزائر بالمؤتمر الدولي لعلم الاجتماع الريفي (,(25/30-3-1974 Xxive congrès international de sociologie rurale Alger, RADP . ومن بين المخابر في هذه الفترة نذكر:

BNEDER (Bureau National d'Etude Pour Le Développement Rural) ou Régional BNEDER/ CURER pour le constantinois .ONRs/Département de géographie pour l'Oranie .INVA (Institut national de Vulgarisation agricole) de Sidi-Bel-Abbès

وهناك بحوث عالجت: **مشاكل التصنيع في المناطق الريفية، التصحر، الهجرة الريفية** (بن اشنهو). **استغلال المكان والعمران، العمل، التنمية، الجماعات المحلية،الموارد المائية ...السهول بوهران**(بن ميلود) **وإقليم الونشريس**(جيلالي صاري) وبعد إقامة نظام إحصائي برزت بحوث أخرى مثل: **التجارة والأسعار الزراعية** (بدراني)، وعن حصيلة الثورة الزراعية. وتم الاستعانة بالمعطيات التي تقدمها المراكز الاتية:

CREA (Centre de recherche en économie appliquée) et de l' AARDES (Association algérienne pour la recherche démographique, économique et sociale) . CNRA (Commission nationale de la révolution agraire), MARA .BNA (Banque nationale d'Algérie)

للحصول على قائمة لأهم تلك المراكز البحثية والمؤتمرات الدولية والمنشورات حول المسالة الزراعية خلال السبعينيات والثمانينات انظر Guichaoua André. **La recherche en sciences humaines et sociales sur l'agriculture algérienne**. In: Tiers-Monde. 1980, tome 21 n°83 .pp 674-685.

3 Lahouari Addi, **La crise structurelle des sciences sociales en Algérie**. Le Soir d'Algérie: 28,11, 2010.

ثورية، ومروج مشاريع سلطة مركزية. ويتضارب هذا الموقف مع آخرين حين يؤكدون أنه رغم الانتقادات الموجهة، إلا أنه عمل حسب إمكانياته المتاحة وأسس لتقاليد بحثية لاحقة.

بناءا عليه فإن "**حوصلة المعارف في العلوم الاجتماعية والإنسانية من 1954-2004**"[1]، اتخذت مراحل تتمايز في تصنيفها من باحث لآخر. وتتساءل -من بين عديد مساءلاتها- حول الهيمنة المؤسساتية بكل أبعادها الإيديولوجية والرمزية على المعرفة الاجتماعية؟ ويركز البعض على جرد الانجازات المؤسسية المحققة. وبصيغة أخرى: حول موقفين، موقف يرى فيها دورا سياسيا ومشرعنا للسلطة، وموقف يشيد بدورها النقدي والتنموي. ومن بعض تلك المواقف نذكر:

حسن رمعون: شكلت مأسسة العلوم الإنسانية، وهيمنة السلطة على المعرفة محورا هاما في مداخلات وأبحاث الأستاذ حسن رمعون ضمن مجال البحث في **التاريخ والذاكرة**، حيث يعتبر أن الدولة الوطنية استغلت براديغمين محددا النتائج سلفا Finalités Déterminées لتحقيق هذه المهمة:

1. براديغم في خدمة التطور التكنولوجي والاقتصادي التي كرسها نظام الإصلاحين الجامعيين (1971و 1984) يحوي التكنولوجيا، العلوم الطبيعية، الاقتصاد، علم الاجتماع، التاريخ، اللغات الأجنبية...
2. براديغم هوياتي: ذو وظيفة إيديولوجية يستخدم الماضي لشرعنة النظام الاجتماعي- السياسي القائم، يحوي التاريخ، الفلسفة، علم الأديان.[2]

عدي الهواري: "تميز الإنتاج في العلوم الاجتماعية بإشكالات إعادة البناء الوطني والتي لم تستطع مقاومة الزمن...ففي هذه العملية، استنفذت السلطة ما بوسعها لتمكين عناصر شرعيتها، وضمان السلطة العلمية والجامعية، وقد تلقى هؤلاء الباحثين والجامعين ماكآفات رمزية للبعض، ومادية للبعض الآخر"[3].

شهد علم الاجتماع بالجزائر بعد الاستقلال ولادة تحررية، والقي على عاتقه مهام تفوق المهلة الزمنية والإمكانيات المعرفية والتنظيمية المتاحة، دون أن ننسى التعقيدات المجتمعية الهائلة التي واجهها في الداخل، والبيئة الثقافية الدولية الملتفتة لمواضيع الاستشراق(ادوارد سعيد) و نزعة الاسلاموية التي انبثقت بعد الاستقلال في المغرب والمشرق. وان صح لنا التعبير فإننا نجد انه ولد **مرهقا** لولا الدعم والتأطير المؤسساتي للدولة بغض النظر عن أهدافه. وممن يؤكدون هذا الدور:

---

[1] نورية بن غبريط - رمعون، مصطفى حداب، **الجزائر بعد 50 سنة: حوصلة المعارف في العلوم الاجتماعية والإنسانية من 1954-2004 وقائع ندوة وهران 22/21/20 سبتمبر 2004** (وهران، منشورات CRASC (مركز البحث في الانتربولوجيا الاجتماعية والثقافية) 2008).

[2] Hassan Remaoun , **L'Etat national et sa mémoire :le paradigme histoire** In, Nouria Benghabrit-Remaoun Et Mustapha Haddab, **L'Algérie 50 ans après: Etat des savoirs en sciences sociales et humaines 1954-2004** (Oran, Editions CRASC 2008) p150. Voir Aussi: **Les pratiques historiographiques dans l'Algérie post indépendantes et leur relations aux traditions histiographiques coloniales et nationales.** in **Savoirs historiques aux maghreb: constructions et usages** (Oran, Editions CRASC 2006).

[3] Lahouari ADDI, **Peut-il exister une sociologie politique en Algérie?**, publié dans "Peuples Méditerranéens, N°54-55 (1991) 221-227)
Stable Url: http://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00398832_v1/

عمر لرجان: تميزت مرحلة السبعينيات ببادرة أولى قامت بها السلطات العمومية في تحديد وتنظيم حقل العلوم الاجتماعية، كالمؤتمر الدولي 1971، وإصلاح التعليم العالي والبحث العلمي من نفس السنة، أو ما مثله المؤتمر العالمي لعلم الاجتماع الريفي 1974، فهي اللحظات الكبرى التي ميزت تلك المراحل، إضافة إلى دورها النقدي في نقد الاثنولوجيا الكولونيالية الموروثة عبر جامعة الجزائر. ونستطيع أن نقول أنها حققت ذاتها وأصبحت في خدمة التنمية، وانتقلت إلى علم اجتماع متحرر ومابعد كولونالي"[1]، "*كما يجب أن نذكر أنها خلال مرحلة الستينيات استطاعت أن تتصف بميزات أساسية للميدان العلمي... ولو أنها اختصت نوعا ما بنزعة وطنية ماركسية*"[2]. دون أن ننسى **امتعاضه** من نتائج التعريب على هذا الحقل.

مصطفى حداب: هناك فترات في تاريخ العلوم الاجتماعية الجزائرية منذ 1962 تميزت بمناخ ساخن، استطاع أن يبرز العديد من المفكرين الذين أنتجوا إصدرات علمية حقيقية. كتلك التي حول المسالة الزراعية، التصنيع، الموضوعات الاقتصادية في بداية الثمانينات.... إضافة إلى ظهور المجلات مثل (إنسانيات، نقد، دفاتر مركز البحوث الاقتصادية التطبيقية، وعلم النفس) مع منهجية تداخل المناهج في بحث الاشكاليات، وبروز وظيفة الانتربولوجيا . ويرى عنصر وحيد سلبي يتمثل في هجرة الأدمغة .[3]

محمد إبراهيم صالحي: يركز على دور تأسيس الأنتربولوجيا، وإنشاء مخبر لها في الثمانينات URASC ويستخلص أن: *"الطابوهات تبددت الآن، إن المواضيع التي كانت في العشرية الأولى من الاستقلال ليست هي التي تشغل الطلبة والأساتذة الباحثين اليوم، ويبدو لي أن الثقل المؤسساتي لم يعد بنفس الوزن، وهناك إمكانية الآن للتحدث بشكل مناسب وايجابي حول المكانة التي يجب أن تأخذها هذه المعرفة في مجالات البحث والتدريس*"[4].

أما حول علم الاجتماع الريفي، فان الدراسات شملت الفلاحين والسياسات الفلاحية، وجاءت وفق الإطار العام لوظيفة علم الاجتماع بعد الاستقلال، يقسمها **عمار بوسعود** إلى أربع محطات[5]:
مرحلة أولى تبدأ من الاستقلال إلى نهاية الستينات (تركزت حول آثار الاستيطان الاستعماري على القطاع الفلاحي والريفي، والتسيير الذاتي)، مرحلة ثانية غطت عقد السبعينات، ظهرت مجموعة من الدراسات حول مشروع الثورة الزراعية و القطاع الزراعي للدولة وتأثيره الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي، مرحلة ثالثة التي أطلقت مع بداية الثمانينات، تميزت بمناقشات حادة حول طرق تسيير الأراضي الفلاحية و سياسة تحرير الهياكل الزراعية و تصحيحها، ومرحلة أخيرة، تميزت ببحوث نقدية

---

1 Omar Lardjane, **Réflexions sur un etat des lieux des sciences humains et sociales en Algérie aujourd'hui**. in, **l'Algérie 50 ans après,** Op.cit**.** p 93.

2 Lardjane, Op.cit., p 39,94.

3 Mustapha Haddab ,**Les sciences sociales en Algérie, sont-elle en progrès ?**. in **L'Algérie 50 Ans aprés,** pp 126 ,129**.**

4 Mohamed Brahim Salhi, **l'anthropologie et les sciences sociales en Algérie : éléments pour un bilan**. In, **l'Algérie 50 ans après**. Ibid**.,** p **89.**

5 Omar Bessaoud, **Introduction** De **(** Insaniyat N°7, **Paysans algériens?** Janvier-Avril 1999) pp 1-3.

تناولت ضعف السياسيات التي رسمتها السلطات العمومية خلال العشريتين الأخيرتين على الخصوص. ويمكن إعطاء أمثلة حول نسب هذه البحوث في بعض الجامعات الجزائرية:

شكل (2-1): عدد الاطروحات حسب التخصصات.[1]

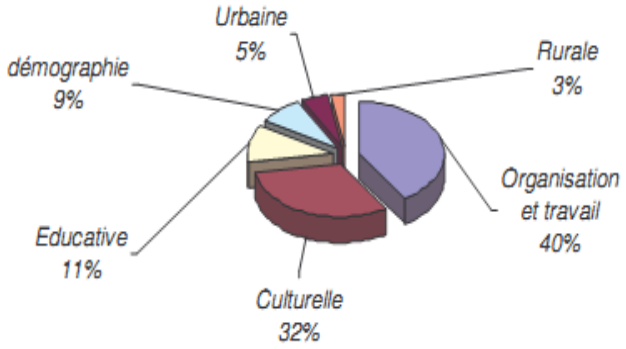

شكلت أطروحات الماجستير والدكتوراه على مستوى **جامعة الجزائر** حوالي 3 % وهي نسبة ضئيلة مقارنة بالتنظيم والعمل، علم اجتماع التعليم، الديموغرافي... والموضوعات تشمل: السياسة الريفية (4رسائل) وحركة السكان (4 رسائل) [2].

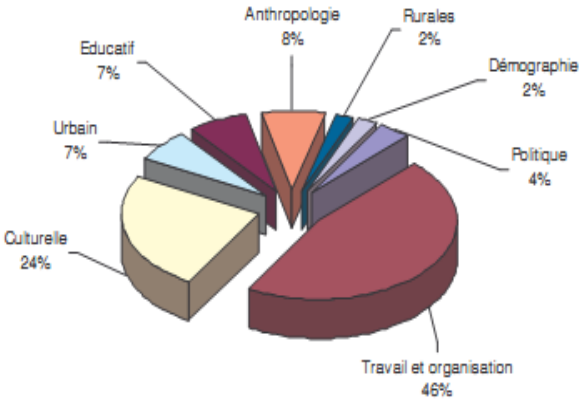

تظل النسبة ضئيلة في جامعة قسنطينة حيث سجلت مواضيع أطروحات الماجستير والدكتوراه **بجامعة قسنطينة** في علم الاجتماع الريفي مابين 1979 و 2004 نسبة 5.95 % تناولت النظام السياسي والتحولات الاجتماعية في الريف الجزائري، وكذا عوائق التنمية الريفية."[3]

الملاحظ أن الطلبة غير مهتمون بمناقشة الموضوعات في علم الاجتماع الريفي. راجع في نظرنا لطبيعة التعقيد **واللاستقرار النظري** في مبحث الريف، إضافة الى التحقيقات الشاقة Enquêtes Dures التي تصادف البحث ميدانيا. إنه ورغم وجود خطاب سياسي قوي حول مشروع التنمية الريفية المستدامة إلا أن المسؤولين على هذا القطاع لم ينسقوا مع الجامعة لإدارة تسيير هذا المشروع. ليضاعفوا مرة أخرى "**تذبذب الريف**". ويجعلوه **مجهولا أكثر**.

---

[1] **Contribution a l'étude des capacités scientifiques, techniques et d'innovation en Algérie**, in, **Etas des lieus des sciences sociales en Algérie**. Rapport intermédiaires, Equipe CREAD (Projet CREAD/ IRD).

[2] Ibid., p 54.

[3] خديجة عادل وفريال عباس، **قراءة لأطروحات ورسائل الماجستير بمعهد علم الاجتماع جامعة منتوري- قسنطينة: العائلة موضوع الدراسة**. ورد في : **الجزائر بعد 50 سنة**، المرجع نفسه، ص 49.

1-3. العنف والثورة في الريف الجزائري: بين البراديغم الفانوني والبراديغم البورديوي؟

" سنفجر الثورة بكم أو معكم أو حتى ضدكم إن اقتضى الأمر...سنفجرها ولو مع قردة الشفة."
محمد بوضياف أمام جمع من MTLD [1]

أوضحنا سابقا ميزة النظرة السلبية التي تحملها بعض الدراسات الاجتماعية والاقتصادية حول دور الريف وطبقة الفلاحين في الاقتصاد الوطني العام، أو في التركيبة الثقافية للمجتمع ككل. سنحاول في هذا المبحث إبراز نظرة معكوسة تتعلق بالدور السياسي للريف الجزائري إبان ثورة التحرير. هذا الدور الذي ميّزه العنف فشكّل مفهوم الثورة بكل ما تحمل الكلمة من أساليب التغيير الجذري والقطيعة النهائية مع وضع قائم، والبحث عن أفق جديد ذو وضع أفضل. وسنختار كشاهد على هذا الدور، أو بالأحرى كواحد من أهم منظريه الطبيب فرانز فانون، المتأثر بالتجربة الجزائرية ونضال أولئك المعذبين في الأرض.

إنَّ التأريخ الجزائري مليء بالمناقشات حول تكون الوعي السياسي والقومي لطبقة الفلاحين والريفيين بصفة عامة. وحول أصوله ومميزاته، وعن كيفية تشكل هذا الشعور في بنيات اجتماعية كثيرا ما اعتبرت مجزأة ومتصارعة. ولكن بالرغم من ذلك تشكلت أولى ردود الفعل السياسية والدفاعية منذ الغزو الاستعماري الفرنسي، وتعززت في ثورة الأمير عبد القادر وغيرهم إلى غاية تمرد 1871، يشرح لشرف ذلك فيقول :"*هذا التضامن الجماعي كان ثمرة شعور وطني غير صريح، ولكنه مع ذلك متمكن من النفوس، كما أنه وليد الإحساس بوضعية واحدة هي وضعية الفلاح، في بلد تقاليده الريفية عريقة، وظروفه المعايشة قاسية أحيانا غدارة، وتعاون سكانه في المحن والأهوال والشدائد معروف ولا يحتاج إلى دليل*"[2]. وهكذا "*يتبين أن وطنية الفلاحين في الجزائر كانت في الفترة الممتدة مابين 1830 و1871 ظاهرة عمت سائر أرجاء البلاد وتغلغلت في النفوس، ولئن لم تتبلور تلك الظاهرة في فكر عقائدي واضح، فقد كانت بدون جدال ذات أبعاد قومية*"[3].

ومن الناحية النظرية، فهناك عدة تفسيرات تتساءل عن قيمة الدور الثوري للفلاحين وأسبابه، باستعمال مناهج التاريخ المقارن وفحص أنظمة الحكم السائدة في المجتمعات. لعل أكثرها علمية وأصالة، تحليلات بارينجتون مور Barrington Moore في بحثه **(الأصول الاجتماعية للدكتاتورية والديمقراطية: اللورد والفلاح في صنع العالم الحديث)**، إذ حاول الكشف كيف وصلت بعض المجتمعات في مسارها التاريخي إلى الديمقراطية وأخرى الى الدكتاتورية عن طريق ثورات الفلاحين، وصراع اقتصاد المزارع مع الاقتصاد الصناعي. فقام بعقد تاريخ مقارن بين التجارب: الفرنسية والانجليزية والأمريكية ودول آسيا، ليتوصل إلى دور هذه الطبقة في القضاء على الإقطاع، والرأسمالية الصناعية الناشئة: "*لذلك من الإنصاف*

---

[1] ورد في الطاهر الزبيري، **نصف قرن من الكفاح، مذكرات قائد أركان جزائري** (الجزائر، الشروق للإعلام و النشر، الطبعة الأولى 2011) ص 7.

[2] مصطفى لشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**. ترجمة: حنفي بن عيسى (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة 1983) ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص 135.

الاعتقاد بان طبقة الفلاحين كانت الفيصل في الثورة، وإن لم تكن قوتها المحركة الأساسية، وحتى إن لم تكن القوة المحركة الأساسية، فقد كانت قوة على قدر كبير من الأهمية، وإن كانت مسؤولة إلى حد بعيد عما يبدو-إذا نحن عدنا إلى الوراء- الانجاز الأهم والأطول بقاءا، وهو القضاء على الإقطاع"[1]. ويتجه بعض المؤرخين لتفسير نضال الريف في التجربة الجزائرية أحيانا بصراع المجتمع الزراعي ضد المجتمع الصناعي الرأسمالي، وإعطائها بعد طبقي من خلال تطبيق النماذج الماركسية، لعل أبرزها تحليلات روزا لكسمبورغ في كتابها **(تراكم رأسمال)** حول صراع الطبقات في الجزائر، بحيث *"تعتبر أن أشكال المقاومة لا تعبر عن ردة فعل ذات حس وطني، لأن المسالة القومية بالنسبة لها ليست سوى خدعة، ولكنها تعطي أهمية لهذه القوى التي ستترجم كصراع ضد السياسة الامبريالية"*[2]. ورغم تأكيد مور *"أن السمة الأساسية المميزة لثورات القرن العشرين المعادية للاستعمار هي السعي إلى إقامة شكل جديد من المجتمع ذي عناصر اشتراكية والتخلص من النير الأجنبي وسيلة لتحقيق تلك الغاية"*[3] ، فإننا نرى أن هناك عوامل في ثورة الفلاح تتعدى العقار والملكية، وعدالة التوزيع، إلى ما يسميه فانون صراع المستعمِر و المستعمَر، وتتبدل المهمَّة لتصبح: **<u>محو الاستعمار</u>**،*" فالقيمة الأساسية عند الشعب المستعمَر هي الأرض، لأنها هي القيمة المحسوسة الملموسة، الأرض التي تكفل <u>الخبز والكرامة</u> طبعا "*[4]. فإن نجحت الماركسية في تفسير كيف يجد الفلاح الخبز دافعا للثورة، فإن الكرامة والحرية والسيادة ستشكل معالم تحليلات ثقافية أخرى، لعلها أوسع من تحليلات النسق الديني.

ولكن لماذا فانون؟ وما ميزة طرحه؟. إن اختيارنا لفانون جاء بعد أن وجدناه يجيب على العديد من الأسئلة التي يمكن أن تواجهنا، وهو يفسر العديد من المعضلات والتناقضات التي تعترض الباحث خلال محاولة إطلاعه على دور الريفيين في الثورة، خصوصا الجدل الدائر حول نشاط المدينة السياسي و"**تهوُّر**" الريف، أو كما فعل حربي في ادعاءه "**أسطرة دور الفلاحين في الثورة** "، ضمن ثلاثية الأساطير التي أسندها لحزب جبهة التحرير الوطني(FLN).أمام هذه (الحيرة)، نجد لدى فانون الإجابة عن سؤال مركزي شبيه بما أثاره مور في بحثه: "*هل كان العنف ضروريا للحرية؟*"[5] إلى سؤال آخر: "*ما تكلفة عدم القيام بثورة؟*"[6].

قبل التطرق لكتاب فانون، وجب إعطاء بيوغرافيا موجزة. فقد ولد فانون في 20 يوليو 1925 في بلدة ال(فور دو فرانس) في جزر (المارتنيك) من عائلة الموظفين، شارك في الحرب العالمية الثانية، وأرسل في بعثة تطوعية عام 1943إلى شمال إفريقيا ومكث ببجاية، غير أن إصابته بجروح بالغة عام 1945 ستعيده إلى المارتنيك أين سيواصل دراسته، ويتلقى تعليما على يد أستاذه ايمي سيزار، في عام 1947 سافر إلى فرنسا بعد حصوله على منحة دراسية، وأنهى أطروحته عام 1951 وحضر لامتحان الداخلية

---

[1] بارينتجون مور، **الأصول الاجتماعية للدكتاتورية والديمقراطية: اللورد والفلاح في صنع العالم الحديث.** ترجمة احمد محمود (لبنان، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، جويلية 2008) ص 112.

[2] René Gallissot, **Marxisme et Algérie** (Alger, ENAG Editions 1991) pp 173,175.

[3] مور، المرجع نفسه، ص 151.

[4] فرانز فانون، **معذبو الأرض** (الجزائر، موفم للنشرENAG. طبعة 2007، طبعة خاصة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية) ص 10.

[5] مور، المرجع نفسه، ص 10 .

[6] المرجع نفسه ص 13.

لمستشفيات الطب النفسي، صدر له من دار سوي SEUIL كتاب **(سود الوجوه، بيض الأقنعة)**، الذي يبرز فيه تأثيرات العنصرية، وفي عام 1953 نجح في مسابقة الالتحاق (ميديكا Médicat) لمستشفيات الأمراض العقلية والتمس منصبا في البليدة(Joinville) ساهم ك"**جزائري**" في ثورة التحرير وجمع الأدوية للمجاهدين، والتحق عام 1956 بلجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E)، ومثَّل الجزائر في مؤتمر الشعوب الإفريقية عام 1958 و1960، وعين ممثلا دائما للحكومة المؤقتة الجزائرية بأكرا عام 1960، أصيب بسرطان الدم وأرسلته المنظمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وتوفاه الأجل يوم 6 ديسمبر 1961، بعدما أتم كتاب معذبو الأرض، وشاهد نسخته الأولى في نوفمبر من نفس السنة، وقام جون بول سارتر بوضع تقديم له في النسخة الفرنسية التي ستصدر عن دار ماسبيرو عام 1962[1].

المسألة الأساسية التي يعالجها فانون في كتابه، هي مسألة **محو الاستعمار**، وسيصبح هذا الكتاب كما أوضح ستيوارت هال بأنه *"**إنجيل محو الاستعمار** .the Bible Of Decolonization"*[2] ، و**العنف** أساس هذا المحو، *"لأن الاستعمار إنما هو عنف هائج لا يمكن أن يخضع إلا لعنف أقوى"*[3] ، واستطاع أن يصل إلى ذلك عبر تجربته النضالية داخل جبهة التحرير الوطني، و يتأكد بأن المشكلة الرئيسية بين المستعمِر والمستعمَر تحل بالثورة: *"إن العنف هو الطريقة المثلى، لأن الإنسان المستعمَر يتحرر في العنف"*[4]. فمحو الاستعمار يعطي المعنى الوجودي لحياتهم.

أدرك فانون من خلال تشريحه لنفسية المجتمع الجزائري الجماعية، ومعرفته آلام الفرد المضطهد والمشوَّش، أن حقيقة النظام الاستعماري لا تعرف فقط في الخطابات والتشريعات وجرعات من الديمقراطية الانتخابية لذلك الحزب أو ذاك، ولكنها تعرف من تجسدها كواقعة فعلية في التعذيب الممارس على الفرد، فاستطاع من خلال هذا الفرد أن يصور كل آلام المجتمع الجزائري. وغدا الموضوع الفردي عاملا حاسما في تحليله لشروط التغيير (الصراعي هنا)، إذن *"فتحليله يتأسس حول نتائج الاستعباد، ليس فقط للشعب ولكن للذوات، وشروط تحريرهم، التي هي قبل كل شيء تحرير الفرد، إنها تمثل انعتاق الذات من الاستعمار"*[5].

لكن *"إذا كان محو الاستعمار هو حدث عنيف دائما"*[6] ، فإن ذلك يعني القيام بالثورة، وهذا أمر فيه نوع من الخطورة، وحسب مواقف بعض رموز حركتنا الوطنية هو "**مغامرة**"، وأخذ البلاد في "**المجهول**"، أو هو عمل "**حسن لكن يجب الانتظار**"، أو مجرد "**طيش وحماس شباني**". لا يهمل فانون تلك الشكوك التي يمكن أن تهدم فلسفته في الثورة، ويتساءل مكانهم: *متى يمكن القول أن الوضع قد نضج إلى الحد الذي*

---

[1] مقتبس من تقديم كلودين شولي (بتصرف) لكتاب **معذبو الأرض**، المرجع نفسه، ص ص : 14/8 روماني

[2] Robert J.C Young, **Postcolonialism, an historical introduction** (USA, UK, AUSTRALIA, Blackwell Publishing, First Published 2001) p 281.

[3] فانون، المرجع نفسه ص 28.

[4] المرجع نفسه ص 01.

[5] Alice Cherki Préface De, Frantz Fanon, **Les damnés de la terre** (Paris, Éditions La Découverte & Syros, 2002) p 09.

[6] فانون، المرجع نفسه ص 01.

يجب فيه القيام بحركة تحرير وطني؟ ومن هي الطليعة التي يجب أن تقوم بتلك الحركة؟"[1]. يجيب فانون عن التردد الذي تعرضت له الأحزاب السياسية حول استعمال القوة لإزالة الاستعمار، وموقفها من طبقة الفلاحين، ومراهنتها على تفريغ العنف بطرق سياسية فيقول: *"إن الدعاية التي تتقدم بها الأحزاب السياسية تغفل طبقة الفلاحين دائما، مع من الواضح أن طبقة الفلاحين في البلاد المستمرة هي الطبقة الثورية الوحيدة، إن هذه الطبقة لا تخشى أن تخسر بالثورة شيئا، بل تطمع أن تكسب بالثورة كل شيء. والفلاح، المنبوذ، الجائع، المستغل الذي يكتشف قبل غيره أن العنف هي الوسيلة المجدية، انه امرؤ ليس عنده حل وسط، والقوة وحدها هي التي تحدد بقاء الاستعمار أو زواله"*[2].

لم يكن هذا الدور الطليعي لطبقة الفلاحين جديدا، وإن وصف أحيانا تمردا أو حربا، فإنه لا جدال شكَّلَ ثورةً. وهذا ما أكده لشرف في كتاباته، يعلن بصراحة:" *إننا نقول بأن مقاومة الفلاحين الطويلة يمكن أن تعتبر إلى حد ما مقاومة ثورية، لأن الفلاحين هم الفئة الوحيدة التي كان نضالها مستمرا نسبيا، وهذا يرجع إلى أن الغزو الفرنسي وابتزاز الموارد الطبيعية، وحرب التحرير، كل ذلك وقع في ثلاثة أرباع سكانها من أبناء الريف الذين كانوا من أنصار الكفاح المسلح*"[3]، فالأرض التي صورت على أنها مصدر اقتصادي وفقط، ستبعث بروحها الصلبة إلى قلب الفلاح، وسنعود إلى استعمال مصطلحات تونيز، لأننا نصبح هذه المرة أمام (الجماعة Gemeinschaft) المتميزة بالتضامن العضوي، أين الحياة فيها واقعية والأفعال تبدو كوحدة ظاهريا، "*وتصبح القضية هي قضية استرداد الأراضي من الأجانب، هي قضية كفاح وطني، هي قضية ثورة مسلحة، الأمر بسيط واضح*"[4].

يمكننا أن نؤكد حول موقف فانون من الأحزاب السياسية، على أن غرضه كان إقامة الضدية بين المستعمِر والمستعمَر، وليس السعي إلى إقامة التعارض بين المدينة والريف. وتهجّمُه على البرجوازية الوطنية لم يكن لذاتها، وإنما نقدا لممارساتها السياسية والانتخابية التي ترى في الريفي(صوتا) وليس إنسانا يطلب حريته وأرضه. ونقده منصّب حول هذه النظرة التي لا تختلف عن نظرة المستوطنين يشرح ذلك فيقول: *"إن الأكثرية في الأحزاب الوطنية تشعر اتجاه الجماهير الريفية بحذر كبير، وارتياب شديد... وما يلبث أعضاء أحزاب الحركة الوطنية من عمال المدن والمثقفين أن يصبح رأيهم في سكان الأرياف كرأي المستوطنين"* [5]. واصفين إياهم باللاعقلانية السياسية أو القصور في الرؤية القومية، وبعد اندلاع الثورة *"فإن صمت المدن يولد في نفس الفلاح شعورا مرا بان قسما بكامله من الأمة يكتفي بمشاهدة المعركة ولا يزيد على عد الضربات"*[6].

مهما يكن من أمر، هناك رؤى تعتبر فانون –من خلال تواجده بجيش التحرير– منظر الثورة. فهل خدمت الثورة التحريرية نظرية فانون أم هو نظَّر لها؟ يجيب أحد أصدقائه:*"إن عنصر الريف والفلاحين*

---

[1] المرجع نفسه، ص 25.
[2] المرجع نفسه، ص ص27،28.
[3] لشرف، المرجع نفسه ص 36.
[4] المرجع نفسه، ص 95.
[5] المرجع نفسه، ص 75.
[6] المرجع نفسه، ص110.

والقيمة التي أعطيت لهما في الثورة الجزائرية كانت موجودة في الجزائر منذ اندلاع الثورة، بل وحتى قبل نوفمبر 1954 والثورة الجزائرية تطورت بالريف وتمركزت بالريف حتى قبل أن يلتحق بها فانون، وقبل أن يعرفها بل أن 01 نوفمبر 1954 نفسه كان إلى حد ما نتيجة لانتصار المفهوم المنادي بالاعتماد على الريف في الثورة ضد الدعوة الأخرى التي ترى أن أيّ تغيير سياسي لا يمكن أن يتم إلا عبر المدن، إذن فالتأثير الحاسم في هذا المجال كان من الثورة الجزائرية في اتجاه فانون وليس العكس"[1].

والسؤال الآخر: ما الفرق بين ما قدمته الماركسية الثورية وفانون؟ فالواضح أن هذه الأفكار الثورية كانت تشكل فلسفة الحركات التحررية آنذاك، زد على ذلك ففي المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية وتحت مسودة أولية لموضوعات في المسألة القومية ومسالة المستعمرات (1920)، دعوة للفلاحين إلى التمرد ضد أشكال الإقطاعية، دعوة صريحة إلى: "*السعي لإعطاء حركة الفلاحين طابعا ثوريا ما أمكن مع تحقيق تحالف ما أمكن بين البروليتاريا الشيوعية في أوربا الغربية وحركة الفلاحين الثورية في الشرق، في المستعمرات والبلدان المتأخرة بوجه عام*"[2]. نؤكد حول هذه النقطة أن فانون تجاوز الشعار اللينيني، والتقسيم الطبقي" *ذلك، فانه هنا، ومن خلال إعادة بناء ديناميكية الطبقة، يقوم فانون بتنقيح جوهري لتصنيف ماركس، وتحويل الصراع الطبقي إلى الانقسامات التي هي بين المستعمِر والمستعمَر، على الرغم من أن مشابهة طبقة المستعمِر والمستعمَر وجدت كحالة مماثلة تم تعميمها، بعد التمييز الذي قدمه سلطان غاليف Sultan Galiev بين الأمة الرأسمالية والأمة البروليتارية، غير أن نموذج فانون يبقى قبل شيء ملائما للمجتمعات المستوطنة*"[3].

أمام هذا التباين في طبيعة المسار الثوري الذي كان يجب أن تسلكه الجزائر نحو الاستقلال، نلجأ إلى عقد محاورة بين حربي وفانون، باعتبار كل منهما يحمل طرحا ثوريا يختلف عن الآخر. فالأول يركز على دور الفئات الاجتماعية في المدينة (نخب سياسية وحركات عمالية ونقابية) بينما يركز الثاني على الفلاحين.

محاورة بين محمد حربي وفانون:

حربي: "*بالنسبة لمن عايش التجربة الوطنية الجزائرية، يمكن تلمس بذور أفكار فانون بأشخاص التقوا به، ويتعلق الأمر ب**(عمار أوصديق)**، الذي مهد له معرفة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية وساهم معه في تشكيل برنامج المجلس الوطني للثورة عام 1959، وعليه فيجب أن نفهم عمار أوصديق لكي نعرف ما اقتبس منه فانون*"[4]. ولكن ما ميزة الأفكار التي كان يحملها أوصديق ليترك كل ذلك الصدى في نفس فانون؟ حسب طرح حربي: "فإنه كان يخلط عناصر التقاليد الريفية وعناصر النزعة الوطنية والثورية، ففي عام 1949 كان من بين أولئك الذين اتهموا قيادات حزب الشعب الجزائري بالجزائر العاصمة بأنهم مجرد مؤيدين للاستراتيجيات الانتخابية، وأوضح أن المناطق الريفية هي مستقبل البلاد، في الواقع فان تاريخ

---

[1] محمد الميلي، **فرانز فانون والثورة الجزائرية** (الجزائر، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 2010) ص 56.

[2] لينين، **عن التحرر الوطني والاجتماعي**. ترجمة: الياس شاهين (موسكو، دار التقدم، 1976) ص 295.

[3] Robert J.C Young, Ibid. p 279.

[4] Sonia Dayan- Herzbrun (dir) **,Vers une pensée politique postcoloniale à partir de Frantz Fanon**. (Paris7, Université Paris Diderot (Cahiers du Centre de Sociologie des Pratiques et des Représentations Politiques) **Tumultes**, numéro 31, octobre, Editions Kimé 2008) p 11.

الريفيين كمستقبل للبلاد ساهم في تشكيل تصور، تماما كما نجده لدى عالم الاجتماع المؤرخ ابن خلدون"[1].
لا يمكن الذهاب بعيدا مع هذا الطرح لسببين في اعتقادي:

1 -أن تجربة فانون النظرية حول دور الفلاحين لا يمكن أن تختزل في موقف عمر اوصديق ، لقد عايش فانون الواقع الجزائري وتعرف عن كثب على الصراعات السياسية التي كانت تدور بالجزائر، منذ اشتغاله كطبيب نفسي بالبليدة في ديسمبر 1953، بل حتى انه اختزن آلام الفرد الجزائري من خلال "تطبيقاته الميدانية"، التي ستساهم فيما سيكتب لاحقا في **(معذبو الأرض)**. فالكتاب لم يكن إطار نظري إلا بعد أن تعرف على الأدوار البطولية للريفيين ودور(العنف) كاختيار سياسي لتحرير الأرض، بعدما خيب الشيوعيين الفرنسيين أمله. يقول الميلي حول هذه النقطة: "*ومما ساعد على تداخل وغموض هذه النقطة، بالنسبة للباحثين الغربيين أن هنالك عنصرا بارزا من عناصر التعاطف بين فكر فانون وبين فكر الثورة الجزائرية يتمثل في الفلاحين والريف، فالكتاب السياسيين الزنوج الذين أعجب بهم فانون في المرحلة الأولى لتكوينه الفكري مثل ايمي سيزار، كانوا قد استداروا نحو الفلاحين ونحو الريف بحثا عن قيم يمجدونها، ولو كانت قيما فلكلورية، حتى يعتزوا بها في وجه الثقافة الغربية وتياراتها الكاسحة التي تريد تذويب كل شيء في ثناياها* "[2].

2 -إن فانون قد فوجئ بالثورة، وتأكد له دور الريف لاحقا من خلال مسارها الذي كان جزءا منه: "*ومما لاشك فيه أن احتكاك فانون قبل نوفمبر 1954 ببعض الأوساط الأوروبية من جهة وببعض أوساط النخبة الجزائرية من جهة أخرى، لم يساعد على إعداده لتقبل هذه الثورة من أول يوم*"[3].

حربي: الكفاح المسلح أحدث اضطرابا في الشروط المألوفة للوجود، ورمى بالأفراد في زمن مقلق، وأظهر الفتن التي ستصيب المجتمع في أعماقه. ولكن، وبواسطته، لم يستطع أن ينتج أشكال جديدة للحياة[4].

فانون: إن محو الاستعمار، وهو حدث عنيف دائما، لا يمكن أن يعبر عبورا دون أن يلاحظه أحد، لأنه يتناول الوجود، لأنه يغيِّر الوجود تغييرا أساسيا، لأن أناسا مشاهدين يسحقهم، إنهم ليس لهم ماهية، يأتي محو الاستعمار هذا فيحيلهم أناسا فعالين ممتازين يدخلون تيار التاريخ دخولا رائعا[5].

حربي: فكرة الثورة بالريف تعطي الأولوية للتحليل السياسي، وتهمل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، ومن ثم فهي غير قادرة أن تأخذ في الحسبان تناقضات القومية الجزائرية وتعقد مسارها.[6] .

فانون . إن عقيدة طبقة الفلاحين عقيدة بسيطة: اجعلوا الأمة موجودة ليس ثمة برنامج ولا خطب ولا قرارات، ولا اتجاهات. المشكلة واضحة: يجب أن يرحل الأجانب.[7]

---

[1] Herzbrun, Op.cit. p 12.

[2] محمد الميلي، المرجع نفسه، ص 55.

[3] المرجع نفسه، ص 78.

[4] Mohammed Harbi, **1954, la guerre commence en Algérie** (Alger, Editions Barzakh, Décembre 2009) p 167.

[5] فانون، المرجع نفسه، ص 02.

[6] Harbi, Ibid., p 167.

[7] المرجع نفسه، ص 97.

حربي: عزل الاستعمار الفرنسي الثورة الجزائرية عن قاعدتها الاجتماعية في الريف، بحصاره حوالي مليوني ريفي داخل المحتشدات.[1] (سنتطرق لهذا القول لاحقا) .

فانون: لكن الفلاح الذي يبقى في مكانه يحمي تقاليده في عناد وإصرار، وهو في المجتمع المستعمر يمثل العنصر الانضباطي الذي يظل بنايه الاجتماعي قائما على التواصل بين أفراد الجماعة وعلى ارتباط بعضها ببعض ارتباطا قويا[2].

حربي: كان لجبهة التحرير الوطني صعوبات في الاتصال بالريفيين.[3]

فانون: لكن العفوية هي المسيطرة في هذه المرحة والمجابهة مجابهة محلية، ففي كل من المناطق تنشا حكومة تستلزم زمام الأمور، ونرى سلطة وطنية في الوديان والغابات، في الأدغال والقرى، إن كل فرد يثبت بنضاله وجود الأمة، ويعمل على أن يكفل لها النصر في المنطقة التي هو فيها.[4]

حربي:لقد نظمت جبهة التحرير الوطني الفئات الاجتماعية في المدن من خلال إنشاءها العديد من التنظيمات، لكن فئتين لم تعرف ذلك الريفيون والنساء[5].

فانون: الفلاحون يندفعون في الثورة بحماسة عظيمة: خاصة وأنهم لحظة عن الثبات على طراز من الحياة يعادي الاستعمار بطبيعته....إن أنفة الفلاح وإحجامه عن النزول إلى المدن، واشمئزازه من مقاربة العالم الذي بناه الأجنبي"[6]. أضف إلى ذلك: " *أن الفلاحين الذين ينضجون معارفهم من اتصالهم بالتجربة، يبرهنون أنهم قادرون هم أيضا قيادة الكفاح الشعبي، فالمؤسسات التقليدية تقوى وتعمق، حتى أنها قد تتبدل تبدلا حقيقا: "**مجالس الجماعة**" الذي تفض في الخلافات وتفصل في المنازعات، مجالس القرى تستحيل إلى مجالس ثورية ولجان سياسية. فيظهر في كل جماعة من جماعات المقاتلين وفي كل قرية رجال يتولون التوجيه السياسي*"[7]. ويمتد دورهم في تحملهم سياسات النخب في المدن، إذ *"في بعض الأحيان يحمل الفلاحون العبء على المدينة حين تتناول حملة القمع البوليس الحزب الوطني"*[8].

حربي: الخطاب الجدلي حول أن الريفيين كانوا الجبهة الأمامية للحرب يراد منه مصالح سلطوية أكثر مما هو معطى اجتماعي وتاريخي.[9]

فانون: إن بعض المثقفين، قد قاموا، أثناء فترة الاستعمار بحوار مع برجوازية البلاد الاستعمارية، لقد كان الاستعماريون لا يرون أهل البلاد المستعمَرة إلا كتلة غير متميزة [10].

---

[1] Harbi, Op.cit. p 13.

[2] فانون، المرجع نفسه، ص ص 77، 78.

[3] Herzbrun, op.cit. p 13.

[4] فانون، المرجع نفسه، ص 98.

[5] Harbi, p 14.

[6] المرجع نفسه، ص 105.

[7] المرجع نفسه، ص 110.

[8] المرجع نفسه، ص 84.

[9] Sonia Dayan- Herzbrun (dir), op.cit, p 15.

[10] فانون، المرجع نفسه، ص 10.

لقد شكل الريف الجزائري دعامة للثورة ولادوار المجاهدين العسكرية والقيادية، وهذا ما فصل فيه ميثاق الجزائر 1964 بعد ظهور بوادر الصراع السياسي بين نخبة الاستقلال حول دور المدينة أم الريف، حول أولوية السياسة أم الثورة في التغيير، جاء فيه "*مغفلين دور العنف، ويدعون إلى تقديم تنازلات بأي ثمن، في تصرفاتهم بان بذل جهد اكبر في الحرب يقوض سبل التوصل إلى حل وسط، فإن مؤيدي السياسة المحضة لم يتمكنوا من استيعاب أن قيادة الثورة ليست قضية عسكرية بحتة، بل تمثل قضية سياسية وضعتها برامج ووجهات نظر*"[1]. وربما هي إجابة مقنعة عن التساؤل الذي أوردناه سابقا بلغة مور، دون الانخراط مرة أخرى في جدلية الريف والمدينة.

غير أن الثورة تدين في الكثير من انجازاتها إلى تلك البطولات الفكرية النخبوية، بإنتاجها الصحفي ومقالاتها السياسية. وإلى "**السياسة**" كبعد ثوري، ولتلك الأعداد من القاعدة المهمشة داخل الأحزاب الوطنية، إلى "*ذلك المناضل الوطني الذي يقرر أن يهجر لعبة التخفي التي كان يلعبها مع الشرطة، وأن يربط مصيره بمصير جماهير الفلاحين الذين يغطونه كمعطف*"[2]. فالثورة "*ألغت الحدود الجغرافية بين الريف والمدينة، وانهارت الحواجز الجمركية بينهما، وبذلك فقدت الجغرافيا خاصيتها المادية الطوبوغرافية الهندسية، لتأخذ بعدا وطنيا شموليا*"[3]. إن الثورة هي ثورة الشعب، والأدوار هي كل المساهمات لأولئك الذين لم نعرفهم في الكتب، ولو أنه يتم بطريقة أو بأخرى تركيز الضوء على الشخصيات، فتاريخ الثورة ليس تاريخ الرموز بل هو تاريخ الحركات الاجتماعية التي دعمتها، كما أن محاكمة ذلك الشخص أو ذاك لا تنتقص من نضالات حركته.

إن تجربة جبهة التحرير يمكن أن تلخص في هذه العبارات من فلسفة الثورة عند فخته، حيث "*أن فخته قد جعل، عبر الثورة، أي ثورة مشروعة. ليس هناك أي دولة مستقرة، ولا أي عقد نهائي، فالفرد، كما الجماعة، لا يمكن أن يكون مستلبا، والذين خرجوا من الاتحاد القديم بإمكانهم إذا تشكيل اتحاد جديد وتقوية ارتباطهم عن طريق الانضمام الإرادي لعدد أكبر، ولهم الحق في ذلك بلا جدال. وأخيرا إذا كان الاتحاد القديم لم يعد له منضوون إليه، وإذا كان الجميع قد تحولوا إراديا إلى اتحاد جديد، فان الثورة بكاملها قد تمت بشكل مشروع*"[4]. وعليه: "*فما هو ملحوظ حول موقف جبهة التحرير الوطني وفانون، هو أن يستند ذلك إلى إلى اعتناق الفضائل وضرورة العنف، مع إشارة قليلة إلى أن المجتمع قد اتبع التحرير الذي يفضله*"[5]. وهذا شكل من أشكال التعبير الديمقراطي حسب وصف **رضا مالك** في مذكراته، وموقفه: "*على عكس النخبة التي كانت تحاول تحقيق الاستقلال عن طريق الانتقال عبر المراحل، فإن الجماهير كانت جاهزة بشكل كلي،*

---

[1] Front De Libération Nationale, **La Charte d'Alger**: Ensembles des textes adoptés par le 1er congre du parti du FLN du 16 au 21 avril 1964 (Commission Centrale D'orientation). Imprimée Sur Les Presse Du Journal AN NASR/Constantine) P 23.

[2] فانون، المرجع نفسه، ص 92.

[3] لعكايشي عزيز، **الحضور والغياب لمتخيل الريف ومتخيل المدينة في الشعرية الجزائرية الحديثة** (قسنطينة، جامعة منتوري، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 25- جوان 2006) ص 151.

[4] جورج لابيكا، **روبسبيير: سياسة للفلسفة**. ترجمة: منصور القاضي (لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، دار مجد، الطبعة الأولى 1994) ص 19.

[5] Robert J.C Young, Op.cit. p 278.

وآنية في حركتها، إن الوعي الثوري الجزائري هو تعبير قوي عن حركة الوعي السياسي لدى الجماهير"[1].

والسؤال المطروح حول مبحث دور الريف، كيف استطاع الريف الجزائري المدمَّر والمحاصر سكانه أن يشكل الدعامة الرئيسية في التحرير؟ وهل انتفاضته يشكلها وعي سياسي قومي ام ردة فعل على وضع اقتصادي متناقض؟ الواقع أن هذين التساؤلين أنتجا تيارين فكريين متبارزين في تناول أدوار الريف، وقد أشرنا إليهما عبر مناظرة حربي وفانون. لكن العمل المتميز لصياد وبورديو حول **(الاجتثاث *Déracinement*)**[2]، كرس نزعة حداثية ومنظور اقتصاد مجالي في تعريف الريف، ونظرية في التغيير الثقافي للمجتمعات التقليدية والريفية. ولا بأس بالإشارة إلى بعض نتائج هذا البحث: لأن "**براديغم الاجتثاث**" بتعبير كولونا سيقدم كثيرا كمصطلح وإجماع علمي حول الريف، وستبنى عليه السياسة التنموية التحديثية فيما بعد، مثل إصلاحات الثورة الزراعية والقرى الاشتراكية، ورغبة الانتقال من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث بفعل التحديث. كل هذه السياسات ستؤثر على الريفيين، *"فالسياسة وبفعل هذه الأطروحة، ستُدخل التاريخ والزمن لتعريف المجتمع الريفي سواء عبر النظر إلى دوره الثوري، أو بادعائها تدارك التأخير الذي هو فيه*"[3]. وستنخرط النخب السياسية في *"تحديث المجتمع رغما عنه"*[4]، كما أن البراديغم سيفسر لاحقا تدخل الدولة لإعادة هيكلة الريف.

يقوم البحث الميداني الذي أعده عبد المالك صياد، وبيير بورديو في العديد من المناطق (القالة، كركرة، عين أغبال، القبائل، مطماطة، الجبابرة) "*على الدراسة المونوغرافية للوحدات الاجتماعية المختارة بطريقة منهجية، ساعيا إلى معرفة نتائج سياسة التجميع عبر مختلف الظروف، ومعرفتها من خلال تحليل الثوابت، والكشف عن منطق هذا التطور المتسارع والذي قاد في سنوات قليلة المجتمع الريفي وبشكل نهائي إلى قطيعة مع ماضيه*"[5]. والدراسة مساهمة في الانتربولوجيا الثقافية وعلم الاقتصاد الريفي، تبرز كيف تغيرت سمات الحياة الاجتماعية التقليدية بفعل تجميع السكان في مراكز مراقبة عسكريا بعد ترحيلهم، و"*اعتبر ترحيل السكان هذا الأكبر وحشية الذي عرفه التاريخ*"[6]، وتَمَّ في ظل *"زوبعة من النزوح الفوضوي يحددها العمل القمعي*"[7]، وظهرت بفعله عادات جديدة، فانقسمت العائلة، وتراجعت المزايا الرمزية لملاك الأراضي الكبار وللشيوخ، وتغيرت الهرمية التقليدية، وتم التخلي عن زراعة الأرض،" *فالزراعة لم تنتزع عنها القدسية وفقط، ولكن تراجعت قيمتها كذلك*"[8]، وظهر تقسيم جديد للعمل، أغلب ما يميزه ظهور الأجور والتعاملات النقدية. *"فلم يعد يعني العمل الزراعي مهنة وشرف، ولكن أصبح يمثل أجرا"*، و *"بالموازاة، يتجه*

---

1 Réda Malek, **Guerre de libération et révolution démocratique: écrits d'hier et d'aujourd'hui** (Alger, Edition Casbah 2010) p 111.

2 Pierre Bourdieu Et Abdelmalek Sayad, **Le déracinement: la crise de l'agriculture traditionnel en Algérie** (Paris, Editons De Minuit 1964).

3 Colonna, op.cit, pp 68-75. انظر :

4 (Moderniser la société malgré elle) مقولة يرددها الأستاذ يعلاوي في تناوله لاستراتيجيات التحديث ومساره بالجزائر.

5 Bourdieu Et Sayad, Op.cit. p 46.

6 Ibid., p 13.

7 Ibid., P 12.

8 Ibid., P 95.

نحو التطور نوع جديد من التضامن، ليس مبني على القرابة، ولكن شبيه بمثل الذي في الأحياء الفقيرة الحضرية."[1] فهؤلاء *"الحضريون بلا مدينة"*[2] سيتطبعون بسلوك فرداني– اقتصادي حضري، باعتبار أن مراكز التجميع همزة وصل بين المدينة والريف. *فالاتصال مع عالم مختلف، يمثل في هذه الحالة تقليدا عفويا استثنائيا"*[3]. وسيلجأ الفلاح بعد أن فقد كل شيء العمل في مزارع المستوطن ذات المكننة الحديثة، في في ظل ثنائية اقتصادية تقليدية وحديثة. ويدخل في تناقضات نفسية، يجسدها "**الهابتوس** *Habitus*"[4] الذي الذي هو :"*هيئة عامة ودائمة أمام العالم والغير، والفلاح يمكنه أن يظل فلاحا، حتى ولم يعد له القدرة على التصرف كفلاح*"[5].

هناك ضرورة منهجية يفرضها هذا العرض، وهي توضيح كيف أن "**الاجتثاث**"* سيصبح تقليدا أكاديميا للتقليل من الأدوار السياسية والإستراتيجية للريف إبان الفترة الثانية من سير الحرب، باعتبار أن سكانه كانوا محاصرين، أو أن التثاقف الذي سيحصل مع أهل المدن، سيمكنهم من إدراك وعي قومي سياسي. فسطورا يعتبر أن النضال السياسي للفلاحين داخل الحركة الوطنية كان ضعيفا، وأن "*معظم الكوادر الوطنية هم مُجتثين (مُستأصَلين) بعد قطعم مع بيئتهم الأصلية، ويؤدي اندماجهم الاجتماعي غالبا ليصبحوا "ثوارا محترفين"، فالحركة كانت تضم عددا محدود من الفلاحين والمثقفين، والذين كانوا بعيدين عن العمل السياسي والتحقوا به في فترة متأخرة*"[6]. ويمثل قاموسه البيوغرافي لحولي 800 شخص مناضل تدعيما تدعيما لهذا المنطلق[7]. وبعد أن تنخرط الدولة المابعد كولونيالية في تحقيق التنمية، سيوظف براديغم الاجتثاث منطلقا لتطوير هاته المجتمعات، ظنا منها أن التجميع يمثل صيغة تثاقفية وتحديثية، فبورديو يعتبر " *في المقام الأول، أن تدخل السلطات(يقصد الاستعمارية) هو العمل البسيط لوصل المجموعات المختلفة. فتاريخها الحديث ودرجة تثاقفها تحددان مدى سرعة عملية التغيير الثقافي. لقد استند عمل المسؤولين على عزيمة، صريحة أو ضمنية، على "تطوير" الشعب الجزائري نحو بنيات و مواقف اجتماعية من الطراز الغربي*"[8]. وأن مركزة السكان "*ستبني نوعا جديدا من التضامن المبني على الجوار، ووحدة الشروط الوجودية*"[9].

---

1 Ibid., p 134.
2 Ibid., p 117.
3 Ibid., p 123.
4 سيشكل **الهابتوس** ***Habitus*** الصيغة النظرية البورديوية في الفعل الاجتماعي التي صاغها بعد بحوثه بمنطقة القبائل. وهو" نسق الاستعدادات التي ينشأ عليها الفرد ويكتسبها وهي تتعلق بأربعة مستويات: العرفاني، والخلقي، وهيئة الجسد، والجمالي. وهي عموما استعدادات تشتغل وفق أواليات معقدة داخلية تكون حدود النسق وتشكله أي انشاءه الذاتي في استقلالية عن محيطه وتخرج للناس ممارسات تعبر عن الهوة الاجتماعية لصاحبها". بيير بورديو وجون كلود باسرون، **إعادة الإنتاج: في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم**. ترجمة ماهر تريمش (لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، نوفمبر 2007) ص 387.
5 Bourdieu et sayad, op.cit. P 102.
* تحمل العربية عدة ترجمات ل Déracinement منها (الاجتثاث، الاستئصال، الاقتلاع) وسنستعمل أي مفردة حسب الضرورة البلاغية لسياق الجملة .
6 Benjamine Stora, **Faiblesse paysanne du mouvement nationaliste algérien avant 1954**.(Paris, Presse universitaire du sciences po) Vingtième Siècle .Revue d'Histoire, No.12 Oct.-Dec, 1986) p 59. Stable URL: http:/www.jstor.org/stable/3768591
7 Benjamine Stora, **Dictionnaire biographique de militantes algériens 1926,1954** (Paris, Editions l'Harmattan, 1985).
8 Bourdieu et sayad, Op.cit. P 118.
9 Ibid., p 119.

ويمكن إبداء بعض الملاحظات –ولو أن النقد هنا يخص علماء الاجتماع والجغرافيين والمؤرخين– منها: أن الريف الجزائري التقليدي كان في أزمة حتى قبل هذه المحتشدات، وزادت هذه الأخيرة مضاعفتها. لقد *"أدى التجميع في كثير من الأحيان إلى**'سياسة الأرض المحروقة' و'المناطق المحرمة'**، وكان هناك إخلاء ممنهج للأقاليم المتاخمة للحدود الشرقية والغربية بالجزائر، وتدفَق اللاجئون إلى المستوطنات المجاورة، ووضعوا في مراكز تجميع جديدة التي أنشأت من قبل الجيش بناءا على إستراتيجية عسكرية وليس معايير اجتماعية واقتصادية، ففي بداية 1957 ظهرت سياسة منظمة ذات مبادئ توجيهية رسمية تقترح أن تلك المواقع التي اختيرت بشكل سيء ستصبح مؤقتة، وأن تلك المموضعة جيدا ستصبح مناطق ريفية أو مناطق حضرية فرعية، وستحصل على بعض المال والتخطيط. ففي نوفمبر 1959، كان هناك جهد مدني متأخر لتحويل السياسة العسكرية إلى إستراتيجية للتنمية، ولكن إلى ذلك الحين، فإن الضرر الاقتصادي على الريف الجزائري كان بالفعل قد تم"*[1]. بالإضافة إلى أن الريف لم يكن محاصرا كله، وإنما 3/1 من مجموع سكانه.[2] أغلبيتهم شيوخ ونساء. وبخصوص التحديث فالعديد من المراكز (قدرت مراكز التجميع حسب كورناتو 2300 مركز) كانت غير مؤهلة ولائقة، والتركيز على دعم *"بعض المراكز، فقط لسيصبح موضوعا لممارسة الدعاية لدعم أنشطة فرنسا بالجزائر"*[3].

والحقيقة أن المحتشدات لم تولد سوى بؤسا وتشاؤما كبيرا: *"مع تزايد الحرب تدريجيا، كثرت المناطق المحرمة. وبدت معدلات جماهير السكان المحوَّلة مقلقة، ففي المساء ألاف الناس يتجولون على الطريق، ويتجمعون في النهاية في مأوى يرثى لها لقضاء الليل. هذا التشرد المعمّم سيخلق مشكلة للجيش الذي فقد السيطرة على السكان، وسيشكل عبئا من عدة نواح: أولا تكتيكيا على الأرض، كما سيعطي صورة سيئة عن الجيش الفرنسي في الساحة الدولية"*[4]، وهذا ما جعل جبهة التحرير تستعمله في دعاية مضادة، حيث *"قدَّم القوميون برنامج التجميع كسلاح دعاية قوي ضد الفرنسيين، إن البؤس والمرارة التي أحدثها ولدت أرضا خصبة لانتشار الأفكار القومية، لكن ما هو أهم بكثير هو أن القوميين كانوا قادرين على تركيز الاهتمام الدولي حول هذه المسالة الجزائرية من خلال إظهار أن هذه المراكز قلدتها فرنسا من معسكرات الاعتقال النازية، فالتجميع بالمقابل ساعد جبهة التحرير الوطني لتحويل الهزيمة العسكرية إلى نصر سياسي وعسكري، ولسوء الحظ، ممكن أن يكون هذا أقل عزاء لتلك المجتمعات التقليدية التي دمر وجودها وأسلوب*

---

[1] Keith Sutton, **The influence of military policy on Algerian rural settlement**.(USA, American Geographical Society, Geographical Review, Vol. 71, No. 4 (Oct., 1981)), p 38

[2] يشير ميشال كارنتو إلى السرية وتضارب المعطيات الذي اكتنفها إحصاء سكان المحتشدات(سنستعمل المحتشدات للدلالة على الاسم، والتجميع للدلالة على الفعل):" ففي 1960 أحصى مركز الإحصاء العام 2157000 ، وإحصاء رسمي للمفتشية العامة للتجمعات السكانية (IGRP) ب 1958302 ." لعرض مفصل لسياسة التجميع في الفترة الكولونيالية وما بعدها ينظر:
Michel Cornaton, **Les camps de regroupement de la guerre d'Algérie** (Paris, L'Harmattan. 1998).

[3] Keith Sutton and Richard I. Lawless, **Population regrouping in Algeria: traumatic change and the rural settlement pattern** (Blackwell Publishing on behalf of The Royal Geographical Society (with the Institute of British Geographers)Transactions of the Institute of British Geographers, New Series, Vol. 3, No. 3, Settlement and Conflict in the Mediterranean World (1978), p333.
Stable URL: http://www.jstor.org/stable/622160

[4] Dmoh Bacha**, Palestro Lakhdaria: réflexions sur des souvenirs d'enfance pendant la guerre d'Algérie** (paris, Editions L'Harmattan (collection gravure de mémoire), juin 2011) p 152.

حياتها بفعل المحتشدات"[1].

يقدم الاجتثاث قراءتين حول التغيير السوسيو– اقتصادي، الأولى:"**استئصال**" الريفيين من بيئتهم ما يسبِّب أمورا كارثية، والثانية: دور عملية "التأصيل" في بيئة جديدة في التثاقف والتمدين، و كيف *"يشجع على تطورات مثل التي في الأحياء الحضرية"*[2]، مستعملا في ذلك الأدوات الماركسية، كالتي تتعلق بصيغة النقود التي يفرضها النظام الرأسمالي، مع الوفاء لمنهجية دوركايمية لشرح الديناميكات الداخلية لمجتمع قبائلي مغلق. عبر الكشف عن الممارسات المكانية–الزمانية للممارسات الفردية، ودور التمازج الثقافي métissage Culturel في التغيير بحيث *أن أصل **تغير الأزمة** هو خارجي عن **الهابيتوس**، وفي الحالة القبائلية يأتي من الحداثة الاوربية"*[3]. لقد أشارت العديد من نظريات الثقافة إلى **التثاقف**، لكن ذلك يتم في الحالات العادية كتطور، وليس حالة الاستعمار. فالفلاح المنتمي لقبائل أرهقت العدو يعي أنه حوصر كاستراتيجية للتهدئة Pacification، وعلى مستوى الثقافة *"فالسمة الثقافية تقبل، مهما كان شكلها ومهما كانت وظيفتها، قبولا أفضل وتدمج إذا تمكنت من اكتساب دلالة متوافقة مع الثقافة المتقبّلة. نجد في هذا الصدد، فكرة اعادة التاويل العزيزة على هرسكوفيتس"*[4]، فالواضح أن عدم الاستقرار يعني وقتية الأحداث وصعوبة إنغراس العادات الجديدة في النفسية الفردية بشكل كلي، بالرغم من أن التغيير في السلوكات والممارسات المجتمعية لدى الأفراد يستوجب تعديل وملائمة بعض الاتجاهات لتنسجم مع الوضع الراهن المتبدل. إن سياسة التفكيك النفسي الثقافي لا يمكن أن يعبّر عنها "**كمهمة منجزة**" بالكامل، وأنه تم بالفعل تهديم التمثلات التقليدية الماضية، فالحاصل عموما أن بعض الاختيارات الثقافية منها ما هو طوعي ناتج عن الوعي الجديد، وأخرى مجبرون عليها تحدث تحت إرغام "**الضروري**" مع وجود رفض نفسي داخلي للكبار لثقافة (العيب)[5] المتفشية بين الشباب، والتي تتم بعنوان الاندماج والانفتاح.

إن الاجتثاث عملية عرفتها العديد من المجتمعات، ولم يؤدي سوى إلى الهدم. ففرنسا مثلا يقول أحد مفكريها: *" لقد كان اجتثات الفلاح في السنوات الأخيرة، خطرا قاتلا للبلاد مثله مثل اجتثاث طبقة العمال، ومن بين الأعراض الخطيرة التي كانت في السبع أو الثماني سنوات، هي إخلاء الأرياف، متبوع ذلك بأزمة بطالة حادة"*[6]. لقد وُضع الريف الجزائري بعد الاستقلال أمام براديغميين متصارعين: الأول يجسده فانون

---

1 Keith, Ibid., p 334.

2 Bourdieu Et Sayad, Op.cit. p 153.

3 Paul A Silverstein, **De l'enracinement et du déracinement**. In: Actes de la recherche en sciences sociales. vol. 150, décembre 2003. p 29.
http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/arss_0335-5322_2003_num_150_1_2769

4 دنيس كوش، مفهوم الثقافة. ص 97.

5 في الورقة الاصلية لنتائج البحث يعبر بورديو عن مفهوم الثقافة بمستواها البسيط وتتمثل في الانشطة العادية اليومية التي تجسدها **شخصية الوضعية** . فتظهر عادات جديدة في المحتشدات كالمقهى، لعب النرد، عمل المرأة...الخ ويفسرها على اساس رغبة التخلي عن عبء التقليدية . يصيغ الباحثان هذه النتائج نظريا في كتاب (الاجتثاث) مع اختصار العديد من تلك الملاحضات او تعديلها انظر:
Pierre Bourdieu And Abdelmalek Sayad, **Paysans déracinés: bouleversement morphologiques et changements culturels en algérie** (Paris, Études Rurales, No. 12 (Jan. - Mar., 1964), pp. 56-94, EHESS Stable URL: http://www.jstor.org/stable/20121127 .

6 Simone Weil, **L'enracinement**: **prélude à une déclaration des devoirs envers l'être humain**, (Paris, Les Éditions Gallimard,1949) p 60.

متفائل بالريف وبالفلاح ويؤكد على أصالته، والثاني يقدمه بورديو المتشائم حول *"الفلاحين المتشائمين"*[1]. وسنلاحظ في المبحث الذي يلي كيف أن هذين البراديغمين وبمنهجية سياسية سيوضَّفان على الوسط الريفي خلال تطبيق سياسات تنميته.

1-4/ الدولة والمجتمعات الريفية بعد الإستقلال: إعادة إنتاج المكان والزمان.

" إن مشكلة السلطة خالدة، سواء حُرثت الأرض بالمعول أم بالجرّافة."
ريمون آرون (أبعاد الوعي التاريخي)

" لو صدقنا المخططين وما يقرره الإجماع العلمي، فان الريف الجزائري مادة محزنة، في الوقت نفسه هو في تأخر أو قيد الولادة، فلاشيء فيه حسن ومطمئن للعلم."

فاني كولونا (علماء مزارعون)

ظلت طبيعة المجتمع الجزائري طبيعة ريفية، رغم ما تعرض له خلال الفترة الاستعمارية من **سياسات التفكيك الاقتصادي والاجتماعي** (Addi.1982)، وتعدى تغيير ملامح الوسط الريفي إلى محاولات زعزعة الفلاح بين خلق فلاح[2] (Ethos Paysan) أو خلق اقتصادي (Ethos Economic) كما يبين ذلك بورديو، بإرغامه أن يستبدل مفهوم "**الزمن**" (زمن مجرد) والمؤسس على إيمان روحي بما "**سيأتي** à venir" من ربح نتيجة نشاطه الزراعي، إلى زمن مادي مرتبط "بذهنية الحساب العقلاني" للفوائد، وبتقليص دورة الإنتاج الزراعية، إضافة إلى إرغامه اعتماد صيغة القروض، *"ففي كل المؤسسات والتقنيات الاقتصادية التي أدخلها المستعمر، فلا شك أن القرض هو بعيد عن منطق الاقتصاد الماقبل رأسمالي، إذ انه يشير إلى مستقبل مجرد، والمحدد بعقد مكتوب، ومضمون تحت نظام من العقوبات، وعلى أساس مفهوم للفائدة، يعطي قيمة محسوبة للزمن"*[3]. إن *"عدم قدرة الفلاحين على استعمال النقود، وعدم تكيفهم مع القواعد القانونية قد ساهما بشكل كبير في تسريع حركة سلب الأراضي"*[4]. مما سيضع الريفيين في طبقية مجحفة، وربما إجبارُهم البحث عن السلام بدل الحرب.

غير أن الفلاح لا يستريح حتى مع السلام، وثورته لا تنتهي، فالمطلوب منه بعد الاستقلال أن يحقق ثورة الإنتاج. والعلاقة مُستعمِر ومستعمَر ستتبدل إلى مجتمع ودولة. دولة جديدة تشكلت بالمعنى المؤسساتي المادي وسيتوجب عليها البحث عن صيغة مجتمع أولا، وموقع في المنظومة الدولية ثانيا، *"ويفترض هذا الطراز أن يكون للمجتمع الريفي موقعا مختلفا في المجتمع ككل، منتقلا من الاكتفاء الذاتي النسبي، إلى*

---

1 Deborah Reed-Danahay, "**Tristes paysans": Bourdieu's early ethnography in Béarn and Kabylia** (USA, Anthropological Quarterly, Vol. 77, No. 1 (Winter, 2004), The George Washington University Institute for Ethnographic Research) p101.
Stable URL: http://www.jstor.org/stable/4149869 .

2 **Pierre Bourdieu, Algérie 60, structures économiques et structures temporelles**.(Paris, Les Editions De Minuit.1977) p 21.

3 Ibid., p25.

4 Ibid., p25.

موقع تام الاندغام في الكل الأوسع، تفصح عنه الدولة، كوظيفة لدور التكوين الطبقي الاجتماعي-الاقتصادي. أما القسم الآخر من العملية، فهو إندغام المجتمع القومي في منظومة الاقتصاد العالمي، وفي وضع "اعتمادي" عليها كما هو المعتاد" [1].

فرضت بدايات إختبار وظيفية الدولة على*"المجموعة التي إستلمت السلطة تأكيد وتعديل الاتحادات الاجتماعية وتحديد الأساس الاقتصادي الذي يجب أن تتأسس عليه الدولة"* [2]، وإدارة الرأسمال الاجتماعي والبقايا الثقافية، *"وأن تثبت للشعب وللمجتمع الدولي أنها قادرة على تسيير هذا الموروث"* [3]. *إن "الجزائر في البحث عن كتلة اجتماعية جديدة"* [4] كان لازما عليها **إعادة تنظيم المكان والزمان** لتكويناتها، وإعادة إنتاجهما بشكل يتماشى مع الصيغة الاقتصادية المستحدثة، خصوصا في المجتمعات الريفية المعروفة ببنياتها القبلية، للتمكن من إنتاج علاقات من نوع جديد، والانتقال من البنى الزمنية إلى البنى الاقتصادية بتعبير بورديو. والعمل على **تحويل الروزنامة الإنتاجية للقبيلة**، لتستوعب شروط الإنتاج الوطني. إن فهم علاقات الدولة بمجتمعاتها المحلية بعد الاستقلال، والتي تمثل فيها المجتمعات الريفية فضاءا واسعا وديموغرافية أكبر، سيعطينا تصورا عن فلسفة تشكّلها وسيمثل توسيع السلطة الممركزة في المدينة إلى تلك الأرياف البعيدة تحديا في تحقيق السيطرة وغرس الأجهزة الإيديولوجية والمؤسساتية وحتى القمعية فالسلاح لا يزال بيد

الروزنامة السنوية للقبيلة، حسب بورديو(1977) [5]

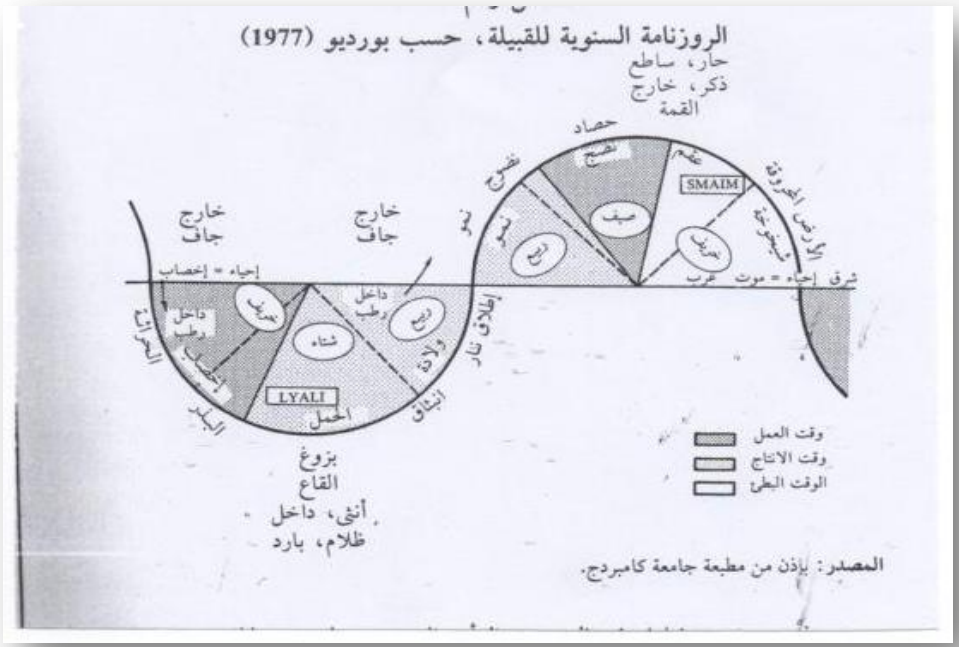

عدد كبير من المجاهدين. أضف إلى هذا المعطى "الأفقي" إندغام يتم بشكل "قاعدي"، يجسده التواصل الجديد ريف-مدينة، سيفصح عنه النزوح الريفي إلى المدن[6]، للسكن وإيجاد فرص العمل، والتجول بحرية في العاصمة

---

[1] نيكولاس هوبكنز: **الطبقة والدولة في المجتمعات العربية الريفية "دراسة حالات"** (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، عدد 109، 1988) ص ص 14-15.

[2] Claudine Chaulet, **La terre, les frères et l'argent : stratégie familiale et production agricole en Algérie depuis 1962**. Tome 1(Alger, OPU. 1984) p 38.

[3] Ibid., P 39.

[4] علي الكنز، عبد الناصر جابي: **الجزائر في البحث عن كتلة اجتماعية جديدة** . في (**الأزمة الجزائرية**، المرجع نفسه) ص 255.

[5] ديفيد هارفي، **حالة مابعد الحداثة**، ص 256.

[6] بحسب عبد اللطيف بن اشنهو فان معطيات إحصاء السكان مابين 1962، 1966 يظهر نموا في سكان المدن يقدر ب 600000 شخص، أي بمعدل 150000 شخص سنويا. انظر:
Abdellatif Benachenhou, **L'exode rural en Algérie** (Alger, SNED, Sans Date) p 9.

(المدينة–الدولة)، والرغبة في العيش وتحقيق أحلام بحجم الاستقلال. وكما تستعير كلودين شولي المصطلح المحلي الدال على أهل الريف(**ناس برا**) *"فإن الانتصار يكمن في دخول (ناس برا) في الأماكن التي تتواجد فيها السلطة، وهي المدينة الكولونيالية"* [1] وستنجح هذه الفئة في اتخاذ القرارات المركزية.

بعكس النظرية الماركسية، يمكن أن يشرح الجزائر الناشئة أطروحة بيير كلاستر (1984) التي مؤداها *"أن الانتقال من مجتمعات بلا دولة إلى مجتمعات لها دولة يتحقق من خلال تكون سلطة سياسية تسبق الانقسام إلى طبقات في علاقات الإنتاج"*[2]. أي أولوية السياسة (النمط الثاني من نظريات التغيير السياسي، انظر الفصل الأول) وستفرض تقسيما فوقيا للعمل، يحاول أن يحقق العدالة الاجتماعية. بناءا عليه ستتعامل السياسة مع المجتمع الريفي وفق براديغمين: أوله **البراديغم الفانوني** (Fanonien) الذي يعلي من دور الريف في حرب التحرير. وستظهر أولى تطبيقاته في دستور 1963، حيث يحدد في مقدمته الفئات الاجتماعية التي تولي لها السلطة السياسية جل اهتمامها، فـ*"ممارسة السلطة من طرف الشعب الذي يؤلف طليعته فلاحون وعمال ومثقفون ثوريون"* [3]. وفي ميثاق الجزائر 1964 الذي يعتبر أنه *"في كل التكوينات الاجتماعية للبلاد، فان طبقة الفلاحين الفقيرة في الأرياف –التعبير الأوضح عن مصادرة الجزائريين– كانت أدوارها الأكثر حسما في سير حرب التحرير الوطنية"* [4]. وثانيا **البراديغم البورديوي**، المتشائم من نفسية الفلاح الجزائري، وثنائية توجهها بين الحداثة والتقليد.

ستعمل الدولة على تنظيم اجتماعي جديد خال من الطبقية. ويكون تدخلها أولا في تسوية العقار الفلاحي، أي الأرض الذي اعتبرت دوما رمزا للسيادة. وأول ما تقوم به إعادة تأميم الأراضي المهجورة التي استولى عليها عمال المستوطنين *"الذين عرفوا فيما بعد(تحت الوصاية) كوارثين لهم، لأنهم كانوا أقل فلاحية من الفلاحين، وكان لهم موطئ قدم في الاقتصاد "الحديث"* [5]، وسيشكّل نظام التسيير الذاتي "**المنفذ**" (يعلاوي: 1982) السياسي–الاقتصادي المتاح لدولة لم تكتمل مؤسساتها بعد، ونظامها التشريعي يخضع لتوكنراطيين في أول تجربة لهم في تسيير هذا الموروث*، ورغبة الدولة في إيجاد مداخيل لتسيير أجهزتها، ومحاربة البرجوازية الزراعية الجديدة. لا يمكننا في هذه الدراسة عرض تفاصيل أكثر عن هذا القطاع، لكن ما يهمنا هو محاولات مراقبة الأنشطة الاقتصادية للمجتمع من قبل الدولة، التي يتحتم عليها وظيفيا الإنتاج، والتنظيم، والتوزيع. ومن جهة أخرى كيف أن أفراد المجتمع الريفي الذي كانوا مرتابين وحاقدين على أجهزة الدولة الاستعمارية الحداثية، يتوجَّب عليهم الانخراط في صيغة تواصل مع القطاعات الاقتصادية الجديدة للدولة المستقلة. *"لكن لدى تطبيق التسيير الذاتي الزراعي في بداية استقلال الجزائر اعتبر الشكل التنظيمي للعمل الأكثر تقدما للقضاء على التناقض القائم في العمل بين مستويي التخطيط والتنفيذ، أو بين المنفذين*

---

[1] Claudine, Op.cit. p 33.

[2] نيكولاس بولانتزاس، **نظرية الدولة** . ترجمة: ميشيل كيلو (لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة 2007) ص 40.

[3] موقع رئاسة الجمهورية : http://www.el-mouradia.dz/arabe/symbole/textes/symbolear.htm

[4] La Charte d'Alger 1964, Op.Cit, P 20.

[5] Claudine, Op.cit, p 62

* أُصدِرت عدة نصوص لتمتلك الدولة بموجبها الأرض عرفت **بنصوص مارس 1963** التي ستقنن هذا المنفذ (التسيير الذاتي): مرسوم 22 مارس 1963 لانتزاع ملكية الأراضي المهجورة، مرسوم 22 مارس 1963 ينظم تسيير المستثمرات الزراعية المهجورة، مرسوم 82 مارس 1963 يتضمن توزيع مداخيل قطاع التسيير الذاتي.

والموجهين، ويمكن اعتبار هذا المنفذ (التسيير الذاتي) في ذات الوقت لم يكن موجها" [1].

هذا الفشل في أولى محاولات تحقيق الإنتاجية الزراعية، سيلام عليه "خلق الفلاح"، وسيتحول التمجيد الذي كرسه البراديغم الفانوني، إلى تشاؤمية البراديغم البورديوي، *"وسيصبح* ***المزج الثقافي*** *(Le Sabir Culturel) أكثر قراءة لدى بيروقراطي الإصلاح الزراعي"*[2]. والذي يذم المؤامرات الداخلية التي تمتلكها نفسية الفلاح في الإنتاج، تلك النفسية المتناقضة بين التقليد والتحديث. وستنخرط الدولة في الثورة الزراعية*، محاوِلةً عصرنة الريف والقضاء على البرجوازيات الزراعية وتوزيع عادل للثروات وإزالة الثنائيات التي تركها الاستعمار: بين الريف والمدينة، البرجوازية والفقراء، التعريب والفرنسة. التحديث والتقليد... لذلك قررت إصلاحا اشتراكيا من "**فوق**" ذو أهداف إجتماعية وإقتصادية تمثل في الثورة الزراعية، متبوعة بأخرى ثقافية وصناعية. أهدافها حسب دستور 1976 (المادة 20) *"تخلق الثورة الزراعية نموذجا جديدا لمجتمع ينبئ بجزائر تتطور كل جهاتها من مدن و أرياف، بكيفية منسجمة. وتستهدف الثورة الزراعية:*

أ) تقويض الأركان المادية و المفاهيم المعادية للمجتمع، المتمثلة في استغلال الإنسان للإنسان.

ب) تحطيم قيود النظام الاقتصادي البائد القائم على التبعية و الاستغلال.

ج) بناء العلاقات الاجتماعية في الوسط الريفي على قواعد جديدة.

د) محو الفوارق بين المدن و الأرياف و خاصة ببناء القرى الاشتراكية.

هـ) جعل العمل المنتج قاعدة أساسية للنظام الاقتصادي و الاجتماعي في الأرياف" [3].

يتضح جليا أن السياسة حاولت فرض منطق جديد فيما يخص العلاقة مدينة– ريف، قائمة على عدالة التوزيع، فالأرض لمن يخدمها، وليس لمن يؤجرها ويسكن المدينة. *"في نهاية المطاف، بدت السياسية الجزائرية إلى غاية 1971 كامتداد، كنوع من الوفاء لحرب التحرير الكبرى، كمشروع للتحرير يجري بشكل واضح في جميع المجالات. يمكن أن نقول أيضا أن حرب التحرير أدت إلى تقويض البرجوازية الاستعمارية، وأن الفترة الممتدة مابين 1964–71 أدت إلى طرد الرأسمالية الوطنية الجديدة"*[4]. فقد استطاع بفضلها أن يستفيد منها الفقراء، وتم إدخال المكننة الحديثة لعمل الأرض. ما يهمنا في هذا المشروع هو علاقة الفلاح بالدولة، وكما يتساءل أحد الكتاب: "***هل هي الفلاح المتحكِّم أم التحكُم بالفلاح***"[5]. رغم هذا المسعى إلا أن المشروع طبق بآليات تحاول إزالة البنيات التقليدية للإنتاج، وتحديثها بغية تحقيق نمو اقتصادي سريع، فالريف وآلته الإنتاجية الفلاح يجب أن يخرج من عقلية ال Gourbi، والقبلية والمؤامرات

---

[1] يعلاوي أحمد، **شروط اعادة انتاج قوة العمل في القطاع الزراعي المسير ذاتيا،حالة تطبيقية ولاية تلمسان** (وهران، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير. مناقشة بتاريخ 23-12-1981) ص 3.

[2] Colonna, Op.cit. p 73.

[*] وردت النسخة الاولى لهذا المشروع عام 1964، واعيد عرض فكرته عام 1968. صدر اخيرا بموجب الامر 73/71 المؤرخ في 1971/11/80.

[3] موقع رئاسة الجمهورية http://www.el-mouradia.dz/arabe/symbole/textes/symbolear.htm

[4] Bruno Etienne (Collectif) , **Les problèmes agraires au maghreb** .(Paris, Centre National De La Recherche Scientifique (CNRS) .1977) p 95.

[5] Peter Knauss, **Algeria's "agrarian revolution:" peasant control or control of peasants?** (African Studies Association, African Studies Review, Vol. 20, No. 3, Peasants In Africa (Dec., 1977), pp. 65-78. Stable Url: Http://Www.Jstor.Org/Stable/523754 .

داخل المؤسسة. ما يعتبره المسيرون الحداثيون وفقا لبورديو السبب في فشل قطاع التسيير الذاتي، يقول بورديو: *"في أي مزرعة للتسيير الذاتي، فان الجهود المبذولة لزيادة الإنتاجية، معرضة للخطر بسبب لعبة تقاليد التضامن البالية، والتي تدفع العمال إلى جلب آبائهم الغير مؤهلين للعمل، مما يزيد بشكل كبير في عدم التناسب بين الإنتاج والأيدي العاملة المستخدَمة"* [1]. والثورة الزراعية مسعى للدولة الجذرية للعقار الفلاحي.

وتمّ بالموازاة تطبيق مشروع القرى الاشتراكية، كإعادة لإنتاج المكان الريفي، بغية تحقيق تغيير اجتماعي وثقافي والتحكم بالنمو الديموغرافي وتقليص النزوح الريفي، والخروج من التقليد والتجمعات العائلية، لتصبح تنظيما إنتاجيا ومجتمعا اشتراكيا. ومقارنة بما يوضحه كورناتو، فإن المحتشدات التي وضعت لإستراتيجية عسكرية ستحاول الدولة تغييرها إلى أشكال وظيفية. فمنها ما اختفى بسبب إخلاء السكان العفوي، ومنها ما شهد **إعادة التوطين** وتم تجهيزها بالمباني العمومية لتصبح قرى وبلديات بشكل حضري، وتأتي سياسة القرى الاشتراكية ك"محتشدات" أخرى لإستراتيجية تنموية، والتي بنيت بشكل حضري، *"ويمكننا أن نتساءل هل تغيير ظروف الحياة الريفية ملزم أن يمر عبر المفهوم الحضري؟"* [2]. لكن المشروع خيب الآمال: *"فالقرى الجزائرية الجديدة، يقول دي بلانول De Planhol، تذكّر بمحاولات مشابهة، غير ناجحة عادة، لتجميع السكان، أجريت أثناء الحرب...ونعلم تماما أن مصير هذا النوع من التجمعات كان متفاوتا، وقادنا من نجاح لامع إلى خسارة كاملة"* [3]. هي خسارة في استقرار الريف، *"إن الأصول المتباينة للمحتشدات وقرى الإصلاح الزراعي يجب أن لا تحجب عن أعيينا كلتا السياسيتين لمواجهة تقليدية الفلاح، بإدخاله في مجموعة جديدة كاملة من التجارب المحيرة، والمؤلمة في بعض الأحيان"* [4].

والسؤال المطروح: هل هذا الفشل سببه الفلاح أم الدولة، حيث *"بينت الإصلاحات عدم قدرة الفلاحين على أن يفرضوا أنفسهم كقوة ثورية، كما الشأن للسلطات المركزية التي لم تشجع المنافذ التقنية والاقتصادية التطبيقية كمادة للتقوية"* [5]. لقد كتب الكثير في هذا الموضوع، لكننا نجد إجابة شارفان جوهرية إذ يؤكد أن: *"هناك تفعيل للقانون الجديد كأداة للثورة "من فوق"، في حين أن القانون القديم يشتغل بديناميكية "على الأرض"، ويشكل عائقا حقيقيا أمام تطبيق القانون الجديد، يتضح جليا أن المسألة ليست التأكيد المبالغ فيه حول دور القانون في فشل الاشتراكية. لقد ظهرت مقاومات عدة للمسعى الاشتراكي في مختلف دواليب الدولة، وهذا هو الأساس، فلم يكن على سبيل المثال في مصلحة بعض البيروقراطيين أن تنجح مشاريع القرى الاشتراكية أو الثورة الزراعية أو التسيير الاشتراكي للمؤسسات مع ذلك، إن طبيعة النظام القانوني*

---

1 Bourdieu Et Sayad, Op.Cit. p 162.

2 Ripault-Megerand, **Les villages socialiste en algérie**. In, Bruno Etienne (Col) Op.Cit, p 190.

3 Xavier De Planhol, **Les nouveaux villages d'Algérie** (Geografiska Annaler, Vol. 43, No. 1/2, Morphogenesis Of The Agrarian Cultural landscape: Papers Of The Vadstena Symposium At The Xixth International Geographical Congress (1961), Published By: Blackwell Publishing On Behalf Of Swedish Society For Anthropology And Geography) p251.
Stable URL: http://www.jstor.org/stable/520248 .

4 Sutton And Lawless, Op.Cit, P 348.

5 Guichaoua André, **Parcours d'un sociologue** (Revue Tiers Monde, 2007/3 n° 191).

الزائف قد لعب دوره"[1]. ويظهر الفشل الآخر في تضخم المؤسسات البيروقراطية، كرمز لهيمنة الدولة، *"فخلال الخمس سنوات الأولى من الثورة الزراعية في الجزائر، يعتقد معظم الفلاحين الصغار أنه يجري التحكم فيهم، وليس التحكم الظاهري في الثورة التي تشن بالنيابة عنهم*"[2].

ويظهر الحضور الجديد للدولة في تقوية القطاع العام، ومحاولة تقليص تراكم رأس المال الخاص، باحتكارها وسائل الانتاج الحديثة (بمنطق الاشتراكية). *"وتمثَّل هذا المسعى في العديد من المؤسسات الادارية بحيث:*

1-"الخاصية القضائية تعود للدولة.

2- توجيه الاستثمارات تقررها سلطة الدولة.

3- تختار سلطة الدولة بقرار سياسي المسيرين"[3].

لقد تم تطبيق الثورة عن طريق عدة هيئات لامركزية، بمعادلة **المركزة باللامركزية** Décentralisation par Centralisation غير انها خلقت بيروقراطية افشلت المشروع، اضافة الى محاولات الدولة وبطريقة ماوية (نسبة الى ماوتسي تونغ) صناعة فلاح بروليتاري مثله مثل العامل في المصنع، والواضح ان سرعة الديناميكيات الاقتصادية والاجتماعية في تلك المجتمعات كانت اكبر من حركة الدولة، ومن استراتيجية دو برنيس De Bernis في التنمية. فقد وضعت "**الصناعة المصنعة**" الزراعة في إهمال شديد، رغم تسييس الريف والفلاح بالثورة. إن فوبيا الثنائيات (تقليد/حداثة، رأسمالية/إشتراكية....) التي شكلت ايديولوجيا ما بعد الاستقلال كان لها الأثر في خلق هذه التراكمات. تماما كما عبَّر محمد بوخبزة بأن "النظرية الثنائية بعيدة كل البعد عن حقيقة العالم الريفي"[4].

غير أن السلطة ستحاول بمداخيل النفط الجديدة استدراك التأخر، وتقوية التكوينات المجتمعية، بمعنى **خلق الطبقات ودمجها**، "وسيتم التصحيح بدءا من 1979 والذي تظهر فيه نية مزدوجة: تعزيز *"الشبكة المركزية" وإدماج جزء من "البقية"، فمخصصات معتبرة من الريع تمنح في مجالات الاستهلاك (برامج استيراد والمسماة مكافحة النقص، توظيف شامل عبر الإدارات توسيع مراقب للمبادرات الصغيرة) إن هذه الدمقرطة في اعادة التوزيع النفطي ستسمح بدمج البقية، عبر جعلها زبونة للشبكات المركزية*"[5]. وسيشكل اعادة هيكلة حق الانتفاع الذاتي منفذا جديدا لتقليص الآثار السلبية للتعاونيات الزراعية الكبرى، وتحقيق استغلال عقلاني ومكثف للعقار الفلاحي، مع ضمان استفادة القطاع الخاص من التجهيزات

---

1 Robert Charvin, **D'un model à l'autre, la part du droit.** In, Robert Charvin Et Ammar Guesmi, **L'Algérie en mutation: les instruments juridiques de passage à l'économie de marché** (Paris, L'Harmattan, Janvier 2002) p 30.

2 knauss, op.cit, p 77.

3 Mourade Boukella, **Les politiques agraires en Algérie de 1959 a 1972: rupture ou continuité?** (France, Lyon, Université Lumière –Lyon 2, Thèse De Doctorat 3eme Cycle, Sous La Direction De Yves Bouchut. Soutenue Le 13 Mai 1983) p132.

4 Mohamed Boukhabza, **Monde rural : contraintes et mutations** (Alger, OPU, 1982) P 62.

5 Ahmed Henni, **Dualité économique et formalisation juridique dans la transition algérienne à l'économie de marche** in **Algérie en mutation**, Ibid., p 51.

والآلات الحديثة، وجعله يشارك في الأمن الغذائي. ويفسر هذا الاتجاه التأثر الواضح بالنظام الرأسمالي مع الوفاء لتسيير اشتراكي تعبر عنه المزارع الفلاحية الاشتراكية DAS.

وُضع الفلاح بين فكي كماشة النظامين الرأسمالي والاشتراكي التي عرفتها جزائر الثمانينيات، وأمام الاصلاحات الفوقية التي تتجاهل نفسيته وأحلامه. وجُعِل خاضعا لتجارب السلطة وفقهاء القانون في محاولات التكفير عن ذنوب الثورة الزراعية. لكن تم في الاخير محاولات خوصصة الملكية، وحل مشكل العقار الفلاحي بفعل *"قانون التوجيه الفلاحي رقم 25/90 المؤرخ في 1990/11/18 والذي يخضع لتصنيف طوبوغرافي وآخر عقاري"* [1]. وسيتم التحكم بالجغرافيا الريفية بطريقة علمية منظمة ومقننة. وستُحرَّر **عقود الحيازة** لتجاوز مشكل **الملكية**. مع رد الأراضي المؤممة إلى ملاكها الأصليين. لنخلص إلى أنه يمكن إضافة العائق التشريعي–السياسي لأزمة الفلاحة الجزائرية كإضافة الى العوائق المحورية الثلاثة التي يلخصها عمر بوسعود في:

1–عائق طبيعي: متعلق بالشروط الزراعية والمناخية.

2–عائق اجتماعي–تاريخي: متمثل في غياب قاعدة من الفلاحين.

3–عائق تقني [2].

ويحددها حميد آيت عمارة بالدرجة الاولى في النمو الديموغرافي الكبير في المجتمع الريفي والذي ينتج فائض عمالة، وفي السياسات النيولبيرالية المفروضة على هذا القطاع من طرف منظمة التجارة العالمية والاتحاد الأوروبي والتي لا تراعي خصوصيات الريف الجزائري[3].

إذا كانت الزراعة النشاط الاقتصادي الواسع بالريف فان تطورها او تراجعها يؤثر مباشرة على السكان القرويين، *"باعتبارهم مؤشر لجميع المناطق الريفية وتحولاتها، لأنهم اسقاط على المجال 'Espace'، والملموس الوحيد والاهم للمجتمع الريفي، حيث يمكن معرفة الاتجاهات العميقة له من خلال أشكال وتحولات سكان الريف"* [4]. والذين يمثلون تحديا لهيكلة مجالهم من قبل تدخل الدولة المباشر. وهذا ما جعل السلطات بداية من التسعينيات تفكر في صيغ أخرى لتقليص النزوح الريفي، وتحقيق التنمية الزراعية المحلية، باستيعابها متطلبات الفلاحين.

بهدف تحقيق استراتيجية اجتماعية للتنمية الريفية، يقترح أحد الكتاب أساليبا للمنهجية التشاركية Méthodes aux l'approche participative ، والتي تعطي أولوية للمحلي على الوطني. أي بمنطق لامركزية حقيقية في التنمية والتخطيط يشارك فيها الفلاحون أنفسهم مع تكوينات علمية و تواصلية، وتتحدد هذه المنهجية ب:

---

[1] عجة الجيلالي، **أزمة العقار الفلاحي ومقترحات تسويتها: من تأميم الملك الخاص الى خوصصة الملك العام** (الجزائر، دار الخلدونية، 2005) ص 238.

[2] Omar Bessaoud **L'Algérie agricole : de la construction du territoire à l'impossible émergence de la paysannerie (** Insaniyat n°7, janvier-avril 1999) pp 5-32.

[3] Hamid Aït Amara , **Crise agricole, crise du développement** (Recherches Internationales, N° 80, Octobre- Décembre 2007), pp185,198.

[4] Marc Côte**, L'habitat rural en Algérie formes et mutations** (Paris, Editions Du CNRS, Annuaire de l'Afrique du Nord, Tome XXV. 1986) p 299.

1- الاشراك المباشر للناس في اختيارهم للأعمال التي تستجيب لتطلعاتهم.
2- تنفيذ أشكال الشراكة التكميلية مع الدعم الفعلي للدولة.
3-إستعمال تقييم تشاركي كإجراء أولي لأي مشروع تنموي، وتعزيز الجوارية عبر تكوين فواعل التنمية التي تؤطر الناس[1].

هذا المسعى يمكن أن يجد تطبيقا لإدماج **الكل الريفي** (Tout Rural) وجعله منسجما، لكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار *"أن عقلانية الدولة الإنتاجية تتصادم أحيانا مع عقلانيات معقدة يشكلها العالم الريفي المتعدد"* [2].

2 - الوسط الحضري بالجزائر: عمران كولونيالي وتشكيلات اجتماعية مابعد كولونيالية.

2-1/ المدينَـــــــة: تجربة المكَان وحيوية المجال العام.

التحديات المصطلحية في دراسة المجال الحضري، جعلت النظرية في الجغرافيا وعلم الاجتماع الريفي والحضري تواجه العديد من الانتقادات في تصنيفاتها، وقد تناولنا في مبحث سابق العوائق التي يصادفها أي بحث عن تعريفات إجرائية تكون كفيلة بتحديد المناطق الريفية، ذلك أن الظواهر والممارسات الاقتصادية في الوسطين ليست مغلقة وإنما تتحرك ضمن سياق اجتماعي أكبر يضمهما جميعا. الأمر الذي فرض وجود اتجاه نظري عام في دراسة الجغرافيتين يتجسد في المتصل الريفي-الحضري.

ودفع تركز السكان في أمكنة معينة دون غيرها، وما يتشكل فيها من أنماط السلوك والتفكير، علماء الاجتماع والاقتصاد والجغرافيا إلى التساؤل عن أسباب هذه الإختيارات، وحاولوا تفسير الظواهر المجتمعية التي يفرضها شكل المدن، وكل ما يرتبط بالحضَرية: *"التي تشير إلى أنماط الحياة الاجتماعية التي يعتقد أنها مميزة لسكان المناطق الحضرية، وهى تتضمن: مستوى عالي التخصص من تقسيم العمل، ونمو الذرائعية فى العلاقات الاجتماعية، وضعف العلاقات القرابية، ونمو المنظمات الطوعية، والتعددية فى المعايير، والتحول العلمانى، وزيادة الصراع الاجتماعي وتعاظم أهمية وسائل الاتصال الجماهيرى"* [3]. لذا تعرف معظم القواميس الحَضَر بأنه: كل ما يرتبط أو يقع في المدينة. فأصبحت المزايا التي تقدمها المدن أو المشاكل التي تنتجها، مكان التحضّر وأعراضه لأن: *"المدينة حلبة (Arena)، هي المكان الذي غالبا ما ينطوي فيه التوازن بين العناصر على مواجهة بين المتناقضات مثل: تنفيذ القانون والجريمة، الاحتجاج السياسي والأعمال الروتينية للحكومة، الممارسات الدينية الأصولية ومصانع المواد الإباحية، السموم البيئية نتيجة الإنتاج الصناعي ومناقشات المجتمع حول الاهداف البيئية، إنها كلها "**ألعاب**"، ألعاب خطيرة للغاية، تأخذ لها مكانا جنبا إلى جنب. هذه الحلبة، التي تحتوي الجميع في غرفة، ومن ثم تضعهم في توترات مع*

---

[1] Omar Benbekhti, **La stratégie sociale du développement rural: introduction aux méthodes de l'approche participative** (Oran, Editions Dar El Gharb, 2004) p 18.

[2] Claudine, Op.Cit. p 75.

[3] جوردون مارشال، **موسوعة علم الاجتماع، المجلد الاول.** ترجمة: محمد الجوهري، محمد محي الدين، عدلي السمري (مصر، المجلس الاعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة. الطبعة الثانية 2008) ص 548.

بعضهم البعض" [1]. وقد توصلت الجمعية الأمريكية لعلم النفس عام 1998 في بحث حول تأثيرات الحياة الحضرية: *أنّ الحياة الحضرية لها بعض الآثار المفيدة، ولكن هناك قلق من الآثار السلبية على من يعيشون في المدن، بما في ذلك: الاغتراب، نقص المعنويات، العداء، تعاطي المخدرات، عدم الثقة، العزلة، اللامبالاة، التهميش والشعور بالعجز"* [2]. وعزّزت هذه الأعراض البحث عن آثار التحضّر ومظاهره.

يعرّف المؤرخ الحضري لويس ممفورد(Mumford) المدينة *"بمجموعة من الصور المعمارية في المكان ونسيج من الارتباطات والمشاريع المتفاعلة والمؤسسات التي تشغل هذه البنية الجمعية وتفاعلت معها بمرور الزمن"* [3]، لتعبِّر بذلك المدينة عن تفاعل وانتظام بشري مع المكان، مشكّلاً نسيجا اجتماعيا تواصليا وبعدا وظيفيًّا. لكن هناك وُجهات نظر ما بعد حداثية تثور على مثل هذه التعريفات، *"ففيما يرى الحداثيون المكان شيئا يجري تطويعه لأغراضٍ إجتماعية وتابعا بالتالي وباستمرار لطبيعة المشروع الإجتماعي، ينظر مابعد الحداثيّين إليه باعتباره شيئا مستقلا في ذاته، يجري تشكيله بحسب المبادئ والأهداف الجمالية التي ليس لها بالضرورة ان تتقاطع مع مشروع اجتماعي طاغ"* [4] لتصبح المدينة في تصميمها العمراني وهندستها فنا، ويعتبر كتاب جوناثان رابان Jonathan Raban في (المدينة الناعمة Soft City) أن العيش في المدينة هو فن، وتنطوي على ممارسة الإرادة والخيال: *"فالمدينة كما نتخيلها مدينة الوهم الناعمة والأسطورة، والمطمح، والكابوس، ربما تكون أكثر حقيقية من تلك المدينة الصلبة التي نضعها في خرائط وإحصائيات، في مونوغرافات علم الاجتماع الحضري، وفي الخرائط السكانية والمعمارية."* [5] فجمالية المكان تأخذ لها بعدا مركزيا لدى أصحاب هذا الاتجاه. ولا يرى بارث في العمارة شكلا هندسيا فقط، بل مجالا للتواصل *"فالمدينة هي خطاب، وهذا الخطاب هو حقا لغة"* (Rolan Barth.1975 :19) [6].

لقد جعَلت جاذبيّة المدن الباحثين في علم الاجتماع الحضري يَسعَون إلى وضع قوالب نظرية تهدف لتتبُّع سرعة التحضر، التي تزايدت منذ الثورة الصناعية، وظهور الحداثة، وما عرف **بالثورة الحضرية.** فوفقا لسافاج Savage وآخرون، بدأ علماء الاجتماع في القرن التاسع عشر يهتمون بجملة أمور، تتناول المسائل الحضرية التالية:

1- هل من الممكن الحديث عن أسلوب مميّز للحياة الحضرية، وأكثر من ذلك تحديد ما إذا كانت هذه الحياة المشتركة تخصُّ جميع المدن.

2- كيف شجَّع هذا النوع من الحياة الحضرية على تشكيل إجتماعي جديد للجماعات وللهويات(كتشكيل الأحياء).

3- فحص كيف أثّرت الحياة الحضرية على احترام العلاقات المجتمعية التقليدية، كما هو الحال من

---

[1] William G. Flanagan**, Urban sociology: images and structures** (UK, Rowman & Littlefield Publishers, Fifth Edition 2010) p 09.

[2] Ibid., p 08.

[3] طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، **مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**. ترجمة: سعيد الغانمي (لبنان، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الاولى، سبتمبر 2010) ص 606.

[4] ديفيد هارفي، المرجع نفسه، ص 93.

[5] المرجع نفسه، ص 22.

[6] Phil Hubbard, **City** (USA And Canada, Routledge. First Published 2006) p 59.

موقف شخص من الطبقة، أو نوع الجنس(الجندر)، أو من الطائفة والاثنية التي اعتبرتا مركزية.
4- تحديد كيف يمكن للمدينة تشجيع أو إعاقة تطور العلاقات الاجتماعية بين المواطنين من مختلف المشارب، سواء في العمل أو الإقامة.
5- توثيق تاريخ التحضّر، وشرح كيف تركَّز السكان في البلدات والمدن والتجمعات.
6- التعرف على الملامح الأساسية للهيكل المكاني للمدن، وتحديد ما اذا كانت الترتيبات المكانية المختلفة ولدت أنماطا مميزة من التفاعل.
7- تشخيص سلبيات الحضر: كالازدحام، التلوث، الفقر، التشرد، الانحراف، السرقة.
8- تحديد كيف ان السياسات الحضرية ظهرت على شكل مميز للحكم وذات آثار معينة ومتفاوتة على مختلف المواطنين"[1].

لذا بدأ الباحثون يهتمون ب"**أسلوب الحياة**" داخل المدن، وأسهمت **النظرية الحضرية** بعد ذلك بتعميق هذا البحث، بتكاملها مع تخصصات أخرى مثل الجغرافيا، الهندسة المعمارية، الايكولوجيا*البشرية، الاقتصاد، التاريخ الحضري، علم نفس الجغرافيا... وتوجهت النظرية لدراسة بنيات المجتمع. غير أن اتجاها آخر يراها لا تعطي اهتماما للتجارب الفردية اليومية، فبحسبهم أن *"النظرية تعالج كيف تشكلت المدن، كيف تعمل وكيف تتغير، بدلا من أن تكون معنية بالفوارق التجريبية البسيطة للحياة اليومية، وعليه يتوجب أن نستنتج منطقيا أنّ **نظرية الحضرية** تنشغل بالموضوعات الكبرى- وهي حتما أكثر وهمية- وخرافية بطبيعتها"*[2]. لكن الاشارة الى الفرق بين اهم مقاربتين متداوَلتين:

الجدول (2-3) الفرق بين المقاربة الثقافية والمقاربة البنائية.[3]

	المقاربة الثقافية	**المقاربة البنائية**
صفات المنطقة الحضرية	**الحجم والكثافة تؤديان إلى ظهور أنماط مختلفة من التفكير، االتفاعل، والتنظيم.**	**تمثل المدينة تركيزا للقوى السياسية والاقتصادية وعلاقات تمتد في جميع أنحاء العالم.**
الايدولوجيا	**النموذج الحضري تقدمي ويعكس الحداثة، التطور التنظيم، التكنولوجيا.**	**النموذج الحضري هو مكان الثروة والامتياز وإنتاج تراكم راس المال.**
القوى المشكلة للبيئة	**يتم التركيز على البيئة والمجتمع المحلي، وملامح البيئة الحضرية.**	**يتم التركيز على الاقتصاد السياسي، وتركز على ما يتجاوز الحدود الإقليمية.**
التنمية والتخلف	**في نظرية التحديث تخلق المدينة قوة دافعة للتنمية من خلال انتشار المواقف الحداثية، والتكنولوجيا، وأشكال التنظيم.**	**يؤكد الاقتصاد السياسي على أن المدن طفيلية في العالم الثالث، ويؤكد على أن هناك اختلال في التنمية العالمية.**
التقسيم الطبقي	**ثقافة الفقر هي المقولة السائدة.**	**هناك تغييرات في هيكلية اللامساواة في المنظومة الاقتصادية العالمية، وتسود أنماط إقليمية من النمو والتراجع.**

[1] Hubbard, Op.cit. p 14.

* فيها أيضا: الإيكولوجيا البيئية (Environmental Ecology): الاهتمام بالحفاظ على سلامة البيئة الطبيعية المادية في مواجهة الاثار الناجمة عن الصناعة والتقانة الحديثة.". الإيكولوجيا الحَضرية (Urban Ecology) منحى في دراسة الحياة الحضرية يقوم على مماثلة بين الحياة الحضرية وبين عمليات تكيّف النباتات والكائنات الحية مع البيئة الفيزيقية، وطبقا لنظريات الإيكولوجيا، تتشكل مناطق الجيرة والأحياء داخل المدينة باعتبارها نتيجة للعمليات الطبيعية للتكيّف من جانب السكان الحضريّين في اثناء تنافسهم حول الموارد." جيدنز، المرجع نفسه، ص 740.

[2] Ibid., p 09.

[3] William G. Flanagan, Op.cit. p 370.

نلاحظ أعلاه كيف ان المقاربة الثقافية تربط الحداثة ومزاياها بالمدينة، وتناولنا سابقا أساس مقاربة بورديو التي أصبحت تقليدا معرفيا للباحثين في فهم تحديث المجتمع التقليدي الجزائري. وهذا ما أكّد عليه مدني صفار زيتون في تقييمه لعلم الاجتماع الحضري في الجزائر، حيث توصَّل أنّه ظلّ حبيسًا لمقاربات ثقافويّة تأسيسيّة ذات تقليد كلاسيكي لعلم الاجتماع الحضري الفرنسي. كمقالات صيّاد بالثمانينات المقتبسة من بورديو، او البراديغم التفسيري لحركة السكان الذي انتهجه علماء الإجتماع، والذي لم يتوصل الى نظرية كاملة رغم المعطيات الميدانية المحصّلة من البحث الجامعي، الذي ظل هو الآخر حبيس المصطلحات، وتجربة الدولة في التحديث"[1].

تتميز الحياة المدينية أنها حداثية، يعتبرها دي سارتو De Certeau *"آلة إنتاج الحداثية وبطلتها في آنٍ معًا"* [2] ويعتبرها جيدنز حديثة وليست مجرد تغيّر اجتماعي تقدمي كما تكشف عنه الصيغة الخلدونية "غاية البدو الحضر". "فمن الواضح أن المدن كانت موجودة قبل العصر الحديث، *"لكن جيدنز يجادل بأن المدينة الحديثة تأسست حول مبادئ اجتماعية مختلفة تماما عن تلك التي حكمت العلاقة بين المدينة والريف لفترة ما قبل الحداثة (Giddens 1990.6) ولهذا فان البحث عن إستمراريات هنا يعني فقدان الاختلافات المهمة التي تمارس دورا مهما بالفعل في فهم النوع الخاص بنا من المجتمعات"* [3]. ويعطي الجغرافي ديفيد هارفي David Harvey بعدًا مابعد حداثي في إختبار المكان والزمان قائم على جمالية التصميم العمراني المستوحى من التقاليد الكلاسيكية[4].

كما تسمح الفضاءات العامة للمدينة بإبراز الأدوار السياسية، فقد إرتبط الجذر Polis قديما بالمدينة. لذا كان هناك اهتمام استراتيجي بالإقليم والمدن، فسقوط الدول في الحروب مثّله سقوط العواصم لأنها المجال المركزي لممارسة السلطة على كل الاقليم. *"هكذا فان المدينة هي فكرة سياسية، وهي كذلك ظاهرة سياسية. ويمكننا من المعمار وأيضا من تواريخ المدن أن نكشف عن إدارة الموارد و السكان، وتوزيع الثروة والسلطة وفرص المعيشة، وصراع المصالح والرغبات"* [5]. فالمكان الحضري ليس مجرد منتوج مجتمعي، بل تخلقه الدولة. فهناك استراتيجية سياسية حضرية لا تتقاطع مع مصالح السكان وانتظامهم. في هذا الصدد يعارض هنري لوفيفر Henri Lefebvre مقاربات حياديّة المكان/الفضاء، معبرا عنها **بسياسات المكان** حيث: *"مسلَّمة ان المكان/الفضاء موضوعي ومحايد قد تم الابقاء عليها، لكن الان يبدو ان المكان هو سياسي، إن المكان/الفضاء ليس معطى علمي Detourné من الايدولوجيا أو السياسية، لقد كان دوما*

---

1 Madani Safar-Zitoun, **La sociologie urbaine algérienne ou la difficulté de sortir des paradigmes culturalistes fondateurs.** In, **Algérie 50 ans après**, Ibid., pp 473-482.

2 Hubbard, Ibid., p 95.

3 جون توملينسون، **الثقافة والعولمة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان.** ترجمة، ايهاب عبد الرحيم محمد (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. عدد 354. طبعة 2008) ص 57.

4 **ديفيد هارفي:** جغرافي بريطاني، استطاع بأدوات ماركسية نقد الرأسمالية العالمية، وان يؤسس علم جغرافي ماركسي. سمحت له تجاربه في مدن وجامعات الولايات المتحدة الامريكية ان ينتج العديد من المؤلفات منها: المدينة والعدالة الاجتماعية(1973) حدود لراس المال (1983) وحالة مابعد الحداثة(1989) وفي هذا المؤلف يبرز التغيرات التي عرفتها المجتمعات والتصاميم العمرانية في انتقالاتها من الحداثة الى مابعد الحداثة. الاولى تفرضها النظرية الاجتماعية اما الثانية تتم عبر النظرية الجمالية وتقوم على التشظي والكولاج والتخيّل.

5 طوني بينيت، غروسبيرغ، موريس، المرجع نفسه، ص 607.

سياسيًا واستراتيجيًا" [1]. " فالفضاء أصبح يمثل للدولة أداة سياسية ذات أهمية قصوى، إذ تستعمله بشكل يضمن سيطرتها على الأمكنة. فالتسلسل الهرمي الدقيق، والتجانس الكامل، والفصل بين الاجزاء. كل هذا اصبح مسيطرا إداريا"[2]. ربما يصدق هذا التحليل على جزائر مابعد الإستقلال، من خلال سياساتها في الاعمار وتسيير العقار وهندسة المشاريع، التي ينفذها **صناع المدينة** (Bendjelid.2010) عبر ما يسميها الجغرافي عابد بن جليد مسؤولية **(دولة الكل** l'Etat De Tout) التي لا يهمها سوى تملّك الفضاءات دون اشراك السكان والجمعيات وغيرهم، من أجل خلق **تجانس مصطنع** للثقافة والفضاء الجزائري على حساب التنوّع[3].

الميزة الأخرى التي تمتلكها المدن هي الحيوية التي يوفرها **المجال العام**، فالمجال الحضري العام يؤثر فيما نفكر وما نعمل بسبب الحرية التي يمنحها وصيغ التواصل التي يحدثها بين الطبقات والجنسين. *"ففي نظر هابرماس Habermas يمثل حلبة النقاش العام التي تدور فيها المساجلات وتتشكل فيها الآراء والمواقف حول القضايا التي تجسد اهتمامات الناس وهمومهم"*[4]. كذلك فهو يمثل هوية المدينة للنشاطات الثقافية التي يصنعها *"فالمهرجانات مثلا في شوارع المناطق الحضرية هي التعبير العلني عن هوية المجتمع وعن تضامنه"* [5].

اما فيما يخص المعايير الاجرائية لتحديد المناطق الحضرية فهي تختلف من بلد لآخر. يحددها المركز الوطني للإحصاء وفق الخصائص التالية:

الجدول (2–4) تصنيف المناطق الحضرية في الجزائر.

المناطق الحضرية	المنطقة عالية التحضر	المنطقة الحضرية	منطقة حضرية فرعية	المنطقة الشبه حضرية
الخصائص	– عدد السكان يفوق 10000 ن. – السكان الغير فلاحيّين يمثلون 75% من الوظائف الاجمالية. – تتوفر على خدمات عمومية من النمط العالي.	–العدد الاجمالي للسكان يفوق 200000 ن. – السكان الغير فلاحيين يفوق 2000ن. – السكان الغير فلاحيون يمثلون 75% من الوظائف الاجمالية. – تشمل خدمات عليا محدودة.	تتكون من تجمعات تشكل مناطق اقامة او عمل قريبة من الميتربول. (الجزائر، عنابة، قسنطينة، وهران) والتي تتوافر على مميزات التحضر.	–فيها على الاقل 5000 ساكن. –عدد القاطنين الغير فلاحيين محدد ب 1000 –توفر خدمات عامة للمناطق الريفية المجاورة.

المصدر: L'armature Urbain (1998) ONS. p 52.

يمكن ان تنتقد التقسيمات الريفية الحضرية بسبب مبالغتها في تحديد الفروقات، *"على سبيل المثال مدن قد تحتوي احياء تشبه بعض سمات الحياة فيها الحياة الريفية، وقد اشار غانز Herbert Ganz 1962 في*

---

[1] Henri Lefebvre, **State, space, world: selected essays.** edited by Neil Brenner And Stuart Elden (London University Of Minnesota Press, First Edition, 2009) p 170.

[2] Ibid., p 189.

[3] Abed Bendjelid, **Realités contomporains de l'aménagement des villes algeriennes. In,** Abed Bendjelid(Dir), **Villes d'Algérie :formations, vie urbaine et aménagement**. (Oran , Editions Crasc 2010) pp 5-18.

[4] جيدنز، المرجع نفسه، ص ص 111-112.

[5] William G. Flanagan**,** Ibid,. p 25.

كتابه القرويون الحضريون *Urban Villagers* إلى ذلك"[1]. إن بعض الأحياء المغلقة كما الريف ترفض الأجانب ويوجد فيها علاقات تضامنية تكاد تكون عضوية. ويؤكد باتريك شامبان علاقة المكان بالسلوك إذ *"أن التعايش، داخل منطقة جغرافية محدودة الأفراد، وذات خصائص اجتماعية متجانسة، تساعد على إنتاج أو على الأقل تعزيز مضمون اجتماعي معين على مستوى نظم القيم وأساليب الحياة، وهو ما قد يفسر في جزء منه قوة الهوية الاجتماعية لهذه الفئات والمحترزة من "الأجانب" وسريعة في إدانتها للسلوكات المستوردة من الخارج، والتي ينظر إليها كتحديات على عاتق الجماعة لأنها قد هددت وحدتها وتماسكها"*[2].

2-2 / المدينة التاريخية الجزائرية: رهان كولونيالي ونخبوية سياسية.

عرفت المدن الجزائرية إبان الفترة الكولونيالية وما بعدها تحولات وظيفية وديموغرافية، سبَّبَها خلق عمران جديد على النمط الأوروبي ببعديه الحداثي والرأسمالي، وتعديل وإعادة بناء معالم المدن التاريخية، وإقامة حولها تجزئات سكنية lotissements. وكذا تحويل المحتشدات إلى مدن جديدة ذات موقع إستراتيجي، *"فعلى الرغم من أنها ليست مدينة حقيقية، فقد أدخَلَت المحتشدات هياكل ذات طابع حضري في عمق الريف، لتشجّع على سلوك حضري. نجد في غالبية المراكز هذه الخصائص للحضرية، والتي تشمل بيوتا مدينية بأقل أو أكثر التجهيزات، سواء تجارية أو صحية أو ثقافية"*[3]. وعلى سبيل المثال: تؤكد الجغرافية **عمارة بكوش** الخلفيات الاقليمية والعسكرية التي كانت وراء اختيار الموقع الجغرافي لمدينة سيدي بلعباس المبنية بتصاميم فرنسية واسبانية *"وبإعتبارها مدينة حامية كانت تحتاج إلى مساحات واسعة بحسب النشاط العسكري"*[4]. فإستراتيجية المستعمِر أنّه *"في هذا الجو من الحرب، ستكون الحاجة إلى إنشاء مدينة فقط لمواصلة السيطرة، في ظل استمرار الهجمات. لا يمكن لأحد أن يقول متى ستنتهي الحرب، أو ينتظر نهايتها ليستوطن. إنه إرجاء الأمر الأساسي إلى أجل غير مسمى... لذلك فالحرب والاحتلال يجب أن يسيرا معا، إن كان ذلك ممكنا"*[5].

وساهمت بنية المدن الجديدة في تحولات مجالية-اجتماعية، وتوزيع جديد للتنظيم الاجتماعي. فهي صُمّمت خصيصا لتُلبّي متطلبات المستوطنين وأسر العساكر، تخدمهم طبقة من الريفيين الذين هاجرو إليها إما طوعا أو قصرا بعدما استلبت أراضيهم. يعالج باحثان على سبيل المثال، أثر ذلك على مدينة مستغانم حيث أن *"التنظيم المكاني يتطابق، من جانبه، مع توزيع المجموعات العرقية المختلفة، وكذا التخصص في المهن والحرف، والتي لها دور أساسي في التأثير على صورة المدينة، والنتيجة، كذلك على تمثّلات المدن*

---

1 Steve Bruce And Steve Yearley, **The Sage dictionary of sociology** (London, Sage Publications. First Edition 2006) p 311.

2 Patrick Champagne, **L'espace et les groupes** In ,**Méthodes d'approche du monde rural** (Collectif). (Alger. OPU,1984) P 58.

3 Cornaton, op.cit. p 221.

4 Ammara Bekkouche, **Enjeux coloniaux et projection urbaine en Algérie: le cas de Sidi Bel- Abbes**. In, (**Recherche urbaines**, Revue Insanyat, N°13, Janvier-Avril 2001,Oran. Editions CRASC) p 58.

5 Ibid., p 48.

القديمة، فصل اجتماعي (Ségrégation Sociale) ووظيفي في استعمال المكان" [1]. كما تشكلت آثار على العادات والقيم، فقد أدّى التمدين إلى *"التعجيل بتفكيك العائلات"* [2]، وخلَقَ *"كذلك نسبة مرتفعة من العزاب داخل المدن (58.7%مقابل 56.7 % في المناطق الريفية) ويرجع ذلك إلى الزواج المتأخر للشباب البالغ القادم من الريف، كما ان الحضريين يتأخرون في تأسيس وحدات أسرية جديدة، ليتوسع بذلك عدد الحضريين الجدد المعزولين"* [3].

الوجه الآخر للمدينة الكولونيالية بعد اندلاع الثورة، هو اتساع عدد المرافق الادارية والسياسية وإصلاح المؤسسات الجزائرية التي بادرت بها القيادات العسكرية اليسارية خصوصا أعوام 1956–58. كرهان كولونيالي ل"**حفظ النظام**"Maintient De L'ordre و"تهدئة" الشعب، وتسهيل "الإندماج"[4] وكسب القلوب. وإيجاد طرق سلمية وانتخابية لتجاوز "**مأزق الجزائر**"، والقيام بإحصاء للسكان لمراقبة المنخرطين في جيش التحرير الوطني. *"كمثال على ذلك: إزالة البلديات المختلطة، إذ أنشئت من البلديات القديمة –المركزية والمختلطة– أكثر من 1000 بلدية. وتم إزالة التصنيفات والقوانين المختلفة لصالح نوع واحد، ف 1500 بلدية حصلت على نفس الحقوق، وانتقلت الجزائر من أربعة إلى اثنتا عشر قسم"* [5].

إذا كان الريف الجزائري الطاقة الصامدة للثورة، فإن المدينة هي مركز الإستراتيجية والسياسة والمفاوضات، لذا تقرر قيادة الجبهة نقل الثورة الى مواقع العدو، *"إلى المدن الهادئة الباذخة"* [6]. كدلالة على الحضور والقوة والترهيب...وستناضل النخب السياسية على طريقتها: الصحف، اللقاءات، الجمعيات، النقابات العمّالية، الإضرابات، الكتابات على الجدران، الدعاية، القنابل اليدوية، القنص... ويمكن الاشارة إلى بعض تلك الأحداث:

–عمليات 20 أوت 1955: نفذها آلاف الفلاحين بقيادة زيغود يوسف في الشمال القسنطيني، والحصيلة 71 قتيل اوروبي. *"لتكشف بذلك الاحداث عن الوجه الحقيقي للثورة، وتسقط اسطورة حفظ النظام"* [7]. وتدوّل "القضية الجزائرية".

–[1955] : تصبح مدينة الجزائر (القصبة) معقل قيادات الجبهة (بلقاسم، عبان، اوعمران) ومركزا

---

[1] Lakhdar Yamani Et Kouider Brahimi, **Evolution sociale et reconfiguration spatiale : la ville de Mostaganem.** In Revue Insanyat, N° 44-45, Avril-Septembre 2009, Oran. Editions CRASC) pp 178-179.

[2] Maurice Guetta, **Urbanisation et structures familiales en algérie (1948-1987)**,(Revue Française De Sociologie, Vol. 32, No.4 (Oct.-Dec., 1991), Éditions OPHRYS Et Association Revue Française De Sociologie.) p 577.
Stable URL: http://www.jstor.org/stable/3322075 .

[3] Ibid., p 582.

[4] يقوم الحاكم العام ذو التكوين الاثنولوجي جاك سوستيل Jacque Soustelle المباشَرة بإصلاحات ومحاولة ادماج الجزائريين. ويكلف الاثنولوجية جيرمان تيّون Germaine Tillion بأبحاث لفهم المجتمع الجزائري المركّب والبحث عن آليات للتعايش مع الاوروبيين. سيقوم العساكر بالقسم الاداري المختص (S.A.S) بتعليم وتطبيب الأهالي لتخفيف حقد الثوار. ولكن الى متى يمكن أن يستمر هذا التعايش؟. ورد في الشريط الوثائقي:
La guerre d'Algérie: la déchirure, De Gabriel Le Bomin (Réalisateur) et Benjamin Stora (Auteur) (Produit Par, Nilya Productions Et L'INA) un montage de documents d'archives en couleurs de 2h 25 mn. (Diffusé le 11 mars 2012 a 20h 35 sur France 2).

[5] Jean-Claude Vatin, **L'Algérie politique: Histoire Et Société** (Alger, Editions El Maarifa. 2010) p 249.

[6] فانون، المرجع نفسه، ص 94.

[7] Stora, Op.cit. p 136.

للتنسيق بين مناطق الداخل ومسؤولي الخارج، ولدمج عناصر الاحزاب الوطنية. ستَنقُل العمليات داخل المدن الرعب الى نفوس المستوطنين، يكتب البير كامو (Albert Camus) مناصر الادماج بين الطائفتين العربية والفرنسية، بأدوات: العدالة والمسؤولية الجماعية و"سياسات الأمل" (المصطلح لمحمد اركون 2001): *"في الواقع ان الارهاب لم ينضج وحده، وليس ثمرة الصدفة او هو مجرد عقوق يرافقه أذى انما هو نتيجة اليأس. ما يفسّر الارهاب هو غياب الأمل هو يولد اينما كان من العزلة وفكرة انه لا يوجد امل ولا سبيل. الارهاب الجزائري هو خطا دام في حد ذاته وفي نتائجه"* [1] . الواضح ان كامو يطالب بالسلام في المدن لضمان موقعه كمستوطن في التعايش، والبقاء. متجاهلا انها ثورة وليست إرهابا، وأن الأمر لا يتعلق بحقوقٍ ماديّة، إنمّا يتعلق "**بسرقة وطن**" وقد جاء الدور لاسترجاعه.

ستشكِّل العاصمة موقعا استراتيجيا لمواكبة التطورات السياسية وتتبع الاستراتيجيات العسكرية التي تحاك ضد الجبهة، ليس على الصعيد الداخلي وفقط ولكن بعلاقة مباشرة مع الميتربول، كما أن الثورة ستخلق حركة نقابية وقيادة سياسية قادرة على إدارة الجيش والمفاوضات، وتنجح في تعبئة الرأي العام العالمي.

نأخذ على سبيل المثال ابن العاصمة محمد لبجاوي، أحد من يجسّد هذه التقاطعات. يقول في مذكراته: *"من أجل أن نضمن تطورا لكفاحنا، اقترحت ملاحظة على عبّان لتشكيل ثلاث نقابات أساسية: الأولى للعمال، الثانية للتجار (UGCA)، والثالثة للفلاحين. قَبِل عبَّان العرض وتمَّ في وقت لاحق توقيع عقد إنشاء الاتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA) والذي كان لي الشرف باني كنت من مؤسسيه"* [2] وتأسست الثانية، ولم تعرف الثالثة النور. *"وجُعِلت الاضرابات اكثر لفتا للانتباه في عيون المراقبين الاجانب من خلال غلق جميع المحلات والتي حوّلت المدن الجزائرية الى صحراء"* [3] وتم على نطاق آخر ربط الاتحاد مع الكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة، *"والتي جلبت فيما بعد المساعدة الفعالة لتطور UGTA وكذا FLN ، ووُضِعت فرنسا متَّهَمةً في المرافعات العالمية"* [4]. كما أنه حاول من العاصمة أن تكون اهداف الجبهة واضحة لدى مثقفيّ الميتربول، فحاول ان يخاطبهم عن طريق البير كامو، رغم ان هذا الاخير لم يُرِد للجزائر استقلالها في تلك اللحظة[5]، ونظّم في العاصمة ملتقى يدعو فيه الى التهدئة بالجزائر لكنه قوطِع وفَشل. الامر الاخر الذي يجب التأكيد عليه من خلال بعض الأحداث هو أن الثورة لم يخلقها البؤس والدوافع المادية، يورد لبجاوي المساعدة التي نالها من أحد بورجوازيِّ العاصمة الذي كانت له علاقات مع رئيس بلدية الجزائر جاك شوفالييه، واستطاع بفضله أن يُزوِّر جوازا للسفر إلى فرنسا، ومن ثمَّ ستُنقَل

---

1 Albert Camus, **L'avenir algérien**,[9 Et 23 Juillet 1955] In, **La guerre d'Algérie 1954-1962: L'histoire et la mémoire**. Les Cahier De L'expresse, N° 11 Hors-série. Mars-Avril 2012 (Paris, Editions Express Et Roularta) p 20.

2 Mohamed Lebjaoui, **Vérités sur la révolution algérienne** (Alger, Editions ANEP.2010) p 35.

3 Ibid., p 34-35.

4 Ibid., p 37.

5 Ibid., p.41

المعركة إلى المهجر أين ستتأسس فيدارلية جبهة التحرير الوطني بفرنسا[1]، وستعبئ 80000 مناضل. وتتصدى لتحركات مصالي الحاج. والملاحظ أن الثورة تجاوزت الحدود الوطنية، واستطاع لبجاوي أن يُحصِّل للجبهة المَالَ مرّةً أخرى. يقدر بمليار فرنك فرنسي في الشهر

عرفت المدن نشاطا مسلحا للفدائيين والنساء ومن بين تلك الانجازات في عام 1956:

20 جانفي: مظاهرات عنيفة بمدينة تلمسان **22 أفريل: انضمام فرحات عباس الى الجبهة. ولو أنه في مذكراته (ليل الاستعمار) يقول بأنه اختار الوحدة والتضامن الوطني ومستعد لدعم الثورة ماديا وبالأدوية وانه في 1 و 2 نوفمبر تم لقاء بين اعضاء UDMA في الجزائر العاصمة واتفقوا بمقر جريدته (الجزائر الجمهورية) على الدعم الفوري للانتفاضة"[2]** **18 ماي: اعدام ظابط فرنسي ب Palestro.(لخضارية حاليا). ويحدد Courrière أن 22 شاب وقع في كمين دبره الثوار أسفر عن 19 قتيلا عسكريا[3].**	**19ماي: الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين UGEMA في إضراب وينادون بالانضمام إلى الجبهة.** **30 سبتمبر: أول عملية بالقنابل تنفذها الجبهة بالجزائر العاصمة.** **01 نوفمبر: بمناسبة اندلاع الثورة، عمليات وإضرابات في الجزائر العاصمة.**

ستتبع هذه العمليات **حركات اجتماعية حضرية** (نقابية) تمثّلت في إضراب الثماني أيام (28جانفي–4 فيفري 1957) بمختلف مدن الجزائر تحت أوامر الجبهة. وهذا بعد أن تقوّى تنظيمها السياسي بتشكيل لجنة التنسيق والتنفيذ CCE التي كانت ثمرة لمؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956. يقول العربي بلمهيدي لياسف سعدي[4]: *" يجب مع إقتراب انعقاد دورة جمعية الأمم المتحدة ان نوضّح أن كل الشعب من ورائنا وأنه ممتثل كليا لأوامرنا. سيكون الاضراب الكامل مذهلا، يجب أن تكون العاصمة خزّانُ صدًى، يجب أن تكون هي القارعة لطبول الثورة، وأن تلعب المدينة دورا كبيرا في تطوير الكفاح"*[5]. وفي سؤال سعدي عن مدة مدة الإضراب أجابه بلمهيدي: *"لقد فكرنا في شهر لكن ذلك كثير، سنقول ثمانية أيام ويجب شلّ البلاد لمدة أسبوع كامل"*[6]. بالرغم مما أحدثه الاضراب عبر ولايات الوطن، إلا أنه ظهرت تباينات حول تقييم نتائجه. حيث أدى بالمقابل إلى **(معركة الجزائر)** التي كانت لها نتائج كارثية على المدنيين بالعاصمة. غير أن المدينة مثّلت رمزا للتحدي، وكشفت عن الوجه العسكري الذي ظهرت به مرحلة انتقال السياسات الفرنسية بالجزائر، وأحدثت صراعا بين رجال السياسة والجنرالات[7]. حيث صرح هؤلاء أنهم في مهمّة *"تخليص*

---

1 Ibid., pp 56-69.

2 Ferhat Abbas, **La nuit coloniale** (Avec Préface De A. Boutaflika) (Alger, Editions ANEP. 2005) P 187.

3 **La guerre d'Algérie,** Yves Courrière Et Philipe Mounier (document de 1972, 2h 34 mn. Par Reggane Films, Editions Montparnasse).

4 *" في 2 جانفي 1957، في 3 شارع كاتون (CATON). وعند السيدة بوحيرد، عمة الشابة جميلة. أين أعلن بلمهيدي الخبر إلى ياسف سعدي، مسؤول العمليات المسلحة في العاصمة في ظل لجنة التنفيذ والتنسيق.* حين كان يقضي احدى لياليه بالقصبة، ويتقاسم مع ياسف ملجأه." ورد في:
Yves Courrière**, Le temps de léopards: 1955-1957, œil pour œil** (La Guerre D'Algérie. Tome 2) (Paris, Collection Marabout Université, Librairie Arthème Fayard, 1969) p. 448.

5 Ibid., p. 449.

6 Ibid., p. 450.

7 أحدثت معركة الجزائر أزمة أخلاقية في أوساط شرطة العاصمة وحتى المضليّين، ولدى مثقفيٍّ الميتربول(سارتر، هنري سيمون..) نتيجة التعذيب المسلَّط على المجاهدين. يعتبر بولادريار J. Bollardiere أنهم لم يكونوا يعتبرون الجزائري إنسانا، بل فُوِيْرا(فأر صغير) وعلى حسب هذه الصورة كان يسهل عليهم تعذيبَهم. وتصرح تيّون Tillion بأنه كانت هناك أوامر للعسكر بتحقيق أي نتيجة، وأنهم محميّون. وستحاول تيون إجراء اتصالات سرية مع ياسف سعدي لوقف العنف من كلا الجانبين. ورد في:
La bataille d'Alger, Yves Boisset (Compagnie Des Phares Et Balises, 2006) Film documentaire de 57mn.

الجزائر من كل مرضها Sa Vérole"[1]. وبالفعل *"القمع لم يتوقف على المدن، ولم تعرف العاصمة تحت وقف إطلاق النار تراجعا في حدته إلا بنهاية* ***المعركة*** *والتي أفصحت عن اسمها، والتي لم تكن في الواقع سوى معركة ضد المدنيين"*[2].

بالرغم من ذلك، فقد أفشل التحدي في المدينة برنامج المهمة السريعة لمضليي الجنرال ماسو Massu. *"فطبيعة هذه التظاهرة قد أسست بما ليس فيه شك* ***منعطفا حاسما*** *في تطور حرب التحرير الوطني"*[3]، وأثبتت بداية تشكّل المدينة الوطنية التي فازت فيها سياسة منظمة على استراتيجيات الجمهورية الرابعة. *وعليه "فمهما تكن الآراء أو الانتقادات حول تلك الفترة أو بعدها، فإن مجازر 20 أوت 1955، وإضراب المدارس في 19 ماي 1956، و إضراب الثمانية أيام في جانفي 1956، معركة الجزائر في 1957، أوضحت مسبقا نفوذ الجبهة الغير مُقسَّم، بعكس موقع (MNA) الغامض للغاية ، ليس هذا النفوذ فقط في الأرياف، لكن أيضا في الوسط الحضري، والأمثلة الثلاثة الأخيرة شاهدة على ذلك. إن الشرعية المستقبلية لجبهة التحرير الوطني نابعة من المواقف المتخذة، والنتائج المحصَّلة، ومن خلال جمهورها والاعتراف الذي نالته بالجزائر خلال هذه الفترة"*[4].

مثال آخر عن خاصية إمتازت بها المدينة الكولونيالية، هو مشاركة المرأة في الثورة، وإفشال مسعى تحقيق الأمن والأمان الذي أراد حوالي 8000 مضلّي تحقيقه في العاصمة. يشرح فانون في تحليلاته لنفسيّة الفدائية، كيف انها تتبرّج وتدخل في صراع مع جسدها وعائلتها المحافِظة، وتخرج من نطاق العائلة الصغيرة الى العائلة الكبيرة. فتتردّد على الأماكن العامة والحانات لتنفيذ العمليات الصعبة، وتتحمَّل تلك الصورة المشوّهة التي تضعها فيها أعين الاقارب أو الاجانب. دون أن ننسى تعذيبها في السجون، غير انها تستطيع الثأر بزرع القنابل وإسقاط الضحايا من الأوروبيين[5]. لتتبدَّد بذلك أحلام التعايش والاندماج بين المجتمعين التي يناصر لأجلها البعض. يحدث هذا الصراع تغييرا اجتماعيًا وسياسيًا جذريا في علاقة المستعمِر بالمستعمَر. وتشهد اغلبية المدن الجزائرية مظاهرات 11 ديسمبر 1960 مع رفع العلم الجزائري ومساندة الحكومة الجزائرية المؤقتة GPRA، وفي حرب سياسية مصيرية بين الطرفين تُرغم ديغول في الاخير تنظيم الاستفتاء حول تقرير المصير.

جاء ديغول بإصلاحات إقتصادية إجتماعية متبوعة بإستراتيجية عسكرية، والواقع إن هذه السياسيتين سيكون لها أثار حتى مابعد الاستقلال، فمسار التحديث والتصنيع أسفر عن النزوح الريفي(إرتفع سكان

---

1 Ibid., p. 455.

2 Hassan Ramaoun, **La grève des huit jours en Algérie (28 janvier-4 fevrier 1957) : la visions des dirigeants du FLN**. (Intervention Au Colloque Organiser Les 30 Et 31 Octobre 2007 Par L'université De Skikda Sur La Thématique « **L'événement comme révélateur de l'histoire ».** p.7**.**

3 Ibid., p. 12.

4 Vatin, Op. cit., p 281.

5 Frantz Fanon, **Sociologie d'une révolution: l'an V de la révolution algérienne** (Alger, Editions ENAG 2006) pp. 32-82.

المدن الكبرى من 2.9 مليون في 1959 الى 3.6 في 1964)[1] وساهمت المحتشدات في تشريد Clochardisation القرويّين. وشهدت عدة مدن مشاريع عمرانية وبنى تحتية كبيرة مثل قسنطينة وهران عنابة، تهدف إلى تأكيد الاستيطان، بعدما وضعت "**الجزائرية فرنسية**" محل تساؤل. ومُحاوِلةً إستيعاب البطالة التي مسَّت السكان. وتحسين ظروف معيشتهم، ظنا أن الحرب تحركها دوافع مادية. "وحوَّلت *الاهداف السياسية المشروع الى كاريكاتور*"[2] . ما يهمنا هو أن مشروع التحديث إما كان اعادة انتاج في الترتيب المكاني، والذي تسبَّب في ظهور تناقضات اجتماعية، واستمرت نفس السياسة حتى بعد الاستقلال، *"فالدولة الوطنية لم تعمل سوى على إعادة إنتاج بشكل مدينة، ما تركته الادارة الفرنسية في الأرياف بمنطق "**تحويل المكان**" بتعبير مارك كوت"*[3].

سيصبح **العمران الكولونيالي للتشكيلات الاجتماعية المابعد كولونيالية** رمزا لعودة الماضي والتجارب الحنينية (Nostalgique) للذاكرة الجمعية. بآمالها وآلامها. ومن المفيد هنا ان نشير الى البحث الذي وضعه موريس هالبواخ حول علاقة المكان بالذاكرة الجمعية. اذ يعتبر انه *"ليس هناك ذاكرة جمعية لا تحدث في اطار مجالي... ففوق المكان، فوق مكاننا الذي نشغله- والذي نجتازه كثيرا، أو نحن داخله يوميا، وأنه في معظم الحالات يستطيع خيالنا وتفكيرنا إعادة تشكيله في كل لحظة- فحوله يجب أن نرسخ تفكيرنا ونركِّز إهتمامنا، حتى يستعيد مرة اخرى تلك الانواع من الذكريات"*[4]. وبذلك تعمل المدينة بالحفاظ على الأسطوري من خلال النُصُب والرموز، باعتبارها تشكل "**فائضًا للمعنى**" بتعبير بول ريكور. فالنصب تسمح بانتقال المعنى والحفاظ على ما يدعوه بورديو "**الرأسمال الرمزي**"، والذي يلعب دورا إيديولوجيا وهوياتيّا مهمّا.

---

1 Samir Amin, **L'économie du maghreb: la colonisation et la décolonisation** (Paris, Les Editions De Minuit. 1966) p. 208.

2 Ibid., p. 213.

3 Madani Safar, Op.Cit., p 47.

4 Maurice Halbwachs, **La mémoire collective** (Paris, Presses Universitaires De France, 2eme Edition Revue Et Augmenté 1968) p. 146.

3- الوسط الريفي والحضري بولاية غليزان.

3 ولاية غليزان: البعد الثوري التاريخي.

تقوم هذه الدراسة على ملاحظة **التغير السياسي بين الوسط الريفي والوسط الحضري**، واخترنا دراسة ميدانية بمنطقتين من ولاية غليزان: الأولى منطقة حضرية تتمثل في بلدية وادي ارهيو، والثانية منطقة ريفية هي بلدية واريزان. نتناول في هذا الجزء أهم الأدوار الثورية لسكان منطقة غليزان عبر التاريخ.

يعود تاريخ منطقة غليزان الى عهود غابرة، وشهدت تعاقب الامارات والمماليك. ففي كتاب العبر للعلامة ابن خلدون أكد على أن قبيلة بربرية سكنت منطقة مينا سنة 40 قبل الميلاد عرفت باسم العلوميين وقد قاوم السكان الأصليون الإحتلال الروماني إلى أن استطاع بسط سيطرته بعد تدمير شامل للمنطقة وهنا استبدلت التسمية القديمة للمنطقة **(مينا)** بتسمية جديدة **(إغيل ازان)** والذي ترمز الى السهل المحروق بحكم الوقائع التي سبقت تاريخ التسمية. وينقسم تاريخ غليزان الى:

<u>ماقبل التاريخ</u> يعود تاريخها إلى العصر الحجري الاوسط، *"اذ عَرفت منطقة غليزان المنطقة الوهرانية التي انتشرت في ولايتي الجزائر ووهران، وغربي مقاطعة قسنطينة، وفي بعض جهات المغرب الأقصى وبعض مناطق الصحراء، وقد عثر بالمنطقة على صناعة يرجع عهدها الى العصر الحجري الاوسط بمغارة الرتايمية (وادي ارهيو)، وبجبل بومنجل (ناحية القلعة) وبملتقى نهري تامدة بوادي واريزان (ناحية مازونة)، كما عثر بمسراته ببلدية القلعة على اثار صناعة من العصر الحجري الحديث"*[1]. وهي منطقة تنتمي الى الجزء الكبير من الونشريس.

<u>العهد النوميدي:</u> إن موقع ولاية غليزان الحالية كان ضمن مملكة نوميديا الغربية وملكها سيفاقص (مابين 230 الى 202 ق.م) ثم اصبحت تحت حكم ماسينيسا عندما وحد نوميديا وتلاه حكم يوغرطة وبعد ذلك مملكة بوكوس الاول.

<u>العهد الروماني</u>: امتد الزحف الروماني الى منطقة غليزان سنة 40 **ب.م**، وتمركز الجيش الروماني في كادوم كاسترا (GADAUM CASRTA) مابين وادي ارهيو وجديوية، ومينا (غليزن) وبَلَانِي بَرَازِيدْيُومْ (BALLENE PRAESIDIUM)–يلل حاليا–. كانت منطقة غيليزان ذات سهول خصبة استولى عليها الرومان، وفرضوا فيها زراعة القمح بعد المجاعة التي هددت الامبراطورية. والتي جُعلت بسببها منطقة شمال افريقيا مطمورة روما. *"لهذه الاغراض السياسية والاقتصادية امتدت يد الاستعمار الروماني من سهل الشلف الى سهل تيارت، واستلزم في هذه الحركة التوسعية نحو الجنوب ربط هاتين المنطقتين على مسافة تفوق 100 كلم بشبكة من التحصينات العسكرية أقيمت على الضفة اليسرى لمجرى **وادي ارهيو** الذي يلامس الأطراف الشرقية لمدينة عمي موسى وبشكل واضح على سفوح الونشريس الغربي بكل من جبال الولجة حيث يوجد قصر الكاوى Castrum Caoua بالطريق المؤدي الى الرمكة، وقصر كبابة ksar*

[1] يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر.** الجزء 1 (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة 1999) ص 22-23.

kbaba بجبال اولاد حدو ببلدية سوق الحد، وقصر روراوة بالرمكة وأخرى بمكناسة ومنكورة بعين طارق وحد الشكالة التي تحاذي حدودها حاليا حدود تيارت"[1]. ودام تواجد الرومان بها حوالي خمسة قرون، ومن أثر الرومان بمنطقة غليزان:

- أطلال مينا بحي بورمادية في مدينة غليزان.
- أطلال بواريزان
- أطلال بام الطبول (سيدي محمد بن علي حاليا)
- قصر كاوى بمدينة عمي موسى.
- بقايا اثرية بحي الرمادي بمدينة يلل.

الاسلام بمنطقة غليزان: انتشر الاسلام بمنطقة غليزان بفضل أمير مغراوة وسائر زناته وَزْمَارْ بن صولات الذي أسلم على يدي الخليفة عثمان بن عفان، ويقول عبد الرحمان ابن خلدون في ها الشأن مايلي:" وهاجر أميرهم صولات بن وزمار إلى المدينة، ووفد على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فلقاه برا وقبولا لهجرته وعقد له على قومه ووطنه، وانصرف إلى بلاده محبوا محبورا مغتبطا بالدين مظاهرا لقبائل مضر، فلم يزل هذا دأبه، وقيل انه تقبض عليه أسيرا لأول الفتح في بعض حروب العرب مع البربر قبل أن يدينوا بالدين فاشخصوه إلى عثمان لمكانه بين قومه فمن عليه وأسلم فحسن إسلامه، وعقد له على عمله فاختص صولات هذا وسائر الاحياء من مغراوة بولاء عثمان واهل بيته من بني أمية..."[2]

خضع إقليم غليزان في العصور الوسطى إلى عدة مماليك بربرية مسلمة ونذكر منها: الفاطمية (909 الى 970) والحمادية (من 1018 الى 1142 ب.م) والمرابطية (1074 الى 1082) والموحدية (1124م) والزيانية (1236) وتوفي يغموراسن مؤسس المملكة الزيانية بقرب جديوية في 28 مارس 1283. ثم المرينية (1300م). أسس ابو حمو موسى الاول قصرا حمل اسمه في 1315 وحول هذا القصر الى المدينية المعروفة اليوم بعمي موسى. سمحت لها حدودها الجغرافية التي تتماس مع تنس بالشلف ومستغانم وتيارت ومعسكر ان تكون مسرحا لعدة احداث. فشهدت صراع الدولة الزيانية مع بني مرين. كانت **قبيلة سويد** جزءا منه، حيث ضايقت الامارة الزيانية في البدء، "فحين حاول السلطان أبو حمو (الأول) أن يستعيد سلطانه بفريق من عرب الزواوة، ضيَّق عليه طائفة من بني سويد بني مرين، فاضطر الى مغادرة عاصمته ولجا الى الزاب سنة 1372م"[3]. لكنها ستحاول البحث عن الصلح بين الإمارتين، حيث *قدم إلى تلمسان الشيخ ونزمار بن عريف السويدي، عام 762 في شأن تسوية الأزمة والتزم اقناع ابي سالم بتسليم الجزائر لابي حمو. وفعلا، بعث ابو سالم بعد ذلك ارسله الى قائد الجزائر علي بن يعلي، والى ابي حمو، برسم تسليم الجزائر إلى بني زيان"*[4]. غير أن استبداد أبا حمو جعل القبيلة تنحاز إلى المنافس

---

[1] لحسن محمد، **عمي موسى قلعة الثوار بغرب الونشريس** (وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع . بدون تاريخ) ص 22.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر**. الجزء 3 (لبنان، دار الكتاب اللبناني، الطبعة 1981) القسم الأول، ص ص 50-51.

[3] ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**. تقديم وتحقيق: هاني سلامة (مصر، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع. ط، 2001) ص 35.

[4] عبد الحميد حاجيات، **احياء الدولة الزيانية**. في، **الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث (العهد الاسلامي: من الفتح الى بداية العهد العثماني)** مجموعة مؤلفين (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984) ص 405.

ابن زيان القبّي. وبعد تراجع قوة جيشه، *"خرج ابو حمو نفسه في اتجاه الأعداء وعندما قرب من البطحاء (المطمر حاليا) لقي جيوشه راجعة، فثناها عن وجهتها، وأقام جيشه بالبطحاء بينما كان جيش أبي زيان القبي متمركزا باغيل ايزان قريبا منه. وفي 25 ذي الحجة 765 وقعت معركة البطحاء التي شنها أبو زيان وجموعه، وانهزم ابو حمو. وسار ابو زيان وأنصاره من اولاد حسين وسويد وبني عامر عازمين على اقتحام عاصمته والإطاحة بعرشه"*[1]. غير أن أبا حمو تقوّى من جديد وحاربهم مرة ثانية، وأذعنت له أشياخ سويد وطلبت منه العفو. لكن ككل قبائل المغرب المتحالفة حينا والمنشقَّة حينا آخر. تمرّدَت سويد *"فأغار ابو حمو على اراضيها في اوائل صفر سنة 771 هـ، وانتسف قلعة بني سلامة، وكانت أهم مقر لهم"*[2]، وانتهج أبو حمو سياسة جديدة تعتمد على مصادقة سويد لتذعن له باقي القبائل، وأن تكون القبيلة عنصرا للسلم مع بني مرين. ونجح في هزيمة بني عامر بالمنطقة. *"والحقيقة أن قبيلة سويد كانت منذ تغلبها على بني عامر سنة 777هـ، تشكل قوة سياسية عظمى، لا يستقيم امر السلطان إلا بإرضائها واستمالتها، ولا يسود الاستقرار السياسي في البلاد، إلا بتأييدها والحصول على طاعتها وخدمتها"*[3].

<u>الوجود الاسباني</u>: استولى الاسبان على جزء من الغرب الوهراني ما بين 1505 و 1509 ب.م، وتمثل الوجود الاسباني في منطقة غليزان في معركة بني راشد. بدا حصار قلعة بني راشد في يناير 1518 واستمر 6 اشهر، وقتل على اثره اسحاق. الاخ الاصغر بابا عروج.

<u>التواجد العثماني</u>: ظهر الوجود العثماني بولاية غليزان الحالية مع مجيء بابا عروج الذي نصب شقيقه اسحاق على راس الحماية العثمانية بقلعة بني راشد في سنة1517م، وكانت ولاية غليزان الحالية في العهد العثماني ضمن بايلك الغرب الجزائري ومقره الاول مدينة مازونة في 1554 وعلى رأسه الباي ابو خديجة . وبفضل **الباي بوشلاغم*** اصبح بايلك الغرب واحدا موحدا، يقول يحي بوعزيز في هذا الصدد *"تولى مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي بايلك الغرب في نفس السنة التي استشهد فيها الباي شعبان، وجمع بين مازونة وتلمسان ووحدهما بعد ان كانت كل منهما تحت باي مستقل عن الآخر ونقل عاصمة البايلك من ثم إلى معسكر"*[4] وتم ذلك في سنة 1686 . ساند الاتراك بغليزان بعض القبائل لدفع حملات الاسبان. ومن بين الثورات التي شهدتها غليزان: مقاومات قبيلة سويد بقيادة **حميدة العبد**، والتي كانت لها **(امارة سويد)** عاصمتها تنس، تمتد من تنس الى مستغانم. والمعروف أن استراتيجية هذه القبيلة التحالف أوقات ضعفها، والتمرد بعد استرجاع قوتها. فتحالفت مع عروج لصد الغزو الاسباني لتنس. واحتل عروج نواحي الشلف والظهرة ووانشريس وتيطري ومتيجة. *"ولكن بعد المفاوضات الطويلة أعاد له خير الدين مدينة تنس، ولما استرجع حميدة العبد مكانته بين قومه سويد، تعاون مع عروج على مقاومة الاسبان ففي الحملة على مدينة تلمسان التي كان يقودها حسن اغا عام 1543 اسهم حميدة العبد ب 2000 فارس وتوفي رئيس قبيلة سويد عام 1545م ودفن بحي المطمور بمرتفعات مدينة مستغانم"*[5]. وعرفت مدينة **القلعة** في 1518م

---

[1] المرجع نفسه، ص 408.

[2] المرجع نفسه، ص 412.

[3] المرجع نفسه، ص 418.

* كان الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي من ابناء قلعة بني راشد.

[4] يحي بوعزيز، **مدينة وهران عبر التاريخ** (وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع. الطبعة 2002) ص 95.

[5] Moulay Belhamissi, **Histoire de Mostaganem** (Alger. Editons SNED, 1982) P 70.

معركة بقيادة اسحاق بن يعقوب ضد ابي حمو موسى الثالث المتعاون مع الاسبان، غير أنه هزم فيها. وشارك سكان منطقة غليزان وعلى رأسهم قبيلة سويد، البايلرباي حسن باشا (نجل خير الدين) في **معركة مزغران** 1558م، وفي حصاره لوهران عام 1563م، وحملة مصطفى كوسة على وهران في 1606م، وهزموا الاسبان. شارك في هذه الحملات الولي الصالح سيدي محمد بن عودة *"وهو حامي حمى مينة والذي يعتقد فيه أهل البادية والحاضرة "* [1]. *ولم ينس بايات الايالة الغربية جهود هذا الولي الصالح، فوسع الباي محمد الكبير ضريح سيدي امحمد بن عودة، كما اهتم البايات بزاويته الشهيرة* وانطلقت من مدينة مازونة عاصمة بايلك الغرب بعثات لتحرير وهران من الاسبان منذ سنة 1543م، وانطلق منها عدة بايات مثل: الباي بن خديجة، الباي صواق، الباي السايح المازوني، الباي ساعد، الباي شعبان الزناقي... ما يجب ذكره، هو ان تلك المقاومات كانت تتم تحت رايات الاولياء الصالحين، كجزء من الجهاد ضد الحملة الصليبية. إذ التحق علماء غليزان وطلبتها بجيش الباي ورابطوا بوهران الى غاية تحريرها.

غير أن ثقل حجم الضرائب التركية على القبائل، دفع البعض الامتناع عن دفعها. وساعدت جبال الونشريس المرتفعة والغابات الكثيفة استقلاليتها وتمرُّدَها على المخزن. كثورة **المْحَال** (سويد) في القرن الثامن عشر ضد بايلك الغرب (1742 الى 1747م)، والمحال عرب ينتمون الى بني هلال، وكانت قبيلتهم تتشكل من بطون كثيرة تنتمي الى قبيلة زغبة الهلالية. وكانت بعض الانتفاضات ذات طابع ديني– سياسي دعمتها الطرق الصوفية، من بينها الطريقة الدرقاوية (نسبة إلى محمد العربي الدرقاوي) المتركِّز نشاطها بمنطقة الونشريس، *"ومع هذا فقد بلغ التأثير الثوري لهذه الطريقة اقصى المناطق الشرقية التي كانت تابعة اقليميا لعمي موسى، حيث استجابت قبائل مكناسة ومطماطة لنداء الثورة كغيرها من قبائل مغراوة بالظهرة...ولعل رحيل قبيلة مكناسة من مواقعها السهلية قرب مجرى وادي ارهيو الى جبال مكناسة داخل غابات الونشريس سنة 1814م بسبب العزوف عن دفع الضرائب للسلطة التركية احد عوامل انضمامهم لثورة درقاوة"* [3،4].

إلى جانب ثورات سكانها، عرفت منطقة غليزان أعلام التصوّف وحركة دينية ووعظيَّة هامة. خصوصا منطقة **مازونة** (تبعد 65 كلم عن مقر الولاية). وأنجبت قضاة وفقهاء. وهذا ماشجع على تأسيس **مدرسة مازونة** الشهيرة من طرف الشيخ سيدي أمحمد بن الشارف البولداوي. تخرج منها خيرة العلماء أمثال الشيخ محمد بن علي السنوسي، والمؤرخ أبو راس الناصري*، والشيخ بومعزة. ومن بعض صلحائها:

<u>أبو عمران المازوني</u>: (توفي في اواسط القرن التاسع الهجري)، موسى بن يحي بن عيسى. نشا بمازونة، واخذ عن كثير من علماء عصره، وكان قاضيا. الف **(الرقائق في تدريب الناشيء من القضاة واهل الوثائق)، (وحلية المسافر وادابه وشروط المسافر في ذهابه وايابه)، (ديباجة الافتخار في مناقب**

---

[1] ابو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**. الجزء 4 (لبنان، دار الغرب الاسلامي. الطبعة الاولى 1998) ص 45.

[3] هي من اعنف الثورات التي هددت حكم الأتراك، وشملت كل الغرب الجزائري بما فيه منطقة غليزان، كتب عنها ابو راس (**درء الشقاوة في ثورة درقاوة).**

[4] بلحسن، المرجع نفسه، ص 86.

** اسمه الكامل، محمد بن احمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي (1165-1238م) اشتهر بكثرة مؤلفاته معظمها في التاريخ.

اهل الله الاخيار)، وهو والد ابي زكريا المازوني صاحب الدرر المكنونة [5].

<u>أبو زكريا المازوني</u>: (توفي في 883 هـ) يحي بن موسى، نشا بمازونة، واخذ عن والده وابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وغيرهم، وولي قضاء مازونة. توفي بتلمسان. واشتهر بكتاب **(الدرر المكنونة في نوازل مازونة)** جمع فيه الكثير من فتاوى علماء المغرب المتأخرين[1].

<u>الحسن بن محمد المازوني</u>: (1727م) الحسن بن محمد بن محمد بن مصطفى المازوني، ويعرف بابن منزول آغا، من كبار علماء مازونة في وقته، فقيه حنفي تركي الاصل. و"منزول آغا" لقب يطلق على كبار الضباط، من آثاره (**تحفة الملوك في حصر اصول الارث المتروك)**، وارجوزة في الفقه الحنفي. له **(منهاج السلوك في شرح تحفة الملوك)** شرح للأرجوزة المذكورة[2].

<u>الصادق بن علي المغيلي المازوني</u>: (1838م)، عالم، قاض، من فقهاء المالكية، من أهل مازونة. تعلم بها وبمعسكر، ثم رحل الى المشرق فتعلم بالأزهر الشريف. وعاد، فوُليَّ قضاء مازونة، ثم قضاء وهران.[3]

وعرفت منطقة غليزان، الطرق الصوفية.كالطريقة القادرية أتباعها بالأخص قبائل بني وراغ، والطريقة الطيبية خصوصًا بمرتفعات الظهرة والونشريس (مقر الزاوية الطيبية الآن ببلدية عين طارق)، والطريقة الدرقاوية التي جندت سكان المنطقة في الثورات. حيث تصدت قبيلة فليتة التي انضمت لانتفاضة الدرقاويين (1802–1805م) للادارة العثمانية. واستمرت ثورات القبائل الى غاية دخول الاحتلال الفرنسي. فبايعت العديد منها الأمير عبد القادر وانضوت تحت لوائه، بعدما عانت عقوبات جماعية من الاحتلال الفرنسي، كحرق الغابات واغتصاب الاراضي والمواشي، وسبي النساء... من بينها (قبيلة اولاد دافلتن، بني اوراغ عند حوض وادي ارهيو، ماريوة، مكناسة، اولاد بختة،

<u>العهد الاستدماري</u>: "دخل الاستدمار الفرنسي في اراضي ولاية غليزان الحالية في سنة 1836 عندما فتح مركز بلعسل وعمي موسى في سنة 1842، وبعد ذلك تغلغل داخل إقليم غليزان أثناء محاربته المقاومة الشعبية التي تمثلت في حرب الامير عبد القادر وانتفاضة الشريف بومعزة في سنة 1845 وهو من اولاد خويدم (مابين واريزان ووادي ارهيو) ولزرق بلحاج الفليتي في سنة 1864، وشارك اهالي المنطقة بالنفس والنفيس في كل المعارك وضاق القمع الوحشي للاستدمار الفرنسي"[4]. عرفت غليزان حركة استيطانية توسعية نظرا لخصوصيات التربة الخصبة التي تتوفر عليها بمساحات واسعة. والداووير التي كانت تضمها هي: (عمامرة، عناترة، عين الحلوف، بن عودة، بني درقن، بني اسعاد، شابت الديس، شوالة، Clinchant (المطمر حاليا)، دار بن عبد الله، فيري، هرارتسة، هنري–هوك، القلعة، قيايبة، اولاد عدي، مينة، لهيليل(

---

[5] عبد الحميد حاجيات، **الحياة الفكرية في عهد بني زيان**. في، **الجزائر في التاريخ**، المرجع نفسه، ص 444.

[1] المرجع نفسه، ص 445.

[2] عادل نويهض، **معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام الى العصر الحاضر** (لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثانية 1980) ص 280.

[3] المرجع نفسه، ص 280.

[4] معلومات قدمها لي المؤرخ عبد الله ريغي Abdallah Reghi، المختص بتاريخ ولاية غليزان، وأفادنا بالكثير، وفي تدقيق المعطيات اعلاه وبما يليها. اهتم ريغي بالنضال السياسي للحركة الوطنية بولاية غليزان. وبادوار المجاهدين فيها. الف عن غليزان كتابا قيما يحمل عنوان : Abdallah Righi, **Relizane 1954-1962** (Alger, Editions Casbah. 2010)

يلّل حاليا)، منداس، اولاد بركات، اولاد بوعلي، اولاد سيدي لزرق، اولاد زيد، غليزان، سيدي خطاب، سيدي سعادة، تسالت، يزرو، زمورة).

حافظت ولاية غليزان على عدد كبير من الطرق الصوفية حيث نجد فيها (القادرية والشاذلية والدرقاوية والهبرية والعلاوية والرحمانية والسنوسية والتيجانية والطيبية والعساوية والحمداوية....كانت البعض من هذه الطرق تحارب الوجود الاجنبي وكان البعض الاخر مواليا لفرنسا. فاثناء الحرب التحريرية الكبرى، احتضنت على سبيل المثال زاوية بومعطا (قرب مازونة) وزاوية عبد الوهاب بسيدي محمد بن علي وزاوية الشيخ عبد الباقي بواد الجمعة، وزاوية الشيخ بلحول قرب الصفصاف. لقد وقعت معركة بزاوي الشيخ بلحول في 27 جوان 1960 واستشهد فيها 13 مجاهدا، والقي القبض على الشيخ عبد القادر بلحول. هذا وكانت زاوية الشيخ عبد الباقي مركزا لجيش التحرير الوطني منذ شهر أوت 1956 حتى اكتشف أمرها من طرف السلطات الفرنسية حيث تم حصارها من طرف الجيش الفرنسي في 22 أكتوبر 1961 والقي القبض على افراد من عائلة الشيخ عبد الباقي. ومن بعض الشهداء الذين تكونوا في الزوايا نذكر: الشهيد حيدرة الشارف المدعو الشيخ السنوسي. الشهيد **جيلالي المدعو عبد الودود**. الشهيد بومدين محمد المدعو سي خير الدين.

<u>غليزان و الحركة الوطنية</u>: حين ظهرت المحاولات الأولى للنضال السياسي بالجزائر مع الأمير خالد حوالي عام 1919، ثم ظهور نجم شمال إفريقيا كأول تكتل سياسي بالمهجر الذي يطالب بانفصال الجزائر عن فرنسا، كان لغليزان شرف احتضان هذه الفكرة ، حيث يعتبر "**الحاج علي ولد عبد القادر**" و هو أحد أبناء هذه المنطقة المزداد في 1883 باولاد سيدي ويس ببلدية سيدي سعادة دائرة يلل بولاية غليزان[1]، أول زعيم للنجم قبل أن يتقلد مصالي الحاج قيادته، كما سايرت غليزان كل المراحل والأطوار التي مرت بها الحركة الوطنية قبل و بعد الحرب العالمية الثانية، هذا و قد كان المجاهد المرحوم " **أحمد فرنسيس**" أحد أبناء الولاية والذي أصبح فيما بعد وزيرا في الحكومة المؤقتة ، ثم وزيرا في أول حكومة جزائرية مستقلة، كان له دور كبير في إنشاء حركة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري U.D.M.A رفقة المجاهد المرحوم فرحات عباس.

بعد الاستقلال مباشرة، عرفت غليزان تغيرات سياسية اجتماعية سريعة. يورد أحد الكتاب الأجانب في مقال له حول ما لاحظه أحد طلابه بغليزان العائد من باريس بعد الاستقلال. حيث شاهد تحول اقتصادي تمثل في سيطرة جبهة التحرير على القطاعات الإقتصاعية التي كان تملكها الادارة الفرنسية والمستوطنون (مصنعين كبيرين، أراضي زراعية، مراكز خدمات، محطة القطار، شرطة جزائرية) واجتماعيا (الاستيلاء على السكنات المهجورة. عودة المهاجرين..) أما من الناحية السياسية فعرف حركة سياسة ملفتة ." فالاهتمام بالسياسة يدور بسرعة كبيرة في غليزان، من خلال مشاركة كل فرد، وفي الأخير تعطى الكلمة له. وعندما عاد بن بلة من زيارته للولايات المتحدة الامريكية وكوبا، نقلت 300 حافة خاصة المواطنين الى الجزائر العاصمة لتهنئته، كان هناك شبه إجماع حول اهمية بناء صناعة وطنية والحاجة الى

[1] Abdellah Righi, **Hadj-Ali Abdelkader: pionnier du mouvement révolutionnaire algérien** (Alger, Editions Casbah 2006) p 34.

دعم خارجي. لقد "كانت غليزان كاملة الحماسة" وكما يقول الطالب: "ضاجّة بالنقاش، وتعيش على الأمل "[1].

جدول (2–5) المعارك الأساسية بولاية غليزان

المصدر: مديرية المجاهدين الولائية (غليزان)

اسم المعركة	تاريخ و مكان وقوعها	قائدها	خسائر العدو	الشهداء	الغنائم
معركة اولاد عثمان	19أبريل 1957 بلدية الولجة	كرزازي عبد الرحمن "سي طارق"	75 قتيلا	04 جرحى	85 مات + 20 سلاحا
معركة سيدي عبد الرحيم	13نوفمبر1957 بلدية منداس	بوقندورة معمر" سي معمر"	40 قتيل + 09 جرحى	33 شهيدا + 15 جريحا	أسلحة مختلفة منها (رشاشات ، بنادق)
معركة البغاديد	24سبتمبر1958 بلدية الحاسي	علي قيطون "سي علي"	30 قتيل + جريح (01)	شهيدان (02) + جريح(01)	40 كارابيلا+ ماط + 52ماك + مسدس كولت +4 تومسون أمريكي
معركة شراطة	02 فبراير 1959 بلدية الرمكة	كرزازي عبد الرحمن "سي طارق"	700 + طائرة من نوع T_6	200 شهيد	//
معركة جبل بوركبة	14 مارس 1958 بلدية عين طارق	سي خميس	46 قتيلا	شهيدان (02)	رشاشات ، و بنادق ، وذخيرة مالية
معركة اولاد عائشة	1962/03/13 بلدية حمري	*عدة بن عودة "سي زغلول"*	//	//	//
معركة الرمكة القديمة	عام 1959 بلدية الرمكة	أحمد مازوني	30+ قائد،03 ممرضين	//	12 سلاحا خفيفا + قطعة FMأمريكان

لغليزان موقع هام اقتصاديا وإستراتيجيا. اذ يمر بها الطريق السيّار شرق–غرب والطريق الوطني رقم 04. تقع ببعد 60 كلم عن ميناء مستغانم، وب 120 كلم عن مطار وهران الدولي، وب 280 عن العاصمة. تحتل مساحة تقدر ب 4851,21 كلم^2 تتشكل بالأساس من مناطق ريفية بمعدل 76% من مساحة الاقليم الكليّة. تحدها مستغانم من الشمال، وشلف من الشرق، معسكر وتيسمسيلت من الغرب، وتيارت من الجنوب. تحوي الولاية 38 بلدية مجزاة على 13 دائرة. بلغ عدد سكانها سنة 1998 حوالي 642205 ن، وفي 2008 حوالي 726180 نسمة، بمعدل زيادة يقدر ب 1.3 سنويا"[2]. والآن ب 732,20 نسمة.

الصورة (2 –1) موقع ولاية غليزان ←

[1] Schofield Coryell, **Change comes to Relizane** (Africa Today, Vol. 10, No. 1 (Jan., 1963), Published by: Indiana University Press) p 12.
Stable URL: Http://Www.Jstor.Org/Stable/4184378 .

[2] **Données Statistiques N° 527/48. Wilaya de Relizane** (5eme recensement general de la population 2008) (Alger, ONS, 2008).

2-3 / وادي ارهيو: إتساع سكاني وحراك سياسي .

تقع وادي ارهيو في الناحية الشمالية الغربية لولاية غيليزان، وتشكل مركزا جغرافيا استراتيجيا يربط عدة مراكز حضرية، ويصنع همزة وصل بينها. كما أنه يبعد عنها بمسافات متقاربة. فعن ولاية معسكر ب 110 كلم، وتيارت ب 132 كلم، وعن وهران ب 185 كم، و 95 كم عن تنس وب 110 كلم عن ولاية عين الدفلى. ب 40 كلم عن شلف و 200 كلم عن البليدة، و بمسافة 255 كلم عن العاصمة.[1]

الصورة (2– 2) صورة لوادي ارهيو من غوغل ايرث Google Earth 2010

"تتربع وادي ارهيو على مساحة تقدر ب 241 كلم^2 أي 11,55 % من مساحة الولاية الإجمالية. هي ذات خصائص طبيعية متنوعة"[2]. وكما نلاحظ من خلال الصورة بالقمر الصناعي فهي منطقة عمرانية كثيفة محاطة بالأراضي الزراعية المستعملة (SAU)، "تشكل فيها المساحة الزراعية المستعملة 11250 هكتار بحجم 46% من المساحة الاجمالية للتجمّع. بها 150 هكتار غابات. يمتد سهلها على مساحة 13014 كلم، أي بحجم 54 %(سهل نهر شلف السفلي) ويتميز بنوعية اراضيه الزراعية الخصبة . وفي الناحية الجنوبية سلسلة من التلال الصخرية، تدعى عادة ب (الصَّفاح Saffah) تغطي مساحة ب 11084 هكتار اي بحجم 46%"[3] ويتوزع عدد السكان حسب احصاء 2008 إلى 55430 بالتجمع الحضري الرئيسي، 7112 بالتجمع الحضري الثانوي، وبالمنطقة المبعثرة 2143 ساكن"[4]

تاريخ وادي ارهيو يضرب في التاريخ، يشار إليها في الكتب القديمة (ابن خلدون، البكري...) بحوض ارهيو. وهي جزء من تقاطع التاريخ العام لمنطقة عمي موسى والونشريس وتنس وغليزان. وبعد دخول الاحتلال الفرنسي أمر نابليون الثالث بتأسيس منطقة للاستيطان فيها وغير إسمها الى INKERMAN ، تشير بعض المصادر أنها تأسست في 28 جانفي 1870، غير أن أرشيف محاضر الاحصاءات يورد

---

1 **Révision du plan directeur d'aménagement et d'urbanisme : du groupement de communes, Oued Rhiou et Merdja Sidi Abed (Phase 3. 2011**) (Relizane, direction de l'urbanisme et de la construction, et URBAT. unité de Sidi Bel Abbes) p 12-13.

2 Ibid., p 12

3 Ibid., p 12

4 **5 e Recensement général de la population et de l'habitat (Données Statistiques N° 527/48)** (Alger, ONS, 2008) p 2.

أنها اعتبرت مقاطعة إدارية رئيسية تأسست في 6 جانفي 1891، بنيت فيها محكمة، ومدرستين تحتوي 17 قسما"[1]، ضمت عددا من الدواوير هي: (توارس، Saint-Aimé جديوية حاليا، Renault (سيدي امحمد بن علي حاليا) ، أولاد يعيش، أولاد صابر، أولاد موجور، أولاد اسمور، أولاد العباس، أولاد دافلتن، أولاد بورياح، أولاد بُويَكني، أولاد علي، واريزان، الملعب، مكناسة، مكمان، مديونة، مازونة، ماريوَة، قصبة بوماطة، عين كرمان، الحمادنة، Guillaumet (عين طارق حاليا)، غارواو، الحمري، لحلاف، جرارة، شكالة، بوحلوفة، عمي موسى، أهل القورين، عجامة) والملاحظ ان هذه التقسيمات احتفظت على تسمية القبائل التاريخية التي سكنت المنطقة. وكانت المنطقة الإدارية الرئيسية لعين كرمان تتربع على 161,47 كلم^2 ، "تتوزع على مساحة القرية (Inkerman Village) 53,45 كلم^2 + المزارع التي يشكلها دوار مرجة القرقار بحولي 67,03 كلم^2 و دوار عبد القوي ب 40,99 كلم^2"[2] كانت عين كرمان بلدية كاملة الصلاحيات Commune Plein Exercice، في البدء كانت تابعة لإيالة وهران، ثم أصبحت تابعة لإيالة مستغانم الجديدة في 1958. أنشئت بها عدة مباني: كمركز البريد والتليغراف، كنيسة، مركز للدرك الوكني، مكتب S.A.S، سجنان، مركز لدفع الضرائب، قاعة الحفلات....

التاريخ الزراعي[3]: كانت عين كرمان في عهد الاحتلال منطقة زراعية تزخر بالعديد من المنتجات ذات الجودة الرفيعة التي تصدَّر مباشرة إلى فرنسا، وكانت الأراضي الخصبة تحت سيطرة المستوطنين وهم يمثلون فئة الملاك الكبار البرجوازيين الذين يمتد عقارهم لأكثر من 10 هكتارات. عَرفت العديد من المنتجات الزراعية باعتبارها تتوفر على مياه وادي قريقرة Grigra ووادي شلف، وشهدت نشاط حوالي 76 مزارع أجنبي أمثال: إميل تريون Emille Terrion أكبر أغنياء المقاطعة. وأول من أدخل زراعة الأرز إلى عين كرمان، وكان الأجود ويصدر مباشرة بعد جنيه. كانت شركته تسمى Rizmi كاختصار للأرز الابيض Riz Millet وأسس تعاونية زراعية في 1954. كانت عين كرمان تحتفل **بعيد الأرز** La Fête De Riz إلى غاية 1965 ولا يزال المبنى إلى يومنا هذا، وحوّل إلى تعاونية الحبوب CCLS. وكانت نوعية الأرز تعرف داخل الجزائر وفي فرنسا تحت اسم أرز حوض الشلف Riz De Bas De Chelif. ومن بين الملاك كذلك، باستور Pastor والذي أدخل زراعة القطن، كان الأجود على مستوى مقاطعة مستغانم. و أمثال بول الفادو و بول سانتوس Paul Santaus Et Paul Alvado اللذان كانا اسبانيا الأصل. أُشتهرا بزراعة القرنون، الشمّامMelon، البطيخ Pastèque. وكان بليسون ودوفيلنيف Blesson Et Devilneav يمتلكان أشجار الحمضيات والزيتون إلى غاية سان ايمي (جديوية). عَرفت زراعتهم إستعمال الوسائل الحديثة كالجرارات والشاحنات... أغلبها من صنع شركة رونو Renault.

---

[1] **Population légale ou de résidence habituelle**, répertoire statistiques des communes d'Algérie Vol.1 (Résultats statistiques du dénombrement de la population effectué le 31 octobre 1954, directions générales des finances) p 114.

[2] Ibid., p 114.

[3] تم كتابة هذا التاريخ بعد لقاء 5 مخبرين ذو مستوى ثقافي جيد، يجيدون اللغتين العربية والفرنسية . عايشو تلك الفترة، تتراوح أعمارهم بين 59-72 سنة هم: بن سلة، باهي، صحراوي، حمنيني، محال. وكانت المقابلات فردية. نورد في هذه الأسطر التاريخ المشترك الذي أكده لي العديد من المجاهدين (بإيجاز)، واحتفظنا بتاريخ آخر لا تسعه الدراسة، كما استبعدنا بعض المعطيات التي تبدو متناقضة أو مبالغ فيها.

أما حول الظروف المعيشية للفلاحين بعين كرمان، فكانوا مجرد خماسة وعمال. فمصنع تيريون بالجهة الشمالية كان يشغِّل 15 امرأة، تختص بملء الأكياس ووضع الملصقات عليها، يساعدهم في ذلك 15 رجلا. ربما كان تيريون يشغِّل كل زوجين. أما في موسم الحصاد فكان يجتمع حوالي 300 إلى 350 من **الشوالة** في ساحة بوسط المدينة تدعى **سبَّالة فلواح**. وكان تجمع الشاحنات لحصاد المحصول، يراقب **الوَقَّاف** le conducteur du travailleurs كل مجموعة مع مساعدة بعض **القُياد**. كان أجر الفلاحين/العمال بين 9 إلى 12 فرنك في اليوم، أما القطن فكان ½ فرنك للكيلوغرام الواحد. وعرفت عين كرمان حكايات المدّاحين، فكان بها ثلاثة : بوعبد الله الغليزاني (مداح كفيف) وآخر لقَّبوه كنايةً عن ممثل أروبي عرف ب Tarres Bulba، والثالث (لم نتمكن من العثور على اسمه). كان لهم دور أساسي بعد اندلاع الثورة في ترديد بعض الاشعار حول سلبية العديد مِن مَن لم يقفوا لدعم الكفاح المسلح، مشبهين دمهم بدم الضفادع. إن الواقع الاجتماعي والاقتصادي لسكان المنطقة يشير إلى درجة الاستغلالية التي ميّزت المستوطنين وعهد الاحتلال. والجدول ادناه يبين توافد الفرنسيين والأجانب الى منطقة عين كرمان التي كانت مصدرا للرزق ومكانا آمنا.

الجدول (2-6) الفارق بين المسلمين وغير المسلمين بعين كرمان من 1936-1960

عدد السكان (إحصاء 1936)[1]			عدد السكان (إحصاء 1954) [2]				عدد السكان (إحصاء 1960)[3]		
الاوروبيون	الاهالي	المجموع	الاجانب	المسلمين	غير المسلمين	المجموع	المسلمين	غير المسلمين	المجموع
1043	6025	7068	84	10140	1127	11351	120791	2445	123236

التاريخ السياسي. بعد إندلاع الثورة خشي الاستدمار الفرنسي على ممتلكات المستوطنين الكبيرة، فدعَّم عين كرمان بالعسكر، وأنشئت بها مكاتب S.A.S. كانت عين كرمان جزءا من الناحية الأولى بالمنطقة الرابعة للولاية الخامسة، وتضم الناحية الاولى كل من: عين كرمان، سان ايمي، مرجة سيدي عابد، لحلاف، الولجة، أولاد يعيش، الحاسي، عمي موسى، غيّومي(عين طارق)، الرمكة، سوق الحد. وعرفت المدينة عمليات فدائية استهدفت الخونة والمستدمرين ومراكز الجيش الفرنسي والمنشآت الاقتصادية الزراعية. إستطاع الفدائيون الحصول على مادة البلاستيك من معمل شانيو Chagnaud لصنع المتفجرات. فقد نفّذ المجاهدون عملية تفجير في مطعم السيدة بول Madame Paul المتواجد على الطريق وسط المدينة، وجرح على اثره رئيس بلدية عين كرمان André Reboul ، وفي 1956 تفجيرين بنادي الشرطة. ولم تثني عزيمتهم الاعمال القمعية والتعذيب في السجون*، ووحشية الضابط برنار Bernard Ninon. ومن ابرز رجال وادي ارهيو نذكر الشهيد **تازغات الجيلالي** الذي كان سائقا بمعمل شانيو ومسؤولا للفرع

---

1 **Statistique comparée des recensements quinquennat de la population algérienne en 1936 et en 1931** (Alger, Service central des statistiques, Mars 1937) p 89.

2 **Population légale, op.cit., p 114.**

3 **Premiers résultats de recensement des population de 1960. populations municipales, résultats provisoires** (Statistique general de l'Algérie) (Alger, Delegation Générale En Algérie 1960). p 19.

* كان هناك سجنان: الاول رئيسي ولا يزال الى يومنا هذا باسم **بن عابد** وهو على الطريق الوطني رقم 04، والثاني فرعي كان يتم فيه الاستجواب والتعذيب والقتل، بُنيَ فيه بعد الاستقلال تمثالا للشهداء. نقول هذا ونحن نشير الى الصيغة الفريدة لمارك كوت حول **المكان المحوَّل l'éspace Retourné.**

النقابي لهذه المؤسسة، ومستشارا بالبلدية حيث انتخب في قائمة الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري، وكان عضوا نشيطا بالشعبة المحلية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في سنة 1956 واسمه الحربي **سي العقبي**، وكلف بالجانب السياسي من طرف سي عبد المومن مسؤول الجهة. لقد ضَحَّت مدينة وادي ارهيو ب 114 شهيد من بينهم: 34 أعضاء جيش التحرير الوطني و84 أعضاء المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني.

جدول (2-7) عدد شهداء وادي ارهيو من 1954 إلى 1962

السنة	55/1954	1956	1957	1958	1959	1960	1961	1962	المجموع
عدد الشهداء	0	0	27	50	15	5	12	5	114

المصدر: مديرية المجاهدين الولائية (غليزان).

تحوي وادي ارهيو تراثا صوفيا هاما استمر بفضل الصلحاء وتقليد السكان، رغم بروز تيارات دينية جديدة ومحددات ثقافية غيرت النظام الثقافي لديهم، فلا تزال زيارة الاولياء المظهر العام الذي يتجلى في المناسبات الدينية او مناسبات الزواج. ومن من صلحاء المنطقة: العارف بالله الشيخ سيدي محمد ابو عبد الله المغوفل احد علماء الجزائر في بداية القرن العاشر الهجري، (828 هـ، 923هـ/1424م، 1518) المدفون بوادي ارهيو. كان من المرابطين البارزين ولأهميته حاول العثمانيون الاستفادة من نفوذه الروحي في اول عهدهم...وكان لابن المغوفل ستة أولاد، اثنان منهم قد رافقا الحملة العثمانية على تلسمان"[1] لمقاومة الاسبان. كانت له زاوية بوادي ارهيو، وتعتبر أرجوزته **(فلك الكواكب وسلم الرقيا الى المراتب)** والمعروفة ب **(الفلك الكواكبي)** عملا هاما في التعريف بالتصوف وأهله، حيث عدد فيها الصلحاء وأولياء شلف من القرن السادس الى التاسع، ويعتبر اهم الاعمال بعد **(صلحاء شلف)** لموسى المازوني، يعتبر **أبو راس الناصري المعسكري** "أن المغوفل كان احد أعجوبات الدهر في علمه وورعه وكراماته يشهد لعلمه قصيدة مدح بها الرسول (ص) فيها سبعون بيتًا، وليس فيها حرف يستحق النَّقط، بل كلها عواطل من النُقط، وكفى به حجة"[2]. ويتواجد في الناحية المقابلة على الخط الوطني رقم 04 ضريح **سيدي عابد** أحد أحفاد سيدي بوعبد الله. كان ولايزال لهذا الضريح دورا بارزا في لمّ شمل الزوار الوافدين من ولايات مختلفة، ويكفي ذكر أنه كان إبان ثورة التحرير مكانا للتواصل وتبادل المعلومات وإحياء النقاشات الدينية والسياسية. كما يشكل مناسبة **طعم سيدي عابد** (الوليمة) مظهرا للتضامن الاجتماعي.

عرفت وادي ارهيو بعد الاستقلال تغيُّرا إجتماعيا سريعا، تجلى في الاستيلاء العشوائي للسكان على منازل المستوطنين وعلى أراضيهم. كما عرفت بناءات غير مرخصة على الأطراف. ومن جهة أخرى فقد تأثرت بالاستراتيجية الوطنية للتنمية، فأنشِئت فيها ضمن إطار حركة التصنيع الشركة الوطنية لإنتاج اللوالب والسكاكين والصنابير BCR، تشغّـــل مئات العمال. واستفادت من مشروع **الثورة الزراعية** حيث حصلت على 34 مستثمرة فلاحية فردية (EAI) موزعة على 34 مستثمر، و 59 مستثمرة جماعية (EAC) تشغل

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي .الجزء الثاني(1500-1830)** (لبنان، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الاولى 1998) ص 115.
[2] المرجع نفسه، ص 133.

الصورة (2–3) مشهد لطعم سيدي عابد إبان الاحتلال

380 مستثمر"[1]. كانت المستثمرات تحت صيغة حق الانتفاع الدائم، أما حاليا فهي تُحوّل إلى **حق الامتياز** ضمن مشروع وزارة الفلاحة الجديد. وهي صيغة فرضها التحول الاقتصادي الجزائري نحو رأسمالية حذرة.

أرغم التزايد المستمر للسكان ببلدية وادي ارهيو السلطات الى التعجيل بزيادة المنشات والمرافق العامة. كالتجهيزات الثقافية والرياضية وتتشكل من: مركز ثقافي، بيت الشباب، مكتبة مركزية، 2 دار للشباب، صالة متعددة الرياضات، مسبح، و6 ارضيات منضّدة. كما تحوي على العديد من الهياكل التربوية. يمثل الجدول ادناه تطور عدد السكان بالمدينة.

الجدول (2– 8) تطور عدد السكان بمدينة وادي ارهيو (1987–2008)

إحصاء	1987	1998	حجم النمو 98/87	إحصاء[2] 2008	حجم النمو 2008/98
وادي ارهيو	38034	34433	% 3,31	64685	%1,8

المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة الحضرية لوادي ارهيو 2011.

هذه النسبة العالية للسكان، ستغيِّر المنظومة الثقافية المتجانسة التي عرفتها المنطقة. وسيكون للتحولات الثقافية الاثر في ميلاد تيار ديني سيدخل بثقله في صنع الأحداث بالمنطقة. وهذا ما يدفعنا لتتبع مسار الأحداث السياسية التي مرت بها. فخلال الفترة الاشتراكية لم تكن العناوين الثقافية سوى إنعكاسا للمشهد الوطني. ورغم أن المدينة كانت ذات طابع ريفي آنذاك فقد وجَدت عناصر قوية مفرنسة تتداول بينها مؤلفات الفكر الماركسي.خصوصا بعد توافد عدد هام من القبائل الى المنطقة واستقروا في الشوارع الرئيسية وامتلكوا محلات المستوطنين على الطريق العام. وفي الثمانينات تسلل محفوظ نحناح إلى المنطقة وسيطر على الحركة الاسلامية، واصبحت وادي ارهيو متجانسة دينيا تحت لواء نحناح وكانت **الجماعة الشرعية** تسيِّر المنطقة. تضم عددا من الاساتذة والائمة. بعد أحداث أكتوبر 1988 فئة قليلة تمردت على الجماعة

[1] Office Nationale Des Terres Agricoles (ONAT) Relizane.
[2] 5e Recensement, Op.cit. p 1.

الشرعية، نذكر من بينهم الشخصية البارزة التي ستكون محورية في هدنة الجيش والجيش الاسلامي، السيد عواد بوعبدالله. والذي سيصبح أمير المنطقة للجيش الاسلامي للإنقاذ. كان معلما وينظم حديث الصباح له ميولات دينية وليس له إلتزام حرَكي. وبعد ظهور **الجبهة الاسلامية للإنقاذ** (FIS) في 1990، ظهر اناس جدد يتكتلون ضد الجماعة الشرعية، واستطاعوا إقناع المرجع المحلي وكان خطيبا مفوّها. كان للجبهة الاسلامية للإنقاذ صعوبة في الإنغراس في منطقة وادي ارهيو والانطلاق في العمل الحرَكي نتيجة تذبذب المتدينين بين الجماعة والجبهة، إلا أن تَدَخَّل أمير منطقة شلف سيفصل بين الحركيتين. كان أول صدام بين هاتين في الانتخابات البلدية ل 1990 لأن جماعة نحناح قدَّمت قائمة حرة في مواجهة الجبهة ، وأعلن هذا الأخير الحرب على جمعية الإرشاد والإصلاح، فمزقوا مجلاتهم الحائطية ومنعوا الصلاة وراء ائمتهم.

المشهد السياسي الثاني يتمثل في ظهور **حزب التجديد الجزئري** (كان رئيسه نور الدين بوكروح) وأخلط الأوراق في البداية، لأن انضم إليه مثقفون معروفون بالبلدية خصوصا المطلعون على فكر بن نبي، ولكنه إنسحب من البلديات بعد مؤتمره التأسيسي. كان هناك صراع خفي بين الأعضاء المتحولين من حزب جبهة التحرير الوطني FLN الى FIS، وبين أعضاء FIS الأصليين. وبعدما حسم الصراع لصالح متحوّلي FLN، تحول الأصليون إلى جمعية الإرشاد والإصلاح. غير أن تناقضات FIS بدأت تظهر محليا بعد إضراب 16 جوان 1991 ، لأن هناك قيادات بارزة لم تكن مقتنعة به. وفي انتخابات ديسمبر 1991 على إثر توقيف المسار الانتخابي تم اعتقال مجموعة كبيرة ونقلهم الى رقان، وبعد شهرين بدأت اغتيالات قيادات الشرطة (واضح وحميدة) واغتيال هذين الشخصين أدى إلى أن المنطقة تدخل في وضع جديد أهم ملامحه: تعزيز الأمن التفتيش، فتح وحدات القوات الخاصة...وبدأ السكان يشعرون فعليا **بالتغير السياسي في وادي ارهيو** على إثر هذه الأحداث، وكان الحدث البارز اعتقال رئيس البلدية المنتخب(بن عبد الله. كان استاذ رياضيات) وإدخاله السجن، ونقله بعد ذلك إلى رقَّـــــان. وشغلت المندوبية المنصب (DEC).

بعد تفشي العنف واشتداد الأحداث الدموية خلال عام كامل(ماي 1992/ماي 93). ركَّز الجيش الاسلامي للإنقاذ على إغتيالات فردية للشرطة، ولم يتمكن الأمن الوطني من إسقاط هذه الشبكة إلا بعد عام. فتفككت الشبكة بعد قتل واعتقال أفرادها. وجاءت المصالحة التي أتى بها برنامج الرئيس زروال لتعزز بعض الهدوء النسبي، فبدأت مظاهر الحياة الطبيعية تسترجع، وبدأ السكان يعودون إلى منازلهم الشاغرة، وانطلقت المشاريع العمرانية الموقفة منذ 1993 من جديد. اما فترة المصالحة الوطنية التي جاء بها برنامج الرئيس بوتفليقة فأوقفت بشكل نهائي مظاهر العنف. غير أن النتيجة كانت جمود سياسي تام عرفته النقابات والأحزاب، بعد إبتعاد كل السكان عن ممارسة "**البوليتيك**".

3-3/ بلدية واريزان: وسط ريفي من ولاية غليزان.

واريـزان Ouarizane أو Ouaghizane قريـة بربريـة قديمـة، الشـائع حـول التسـمية أنهـا كلمـة أمازيغية مكونة من جزئين تعني **هضبة الذباب** أو وادي الذباب نسبة الى وادي واريزان. الذي يعود تاريخه إلى العصر الحجري الأوسط ، حيث هناك آثار بملتقي نهري تامدة بوادي واريزان (ناحية مازونة). أما ما أكده لي المؤرخ ريغي فإن التسمية تعني "الحصن" أي مكان لم يقربه أحد. واريزان بلدية من ولاية غليزان تقع في الجهة الشمالية لحوض شلف السفلي، وهي واجهة من جبال الونشريس. تقدر مساحتها ب 88.15 كلم^2 ، أي 8815 هكتار أين 5782 هكتار فيها صالحة للزراعة. فهي منطقة زراعية بامتياز. تحد جغرافيتها البلديات التالية: من الشمال مازونة والقطار، ومن الشرق عين مران و بوقادير، وغربا بلدية الحمري، وجنوبا وادي ارهيو وجديوية. أما النسيج الحضري للبلدية (المنطقة الرئيسية) فيتكون من ثلاث تقسيمات: الأول هو المركز القديم، وهو عبارة عن نواة عمرانية كولونيالية. والثاني هو الحي الجديد، ويشمل الثالث التمدين العمراني الحديث.

الصورة (2–4) صورة فوتوغرافية لبلدية واريزان (المنطقة الرئيسية) 2011

لم نعثر على وثائق تاريخية أو مونوغرافيا بالبلدية تتناول بشيء من الدقة والتفصيل هذه المنطقة، إلا أننا إستقينا بعض المعلومات من مثقفي المنطقة*. كانت واريزان أيام الحكم الاستعماري عبارة عن حاضرة يقطن وسطها المستوطنين، بينما تضم أطرافها عدة دواوير تقطنها قبيلة أولاد العباس، والمرابطين أولاد سيدي بوعبد الله، وقبيلة صبيح وقبيلتي أولاد عمار، وبني وراغ. وكانت في السابق حاضرة تابعة لبلدية رونو Renault (سيدي امحمد بن علي حاليا) ثم اصبحت بلدية كاملة الصلاحيات Commune Plein Exercice ابتداءا من 1957. كانت نسبة المستوطنين بها مرتفعة، حوالي 1746 غير مسلم و 1838 مسلم[1]. هناك مراحل من التطور السياسي مر بها المجتمع الريفي في واريزان، كان سببها ظهور الوعي

* بفضل سايح الحبيب احد المسؤولين الان بالبلدية. حاصل على دبلوم من المدرسة العليا للإدارة. وساعدنا في الحصول على معطيات أخرى.

[1] **Premiers résultats de recensement des population de 1960,** Op.cit. p 19.

السياسي وتفشّيه كظاهرة إجتماعية وسياسية منذ عهود الاستعمار الفرنسي. وقد وفّرت التقاليد الاجتماعية والدينية قاعدةً أساسية للمشاركة السياسية. كما عرفت المنطقة بعض العائلات من الأشراف التي تشرَّبت بالتقاليد الصوفية. وكان هناك بعض النقباء والأعيان نذكر من بينهم **بن عزوزي**، بوقطاية، فردية...

في مقابلة بيوم 2012/06/23، مع المجاهد **بن عزوزي** أحد أكبر مجاهدي المنطقة، وابن أحد مشايخ الصوفية. وهو الآن أحد الأئمة الكبار الذي يفصل في المنازعات، ويَؤُم الناس في الجنائز... حاولنا تلخيص بعض التاريخ السياسي للمنطقة –رغم كبر سنه وتدهور حالته الصحية– فتعمَّدنا أن تكون الأسئلة نفسها التي جمعتنا مع مخبرين من مدينة وادي ارهيو، ووجدنا كل الدقة والصحة مع ما تم جمعه. المجاهد بن عزوزي مثال حول دور الزاوية في دعم ثورة التحرير بالمنطقة، فقد كان معلما للدروس الدينية بزاوية سيدي بوعبد الله. التقى في 1954 مع بن بلة في المدينة الجديدة بوهران، بعدما كان قد جاء من المغرب. التحق سرا بالعمل النضالي في الأيام الأولى، وكلفته الجبهة فيما بعد بجمع الاموال تحت قيادة الشهيد بن عافية وبلّلوش. وحتى لا تتمكن S.A.S من كشف أمرهم، كان عرش أولاد سلامة يدَّعي انه يجمع المال لجامع بللوش، تحت إشراف **طُلبَة** الشيخ بلخاين والشيخ محمد سيد الجيلالي، والنقود المجمعة تذهب للثوار عن طريقه بعدما كان يخبئها في الزاوية. وأكد لي أنَّ العسكر كان لا يحبذ دخولها وكان المستوطنون يحضرون الزيارات ويهابون الهالة القدسية التي تمتلكها. إضافةً إلى ذلك كان يجمع الاشتراكات من مختلف المساجد ومن عند عدد كبير من **الطلبة** والمشايخ. كانت نسبة المستوطنين والعساكر كبيرة بالمنطقة، وساعد تواطؤ الحركى (les harkis) من مضاعفة معاناة السكان. ومن امثلة ذلك قتل إثنين بعدما أُشتبه بدعمهما للثورة. وقُتِل الحاج بقدور(الخرج) لأن أحد الحركى رآه يخبئ **جريدة المجاهد** في صندوق النحل وأخبر عنه، كان يحضر الشهيد الجريدة خصيصا لبن عزوزي بعدما يقرؤها. ونموذج الجريدة يدل في هذه الحالة على الارتباط السياسي بالأحداث على المستوى الوطني، وكان الراديو مصدرا آخرا للتواصل، والتعرف على إنجازات جيش التحرير في باقي المناطق.

غير أنه وُجد من كان يعمل مع الشرطة الفرنسية وقدم الدعم الفعلي للثورة، من بينهم المجاهد **حجوط** الذي كان ينشط مع العسكر ويتولى فرقةً لتمشيط المنطقة. فكان يُعلم بن عزوزي والثوار حول أوقات الخروج وأمكنة التمشيط، إضافة إلى أنه كان يأخذ السلاح والذخيرة من المخزن ويقدمها للثوار*، وعندما كانتS.A.S تقيم السينما بإحدى مزارع المستوطنين(مزرعة غالي Gali) على الطريق الرابط بين واريزان ووادي ارهيو. وتجبر السكان على الحضور. كان سي حجوط يأتي بالثوار ويلبسهم ملابس النساء كي لا يُكتشف أمرهم. ومن بعض العمليات نذكر:

- كمين وضعه الشهيد أحمد ولد عليان للانتقام من مانوال Manwal عربي تنصر والحق الأذى بذوي المجاهدين، حيث أقنعه ولد عليان بالذهاب معه لجلب الطعام إلى الزاوية، وقام بعدها بقتله.

* كانت لا تزال صناديق الذخيرة مخبأة الى غاية 2012، وبعد حصة اذاعية مع الشيخ بإذاعة غليزان، جاءت فرقة خاصة من العاصمة وأخذتها.

- في 1957 وفي ليلة واحدة مشى الجنود أعراش قرواو Guerouaou ، قرين، واريزان وقامو بتكسير الجسور، وذبح أغنام المستوطنين، وقتل الخيول، وقتلوا راعي عربي (قيناني عدة) بعدما أبدى مقاومةً. كما قطعوا أشجار التين التي كان يملكها المستوطن مازي mazi، وكان من كبار ملاك الأراضي. وانتزعت تلك الاراضي من سكانها بداية من 1910 إلا أراضي عمراوي (الحاج فغول) الذي رفض نزع ملكيته. ولا يزالون إلى الآن يمارسون مهنة الزراعة على أراضيهم.

وفي 1691 وفد إلى المنطقة الضابط بيتي Capitaine Betti وطبق سياسة وحشية لمحاصرة المنطقة، مع تعذيب المشكوك في مساندتهم للجبهة. لكن اللافت أيضا هو تعاون أحد الأطباء المستوطنين مع الثوار، هو الطبيب شتريت Chetrit (يهودي الأصل)، كانت له صيدلية بوادي ارهيو ، كأن يقدم الأدوية ويجمعها للفدائيين. قدمت بلدية واريزان عددا من الشهداء، خصوصا في 1957–59 أي بمجيء ديغول وإستراتيجية **قادة المطاردة** Commandants de chasse التي وضعت خصيصا للمناطق الريفية والجبال. وللعلم فلقد كانت واريزان تابعة اثناء الثورة التحريرية الى القسم 3 من الناحية الثانية للمنطقة الرابعة للولاية الخامسة، قدمت 23 شهيد، 3 أعضاء جيش التحرير و 20 أعضاء المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، وهذا مايؤكد صيغة الادوار الفدائية وجمع المال التي ميزتها، غير ان مديرية المجاهديت تذكر 22 شهيد.

الجدول (2–9) عدد الشهداء ببلدية واريزان 1962/1954

	1954	1955	1956	1957	1958	1959	1960	1961	1962	المجموع
واريزان	–	–	0	3	16	3	0	0	0	22

المصدر: المديرية الولائية للمجاهدين (غليزان).

تطورت في واريزان حركة ثقافية كان لها دور فعال في ترقية الوعي السياسي للسكان، بالرغم من ظروفهم القاسية والمستوى التعليمي المحدود، وبعيد الاستقلال لم تنقطع وعرفت عدة فرق مسرحية كان لها بالرغم من بساطتها قوة اقتراح وتوجيه وتنوير وفق افاق وأهداف محدودة... وكانت لهذه البلدية مساهمة معتبرة في العمل السياسي في ضوء التطورات التي شهدتها البلدية من توسيع الاستفادة من التعليم والتطوير شبكات الاتصال والتواصل. "من بين التجهيزات الحالية: **الثقافية**: مركز للتكوين المهني والتمهين، مركز ثقافي، مكتبة (نصف حضرية) **الرياضية**: 5 فضاءات ترفيهية، وملعب، وقاعة للرياضات. اما فيما يخص التدريس فالبلدية تتوفر على 11 مدرسة بها 86 قسم تضمن تمدرس 1912 ، أما التعليم الاساسي فتوفره ثلاث متوسطات بقدرة 48 قاعة يتمدرس بها 1781 تلميذ. وتحتوي البلدية على ثانوية بقدرة 21 قسم، يتمدرس بها 678 طالب"[1].

وعرفت واريزان زيادة هامة في عدد السكان، والجدول الآتي يبرز أحجام النمو عبر إحصاءات مختلفة:

[1] **Etude de révision du PDAU de la commune de Ouarizane, rapport d'orientation –Phase 1** (Relizane, B.E.T MINA, Etudes techniques d'architecture d'urbanisme et environnement) p35-36.

الجدول (2–10) تطور عدد السكان في بلدية واريزان من 1977 الى غاية 2010.

التشتت	عدد السكان 1977	عدد السكان 1987	حجم النمو % 87/77	عدد السكان 1998	حجم النمو % 98/87	عدد السكان 2008	حجم النمو 2008/98 %	عدد السكان 2010
واريزان	2273	3818	5,32	6077	4,7	6783	1,1	6933
اهل عابد	1027	1648	4,84	1640	3,7	2367	0,6	2395
اولاد قدور	–	1507	4,3	2311	2,8	1748	0,2	1751
مناطق مشتتة	6105	7355	1,89	7985	0,8	9178	1,3	9418
البلدية	9405	14328	4,29	18013	2,3	20076	1,1	20497

المصدر: بلدية واريزان و بعض المعطيات من DPAT لولاية غليزان.

نتيجة إزدياد عدد سكانها "باشرت السلطات المحلية بمراجعة **المخطط التوجيهي للتهيئة والتنمية الحضرية** PDAU طبقا للتوجيهات التي نص عليها قانون رقم 90–29 المتمم والمعدل في 2004. كما يوجد هناك عناصر أخرى والتي تساهم اليوم في إعادة النظر إلى هاته الاداة.

- مشاريع التهيئة داخل البلدية والهيكلة الحضرية لا تلبي بشكل أساسي الأهداف التالية:

- تطور الوضعية والتغيرات السريعة في السنوات الأخيرة على المستوى الإقتصادي والإجتماعي والتي من آثارها المشاهدة تطور كبير للسكان، كما سبَّب تدفقات مهاجرة نوعا مهمة نحو مدينة واريزان، وخلق إحتياجات جديدة للسكن والعمل والتجهيزات والتي تجاوزت توقعات PDAU.
- تواجه البلدية عجزا على مستوى التجهيزات، الإسكان والاستدامة والتي يجب أن تغطَّى.
- تكييف التدابير في مسالة التنمية الحضرية والبناء، كي تأخذ على عاتقها بشكل حذر ودقيق الأخطار الطبيعية أو التكنولوجية.
- المحافظة على البيئة، وعلى التنمية والتهيئة المستدامة"[1].

الصورة (2–5) التوزيع العمراني لبلية واريزان.

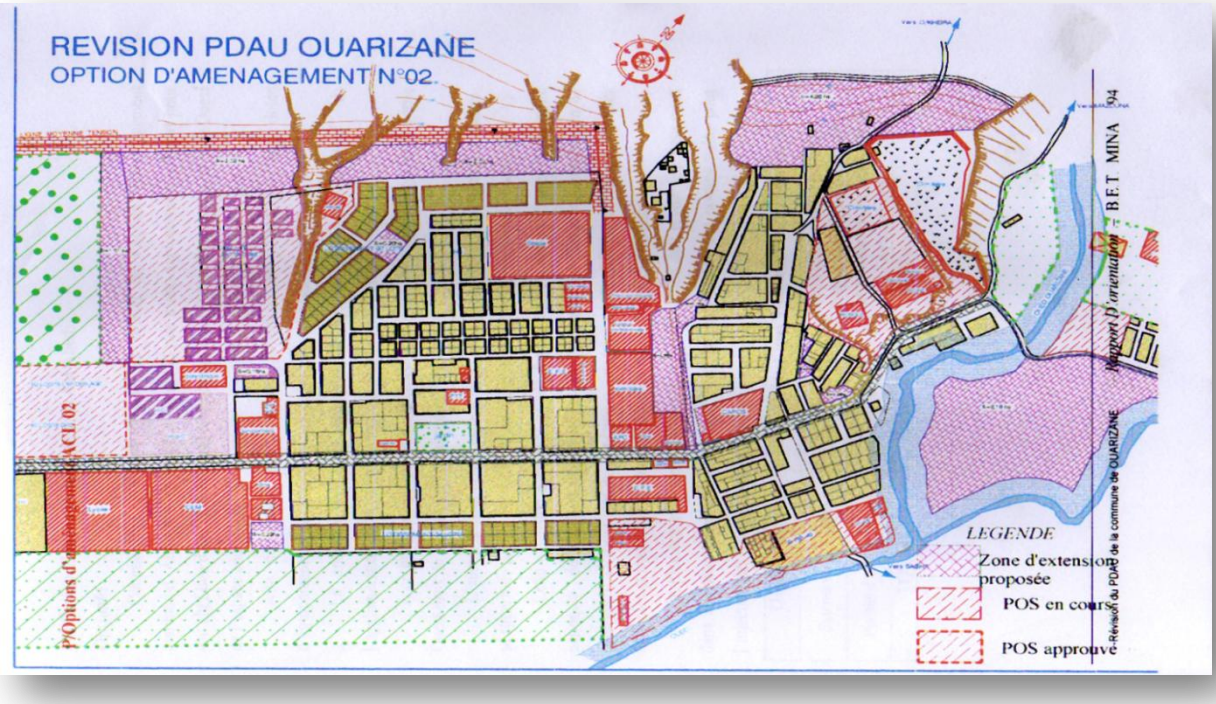

المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة الحضرية .واريزان 2011

[1] **Etude de révision du PDAU de la commune de Ouarizane**, Op.cit. p 5.

نلاحظ في الصورة (2-5) أن التقسيم العمراني متجانس، وبنفس تقسيم الوحدات العمرانية وهذا ما يعطي البلدية صبغة جمالية، خصوصا من خلال احتفاظها في المركز بعمران كولونيالي. وتحيط بجوانبها الأراضي الزراعية الخصبة والصورة الملتقطة أدناه توضح جيدا هذا التداخل بين البناء الحضري والمشهد الزراعي للبلدية. غير أن البلدية تسجل عجزا في وجود مساحات شاغرة لمشاريع أخرى، وإن كانت فإنها ستكون على حساب الأراضي الزراعية المحاذية، وتقترح دراسة المخطط التوجيهي منطقة توسع من جهة وادي واريزان.

ورغم النزوح الريفي إلى المنطقة الرئيسية لا تزال "تشكل المراكز الريفية لبلدية واريزان مجالا آهلا بالسكان، والذي يمثل 45,7 % من اجمالي سكان البلدية. ويتوزع هذا العدد بشكل غير متوازن على المجالات:

جزء في الناحية الغربية ل: -**أهل عابد** ب 2367 ساكن. يعيشون في مساكن ذات نمط تقليدي وعشوائي. وتحتوي على قرية إشتراكية بها 100 مسكن فلاحي. والتجهيزات بهذا الدوَّار غير كافية.

- أولاد قدور ب 1748 ساكن.

جزء في الناحية الشرقية: يتركز فيها حوالي 7% من السكان المشتتين، على شكل دواوير.

والتبادلات بين الوسط الحضري والوسط الريفي هي جد متطورة"[1].

الصورة (2-6) دوار اهل عابد.

100 قرية اشتراكية **المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة الحضرية. واريزان 2001 ص 56.**

نلاحظ في الخريطة أن **دوار أهل عابد (Ex: Gouarid)** إستفاد خلال مشروع تطبيق القرى الإشتراكية من 100 مسكن فلاحي، وهي تطل على الطريق الذي يربط وادي ارهيو ومازونة، وفي مفترق طرق لأربع جهات (واريزان، مازونة، وادي ارهيو، دواوير داخلية) فيه حركة مواصلات تقدر بآلاف السيارات في اليوم. من الجهة الشرقية للقرى تتواجد هكتارات الأشجار من البرتقال والزيتون، إستفاد منها

[1] **Etude de révision du PDAU De la commune de Ouarizane**, Op.cit. p 40.

فلاحون في إطار ملكيات جماعية. والتصور واضح لأصحاب المشروع آنذاك: نمط عيش مشترك للفلاحين، وسكنات متشابهة، وممتلكات زراعية قريبة منهم، وشبكة طرق مناسبة للتسويق. أما عدد المستثمرات الجماعية والفردية التي إستفادت منها البلدية فهي: 36 مستثمرة زراعية فردية موزعة على 36 مستثمر، و56 مستثمرة زراعية جماعية تشغل 286 مستثمرا.

ما يهمنا هو أشكال **التغير السياسي** الذي عرفته **واريزان**، وهو مرتبط عموما بالسياق الوطني. فالحياة السياسية بعد الاستقلال وأثناء حكم الحزب الواحد بنزعة الاشتراكية لم يكن من الأحداث ما يلفت النظر. غير أن الحياة الثقافية والاجتماعية بداية من الثمانينات بدأت تعرف بعض المستجدات، فتسلَّلَ إلى واريزان تيار الإخوان المسلمين يمثله شباب جامعي مثقف حمل هذا الفكر من خلال اتصاله في الجامعات بوهران و الجزائر العاصمة مع مناضلي الفكر الاخواني ، واستطاع هذا التيار أن يوحد الجماعة الإسلامية بالمنطقة التي لم تكن تعرف سوى التيار الصوفي يمثله شيوخ كبار السن(الشيخ غلام الله، الشيخ بن عزوز). وكانت هناك نقاط إلتقاء بينهما حالت دون وقوع صدامات. ومع ظهور التعددية الحزبية إنقسمت الجماعة وانخرط جزء كبير منها في حزب الجبهة الاسلامية للإنقاذ بينما انضوى الباقون تحت راية الارشاد والاصلاح. وبعد الغاء النظام لنتائج المحليات و لجوء أنصار الجبهة الإسلامية للانقاذ للعمل المسلح، كان للجيش الاسلامي للإنقاذ مساندة واسعة من طرف سكان المنطقة، الأمر الذي جعلها تشهد العديد من الأحداث الدموية بين العسكر والمسلحين. واللافت عدم ضلوع الأعضاء المكوِّنة للمجلس الشعبي البلدي للجبهة الاسلامية "الفائزة"، في أي عمل ارهابي أو الانخراط في العمل المسلح. ومن بين الأحداث التي عرفتها واريزان:

- قَتل الجيش الاسلامي للإنقاذ (AIS) رئيس المندوبية التنفيذية (DEC) كروم عبد القادر في جوان 1994.
- تفجير مدرعة عسكرية بدوار أهل عابد أسفر عن 7 قتلى.
- حرق مقاولة الاشغال العمومية.
- حرق بلدية واريزان، وسرقة بعض الوثائق المهمة.
- قتل دركي.
- إطلاق الرصاص على رئيس البلدية بوقطاية غلام الله في 1997 (مرشح RND).

على إثر هذه الأحداث عرفت المنطقة تعزيزا مكثفا لأفراد الجيش في مرتفعات واريزان التي تربطها مع مازونة، وأقيمت وحدات جديدة، وبعد 1997 كان هناك إقبال كبير **للتسلح الذاتي** خصوصا في المناطق المشتتة. أما من الناحية الاجتماعية فكثرت ملصقات الجبهة الاسلامية التي تدعو إلى التحجب، والابتعاد عن رموز النظام، وعن ممارسة الرذائل(خمر، زنا، مخدرات). ومن الجانب الآخر فان اعتقالات الشبان كانت هي العملية الاكثر تجليا في استراتيجية الجيش. إن هذه الأحداث وهذه التجربة الفلاشية للديموقراطية ستؤثِّر على سلوك الناخبين فيما بعد، لأنهم عرفوا وشاهدوا شكل الإنتقال الديموقراطي. فشكَّلت عدم الثقة بالنظام أولى المواقف التي اختبرناها خلال العمل الميداني، والذي سنعالج نتائجه فيما يأتي.

الفصل الثالث:

التغيّر السياسي بين ريف واريزان ومدينة وادي ارهيو.

بالرغم من التحولات الكبرى التي عرفتها المدينة والريف الجزائري، فإن هناك جوهرا داخليا **"قار"** يمنع الإنقطاعات الجذرية عن الممارسات التقليدية، رغم الصيغ المؤسساتية التي تحاول الحد منه. وهو أمر يتطلب بالأساس معالجة مشكل "الحقيقة" و"الفاعلية" بين سلطتين متضادتين، يعبر عنها التساؤل التالي: هل كل سلطة تقليدية سلبية وكل سلطة حداثية مؤسساتية إيجابية وشرعية؟ و هل كل منهما مرتبط بقالب مكاني مَـــا؟. إن التمييز الحاسم بين المدينة والريف يختلف باختلاف أنماط الإنتاج المختلفة، والذي تشكِّل فيه الدولة العنصر الأساسي في إدارته، باعتبارها تمتلك المجال الاجتماعي وتحاول سلطتها الهيمنة عليه **بصفة كلية**، لكنها في الوقت ذاته لا تعتبر عملية الإدماج والإندماج تتطلّب الإشراك الفعلي و الديموقراطي في تسيير الشأن العام، وإنما تنفِّذها وفق عملية فوقية تختص بها قوى سياسية معنية. ويظهر مثل هذا الشرخ بين طموح "القاعدة" و إستراتيجيات "القمة" أزمة في التواصل الديموقراطي. نتيجته أننا نلحظ أن المواطن البسيط أصبح لا يؤمن بهذه الاستراتيجيات، وأصبحت مواطنته في كل مرة معرضة إلى الضعف والهشاشة.

1- العمَـــل السياسي والعلاقَـــــــــات السلطوية.

1-1/ مزاولـــَــــــــــة المهنة السياسية.

قبل الشروع في العمل الميداني، فإن إختيارنا **لأسئلة البحث** كان وفق منهجية تساعد على تحليل المتغيرات التي سندرسها في الجغرافيتين بشكل موضوعي واستدلالي، فتضمنت **إستمارة الاستبيان** 34 سؤالا مقسمة على أربعة محاور، وتنوعت كالآتي:

الجدول (3-1) أسئلة البحث واستراتيجيات البرهنة[1].

	أسئلة بحث استقصائية	أسئلة بحث وصفية	أسئلة بحث علائقية.
التعريف	أسئلة بحثية مفتوحة، تتعلق بموضوع معروف قليلا، وهو قيد الدراسة.	أسئلة تتعلق بوصف حالة.	أسئلة تتعلق بالعلاقة بين حالتين.
الإستبيان (أنموذج)	ما هو مستواك الثقافي؟ ما هي شهادتك العلمية؟ هل تهتم بالشأن السياسي؟ هل مارست/تمارس نشاط سياسي؟ هل تمارس/مارست النشاط الجمعوي أو النقابي؟ هل إنتخبت؟ وكم مرة؟ لماذا؟ هل تنتخب عائلتك؟ هل لك علاقة بمن تنتخبهم؟ هل غيرت مكان اقامتك من المدينة الى الريف او العكس؟ كم الوقت الذي تقضيه بالمدينة؟ ما نوعه؟ وما مدته؟ هل إستفدت من قطعة أرض قدمتها الدولة؟ هل تلقيت دعم فلاحي؟ هل تتردد على البنك؟ هل تمارس أعمالا أخرى إلى جانب الزراعة؟	ماذا تعني لك كلمة "السياسة" (البوليتيك- Boulitique) ؟ هل تهتم بالشأن السياسي ؟ كيف تقيم النشاط السياسي في بلديتك ؟ كيف هو التمثيل السياسي في بلديتك؟ ماذا تعني لك كلمة الدولة؟ كيف تنظر الى سياسة الدولة؟ كيف تقيم تعاطي الناس للسياسة في بلديتك ؟ على اي اساس يتم التصويت للأحزاب في رأيك؟ ما المزايا التي توجد بالمدينة وتفضلها على القرية؟ كيف تعتبر الخدمات الفلاحية؟ كيف تنظر إلى الضرائب المفروضة على الفلاح؟	سنقوم بناءا على اجوبة الاسئلة الاستقصائية والأسئلة الوصفية استنتاج العلاقات التي تربط بين المتغيرات.
استراتيجية البرهنة المختارة.	مقاربة استقصائية: دراسة حالة	مقاربة وصفية: وصف عدة حالات.	مقاربات مقارنة: بُنى عِلاقيّة داخل بنية تجريبية.
التعليل	تسمح دراسة الحالة وصف السياق الاستقرائي بعمق.	وصف حالات متعددة يسمح بتوثيق عدد كافي من حالات الافراد وذلك لأجل البدء بسيرورة استنتاجية.	تسمح مقارنة الحالات بالحصول على علاقات التلازم التي تشترك مع نظرية ما، وتسمح باستنتاج علاقات السببية.

إعتمدنا لتحليل السلوك السياسي بين الريف والمدينة على **المنهج الوصفي**، عن طريق **المسح بالعينة**، مع إستعمال بعض التقنيات، باعتبارها حسب غرافيتز Madeline Grawitz *"ليست إلا أدوات*

1 Benoit Gauthier (Sous Dir**), Recherche sociale: de la problématique a la collecte des données** (Canada, presses de l'université du Québec, 5e Ed 2009) p 171.

يضعها المنهج في خدمة البحث، وينظّمها لتحقيق هذا الهدف، إنها محدودة العدد وتشترك فيها معظم العلوم الإجتماعية"[1]. فاخترنا بذلك **إستمارة الاستبيان**، جاءت الأسئلة فيها واقعية وبسيطة (أنظر الملحق رقم 1)، حتى تبدو للمبحوثين بديهية وطبيعية. تمت بين مجالين جغرافيين: الأول **حضري** تمثله مدينة **وادي ارهيو**، والثاني **ريفي** تمثله **واريزان** (المنطقة الرئيسية + **أهل عابد**) وذلك لمعرفة التمثُّلات السياسية التي يحملها أفراد هاتين المنطقتين حول أوضاعهم السياسية والاجتماعية، وتحليل أسباب إنخراطهم أو إمتناعهم عن الممارسة السياسية. وباعتبار المجال الريفي يحتوي على فئة ذات أهمية تاريخية وإقتصادية حاولنا التعرف على مدى إهتمام فئة الفلاحين بالسياسة، وإلى أيِّ درجة تساعد حصته في الدعم من منظومة الاقتصاد الاقليمي أو الوطني في صنع تفاعله مع الدولة. أما المجال الزمني الذي وزعنا فيه إستمارات البحث فكان بين 18 ديسمبر 2011 و 13 مارس 2012 ، وتم ذلك في فترات متقطعة. لم نختر عينة نسبية لفئات اجتماعية محددة بذاتها، ولكن إعتمدنا على طريقة كميَّة، بمعنى ملء أكبر عدد ممكن من الإستمارات بين الوسطين، إلا أن هذه الأداة غير كافية، لذلك قمنا ببعض **المقابلات** مع بعض عناصر البحث (فئة الفلاحين، مجاهدين، مسؤولين، رؤساء أحزاب، شباب) كما شكَّل الحصول على المعلومات التي تتيحها **السجلات والوثائق الرسمية** ضرورة منهجية أخرى.

عدد الإستمارات التي تم توزيعها هي 240 إستمارة، والجدول الآتي يبين توزيع الفئات العمرية بين الوسطين الجغرافيين، واريزان ووادي ارهيو.

الجدول (3 –2) توزيع الفئات العمرية بين وسط ريفي ووسط حضري

	واريزان		وادي ارهيو	
الفئة العمرية	**ذكور**	**اناث**	**ذكور**	**اناث**
29–18	**35**	**16**	**31**	**39**
39–30	**30**	**2**	**25**	**10**
50–40	**13**	**5**	**9**	**4**
مافوق 50 سنة	**5**	**6**	**7**	**3**
المجموع	**83**	**29**	**72**	**56**
الاجمالي	**112**		**128**	

لم تكن إختيارات توزيع الفئة قصدية، وإنما، كما أوضحنا، تمت بشكل عشوائي. لكن هناك توازن في عدد المبحوثين بين الريف والمدينة. عدد المبحوثين من العنصر النسوي بالريف كان ضعيفا، لسبب بسيط هو عدم تمكننا من الاتصال بهذه الفئة في وسط محافظ. وباعتبارنا من مدينة وادي ارهيو فإن معرفتنا لبعض العائلات سهّل لنا مقابلة العديد من النسوة بها.

سنحاول في هذا الجزء التعرف على مدى إقبال سكان الوسطين لممارسة العمل السياسي، وظروف **مزاولة المهنة السياسية**. لكن الصعوبة تكمن في كثرة المتغيرات وتناقضها في بعض الأحيان، الأمر الذي يعيق إستخراج علاقة سببية تربط بينها، لكن هناك ملامح عامة يمكنها تصحيح هذا الإضطراب. وهذا ما أكدنا عليه في الفصل الأول بحيث: أن الأفعال الفردية يمكن أن تجد لها عدة تسويغات، وليست خاضعة لبنى تتحكم بها هي على نفس الإتساق. وتبقى التمثلات ضرورية في الإقتراب من تأويلٍ يكون ملائما للمعطيات التي تقدمها نتائج الإستبيانات، والتي هي عبارة عن أمثلة عشوائية، نحاول تفسير التجانسات التي تحملها.

1 مادلين غرافيتز: **مناهج العلوم الاجتماعية، الكتاب الثاني. منطق البحث في العلوم الاجتماعية**. ترجمة، سام عمار (سوريا، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر. مطبعة طربين 1993) ص 11.

الجدول (3-3) تمثلات "السياسة" والممارسة السياسية.

الفكرة	الاحتمالات	التكرار		الفكرة	الاحتمالات	التكرار	
		واريزان	وادي ارهيو			واريزان	وادي ارهيو
ماذا تعني لك السياسة (البوليتيك)	عمل خطير،قذر، ونفاق	32	20	هل تمارس/ مارست نشاط سياسي	لا يهمني وليس لي مصلحة	53	77
	لها أهلها	53	79		لا- موقف ديني اخلاقي	23	21
	تناقض الشرع والقيم	8	12		لا-عائق عائلي او اجتماعي	14	17
	دبلوماسية ودهاء	19	17		أخرى	9	11
كيف تقيّم النشاط السياسي في بلديتك	ضعيف	39	36		نعم: في حزب، نقابة	7	2
	مقبول حسب إمكانيات البلدية والسياسيين	19	29		نعم- تعبئة وقت حدث معين	6	0
	جيد	5	0	//			
	مجرد صراعات ومصالح اشخاص	49	63				

الملاحظ أعلاه أنه في كلا الوسطين عدد كبير من الأشخاص يعتبرون (**السياسة**) أمرا أو عملا يختص بفواعل معينة، وإذا كانت العلوم السياسية تصفهم **بحرفيي السياسة**، فإن مفهوم الحرفة السياسية في الواقع الجزائري يحيل إلى صورة أخرى، وسنتتبّع خلال كل هذا الفصل تلك الصورة التي يجسدها. والنسبة الأخرى تعطي مفهوم **احتقاري** للسياسة، باعتبارها عملا خطرا وقذرا ونفاقا. وتَعتبِر فئة ثالثة أن السياسة هي عبارة عن مهنة يمتلك محترفوها قدرا من الحنكة والفطنة والذكاء. وأخيرا فإن السياسة لدى البعض تناقض الشرع والقيم (نذكر هنا أننا قابلنا عمدا مجموعة من المتدينين والمذهبيين واستفسرنا حول ميولاتهم السياسية فأجابوا بالنفي، و علّلوا بمواقف لأئمة وشروحات لسور، على سبيل المثال: **ترك السياسة من السياسة** (الألباني)، **لا تنازعوا فتذهب ريحكم** (آية كريمة) **ولا تنازعوا الأمير في ملكه**). إنَّ العديد ممن لا يمارسون النشاط السياسي لاعتبارات دينية هم شبان تقل أعمارهم عن 30 سنة. لكن المتغير التابع الثاني يقرب الصورة أكثر حول هذا الفهم ويوضح العلائقية بين المتغيرات، فإذا كانت السياسة في الأصل حيِّز رمزي للتنافس بين المترشحين، فنسبة كبيرة في الوسطين تعتبر أن العمل السياسي أصبح مجرد مصالح وصراعات أشخاص تحركهم المصلحة الذاتية، فتسقط كتحصيل حاصل رمزيتها الفضلى إلى مجرد وقائع مادية تعبِّر عنها بنية سلوكية ينتجها المسؤولون والممثلون. طبيعيا فهذا يوضح أن النشاط الضعيف للمسؤولين السياسيين يجعل من مزاولة المهنة السياسية عملا ظاهرا للوصولية ومآرب أخرى، وتدفع المواطن البسيط الذي يشاهد ويراقب الظواهر السياسية المحيطة به على تصور أنها مجرد وهم وزيف، وعمل منافق وقذر. وعليه فإن الإفتراض السياسي الذي نقدمه هو أن الاحجام عن الانخراط في **الشأن السياسي العام** مرده إنحطاط قيمة الحرفة السياسية بفعل ممارسيها.

فيما يخص احتمال العائق الاجتماعي أو الأسري، فالإستمارات تشير إلى أغلبية من الإناث. وهي نسبة متقاربة بين المدينة والريف، وعليه لا يمكن الحكم على أن العائلة الريفية فقط تشكل فيها ثقافة

الهيمنة الذكورية أو الجمعية مانعا لمزاولة أي نشاط يحتكره الذكور(نقصد هنا السياسة). وإنما هي قيم راسخة في التركيبة الكلية للمجتمع، مع وجود تفاوتات.كما تزيد الصورة السلبية عنها منع الأهل لبناتهم وزوجاتهم ممارستها.

يظهر في النظرية الاجتماعية و السياسية مفهوم **الثقافة السياسية**[1]، والتي تتضمن القيم والمعايير والرموز التي تساعد في إضفاء الشرعية على نظام القوة السياسية السائدة في المجتمع، وشأنها شأن الثقافة عموما. يبين الجدول أدناه المستوى الثقافي لعينيتين من الريف والمدينة، وساعدتنا معرفتنا للأشخاص المبحوثين في الحرص على ملء الإستمارة بكل موضوعية، لذلك وكما أوضحنا في المقدمة كان اختيار واريزان ووادي ارهيو ضرورة منهجية، وكانت ملاحظة برو في محلها حين يقرر بأن "*مقاربة الثقافة السياسية تثير من خلال استقصاء لدى سكان المجموعة المعينة عددا من المشاكل، فيجب أولا تسجيل الصعوبة المتمثلة في جودة التحقق من الأجوبة المسجَّلة على البيانات من الفرق بين المعايير والقيم التي يدَّعي الأفراد الانتساب لها وتلك التي تلهم فعلا سلوكهم السياسي، ويمكن من جهة أخرى التساؤل عما إذا كانت وظيفة القيم في "توجيه العمل"، أم العكس إضفاء طابع الشرعية بعد حدوثه أم أيضا في حجب دوافعه الحقيقية ....هناك صعوبة أخرى تنشأ من كون الثقافة السياسية ليست في الواقع منفصلة تماما عن أكثر التصورات شمولا، وهي التي تتحكم برؤية السلطة وبالعلاقة المفتوحة أو القلقة بالغير، وبالرفع من قيمة المال وإدراك التسلسلات أو المراتب الاجتماعية*"[2].

الجدول (3–4) العلاقة بين الثقافة السياسية وممارسة المهنة السياسية

المستوى الثقافي	واريزان	وادي ارهيو	الشهادة العلمية	واريزان	وادي ارهيو	ممارسة الناس للسياسة	واريزان	وادي ارهيو
ضعيف	21	13	دون المتوسط	31	21	ضعيف	87	101
لا بأس به	59	79	متوسط	19	25			
جيد	32	36	ثانوي	27	32	لا بأس به	25	27
			جامعي	35	50			

جزء كبير من المبحوثين في كلا الوسطين يمتلكون مستوى ثقافي لا بأس به، كما يوجد نسبة معتبرة من الشباب الجامعي المؤهل. ويرجع المستوى الضعيف للبعض لأنهم لم يزاولوا الدراسة إلى المتوسط، أو لم يدرسوا إطلاقا، وهي نسبة مشكلة من بعض الأمهات والفلاحين والحرفيين. هذا ويظهر أن الشهادة العلمية لا تتطابق بالضرورة مع نوعية المستوى الثقافي. إن تمثلات الأغلبية حول ممارسة الناس للسياسة ببلديتهم **ضعيف**. ننقل من باب الأمانة بعض ما صرحوا به (مع صياغة لغوية): –لأن الشعب لم يعد مسؤولا،

1 "طور مصطلح الثقافة الانتربولوجيين وعلماء الاجتماع، خصوصا بعد الحرب العالمية الاولى. وكان أول ظهور لمصطلح الثقافة السياسية في العلوم السياسية في 1948 في مجلة ***"سياسات العالم"*** على يد ناثان ليتَس Nathan Leites في مقال منهجي" **اطروحات علم النفس الثقافي حول الافعال السياسية** Psychocultural hypotheses about political acts والذي يقرب استعمال مفهوم الثقافة السياسية. واستطاع غابريال الموند في 1956 نقل هذا مفهوم الثقافة الى علم السياسة وأسس النظرية السياسية" مع سيدني فيربا. ورد في:
Lucian W. Pye, **Political culture revisited** (Political Psychology, Vol. 12, No. 3 (Sep., 1991), pp. 487-508
Published by: International Society of Political Psychology) p 489.
Stable URL: http://www.jstor.org/stable/3791758 .

2 فيليب برو، المرجع نفسه، ص 218.

فالشعب في خدمة الممثِل وليس الممثل في خدمة الشعب –هموم يومية في تحصيل لقمة العيش– نقص الثقافة السياسية –الخوف من الحكومة– مصالح المسؤولين وتدهور الوضع المادي –انعدام الكفاءات السياسية –تردي السياسة في البلاد – التزوير وعدم إعطاء الكلمة للشعب –تقديم المسؤولين المصلحة الشخصية على الصالح العام – السياسة هي الجيش –السياسة لأصحاب المال والأعمال..... غير أن هناك من يرى بايجابية إلى ترسُّخ العمل السياسي، والأسباب حسبه: ظهور شباب مثقف يريد خدمة الوطن، تمر الجزائر بأوضاع إقليمية تحتّم الإصلاحات، وجود سياسات الدعم المادي، تحسن الأوضاع المعيشية...هذه الأسباب فيها قدر من الصحة، وعليه ليست الدراسة أن تُسقط ما تتداوله نظريات الثقافة السياسية، وإنما معرفة الصيرورة الاجتماعية التي مرت بها ثقافة **البوليتيك** في الوسطين، وهي مرتبطة بالوضع الديموقراطي الغير مستقر، وابتذال السلطة للسيادة الشعبية. إن التغير السياسي منذ التسعينيات مسؤول عن تكوين هذه الصورة، تدعمها وقائع الفضائح والاختلاسات وغيرها. يقول جوردون مارشال في هذا السياق: "*من شأن الفضائح والأسرار التي يُكشَف عنها، والفشل، والكوارث السياسية أن تعمل بشكل سريع على هز إيمان المواطنين بالنظام القائم كله، ولهذا السبب يعدُّ الحفاظ على الثقافة السياسية هاجسا يشغُل السياسيين وموظفي الدولة على كل المستويات*"[1].

ونستشهد ببعض الأمثلة من الانتخابات التشريعية ل 10 ماي 2012، والتي مكنتنا من تتبُّع الحركية السياسية التي أثارتها بالوسطين، ومشاهدة أشكال إستجابة الأفراد للخطابات والوعود التي يقدمها مترشحوا الأحزاب السياسية. نشير بداية إلى "**من هم**" الذين ينخرطون في مزاولة المهنة السياسية؟. إن ما لاحظناه هو أن المترشحين في القائمة الواحدة هم من نفس الفئة الاجتماعية، يختارون بعضهم بعضا، وليس بالضرورة كفاءة علمية أو مهنية، ويساعد **المال السياسي** على تحديد نصيب الفوز في هذه القائمة.

فحسب قائمة **حزب الجبهة الوطنية الجزائرية FNA** بالولاية، يتشكل مترشحوا هذا الحزب من تسعة موظفين في الوظيف العمومي وتاجرين. ما هو ملاحظ أن رئيس القائمة هو تاجر، ولا نعرف علاقة ثقافة التاجر بمناقشة المشاريع القانونية في البرلمان. إضافة إلى أن حصول هذا الشخص على هذه الرتبة في القائمة هو أشبه **بطرفة سياسية**. فقد كان على راس القائمة عضو من عمي موسى ومن أعراش **بني وراغ**. إلا أن التاجر إنتقل إلى العاصمة لملاقاة قيادات الحزب وحاول دفع مبلغ مرتبته، ما جعل "الوراغي" يتصل بقبيلته ويحصل منهم على مبلغ يقدر ب 80000 دج، لكنه لم يفلح لأن تاكد أن منافسه **دفع اكثر**. نفس الممارسة خضع لها الاحرار الذين يعتبرون أنفسهم في منأى عن تدهور برامج الأحزاب ومنتقدين رؤيتهم للإصلاح، فالملاحظ في **قائمة الأحرار بولاية غليزان (شعار الامانة والأمل)**. (أصل رئيس القائمة من وادي ارهيو). إن جلّ الأعضاء المتحالفين لتشكيل هذه القائمة هم من **الأسرة التربوية (6 أعضاء)**، إضافة إلى مراقب طبي وتقني سامي بسونلغاز و"عامل يومي؟". غير أن الأمر الغريب هو وجود عضوة بدون صورة في الملصقات، وهي لا تحمل أيَّ شهادة علمية و"**ماكثة بالبيت؟**". وبالرغم من أن رئيس القائمة أكد لي أنه جرى تأخير في إرفاق الصور مع ملف السيدة، عرفنا أن الاختيار كان في آخر لحظة لانعدام وجود شخص

1 جوردون مارشال، المرجع نفسه. ص 452.

آخر يشغل القائمة، بعد أن تم رفض ملف أحد **الاساتذة**.

نورد مثال آخر لظاهرة يختلط فيها المال بالسياسة واستغلال الدين: قام رئيس قائمة MPA بالولاية (وهو من وادي ارهيو) بإفادة أحد مقربيه، توزيع أكثر من 2 مليار سنتيم خلال حملته الانتحابية بعد أن تحصل قبلها بأشهر على قرض بنكي بقيمة 61 مليار سنتيم لانجاز مشاريع عمرانية. ولاستمالة الناخبين عمد لشراء المكيفات للمساجد وتقديم أغلفة مالية لترميمها، أما الشباب فقد استفادوا من أغلفة لتنظيم دورات رياضية، واستطاع الظفر بمقعد في البرلمان، وهو الآن أصغر نائب فيه (31 سنة).

هناك معايير يجب أن تتوفر في النائب أو ممتهن السياسية في الأنظمة الديموقراطية. يحدد برو أربعة محاور للممارسة المهنة السياسية، أهمها **الترافع** (Plaider): الذي يُلزم أن يكون رجال السياسة محامون ولهم القدرة على الإقناع والجدال وحسن فن الكلام لأجل الظفر بما يخدم دائرتهم وناخبيهم. و *قدرتهم أيضا أن يستخرجوا من ملف معقد، بل منـــفِّر تقنيًا، عناصر البرهنة القادرة على أن ترفع من قيمة الحل المدعوم*"[1]. كما يفترض على النائب تقريب المرافعات بين المشاريع الوطنية والمتطلبات المحلية والتي ليس لها بالضرورة أن تتقاطع، وربما تُحدث اضطرابا في بنية ناخبيه. أما المحاور الأخرى فتتمثل في المشاركة في صيرورة إتخاذ القرار(وهذا ما يفتقر إليه أغلب نواب ديموقراطية الجزائر)، بحيث هذا الشرط قانوني بحت (إعداد التشريعات، مناقشة المشاريع والأنظمة...) ماعبر عنها روبيرتو ميشيل Roberto Michels "معرفة معمقة بالتشابك الاجتماعي وخصوصا بحركة الآلة السياسية وسير عملها". ويفترض المحور الثالث تحمل مسؤولية القرارات. إذ يعود أمر تقرير القرار لهم، وهي عملية جد معقدة. وتأتي في المرحلة الأخيرة وظيفة المراقبة، وهي تتطلب مهارات أكبر فلدى المعارض بشكل خاص، تسمح المعرفة الجيدة للتعقيدات القانونية بإزالة التشوهات، وبالدخول بشكل أفضل للأهداف الحقيقية للسياسة التي ليس لها بالضرورة شفافية تصريحات النوايا الرسمية"[2].

يبقى الواقع الجزائري أعقد بكثير من هذه الصيغ العقلانية غير أنها أساسية بحكم شروط العملية الديموقراطية، ولو بالحد الأدنى منها. لذلك تبقى وظيفة الرجل السياسي تتطلب كفاءات علمية وإدارية عالية، وليس مجرد ما يختاره المنتخِبون، الذين يجدون أنفسهم مجبرين بالإختيار بين السيء أو الاسوأ. والأمثلة التي أوردناها فقط لنبيّن على افتقار هذه المزايا لدى مترشحي التشريعيات وغيرهم. و لعل عدم مصادقة النواب الجزائريين في 2012 على قانون يشترط الشهادة العلمية الجامعية لممارسة هذا العمل، هو أكبر مشهد لجعل البرلمان مجرد جلسات غوغائية أو **مقاولة رأسمالية**، ويفرغ الديموقراطية من محتواها الفعال في المجتمع ويجعلها متناقضة. لقد *"أصبحت الديموقراطية كناية عن حرية إستهلاك وعن **بازار سياسي***"[3]. إن التعبير الفريد الذي قدَّمه آلان تورين **الملاذ الديموقراطي** لعميق في دلالاته لهذا الوضع، فهو الذي يحتاجه من لا يمارسون السلطة في المجتمع، هذا الملاذ محكوم بلعبة استراتيجية خفية تؤديها أوليغارشية عسكرية–اقتصادية تتربع على هرم السلطة منذ الاستقلال. بناءا عليه فالنتيجة الرئيسية التي وصلنا اليها هو أن **الديموقراطية** في الجزائر وُضعت لتخدم السلطة، وليس النطاق المجتمعي، فهي لم تنتج يوما أساليب الحد من السلطة، وتمثيل جديد للأكثرية، بل رسخت **سوقا سياسية** أنتجت ممارسات أقل ما

1 فيليب برو،المرجع نفسه، ص 460.
2 المرجع نفسه، ص 465.
3 آلان تورين، **ما هي الديموقراطية: حكم الأكثرية أم ضمانات الأقليّة**. ترجمة حسن قبيسي (لبنان، دار الساقي. الطبعة الثانية 2001) ص 34.

يقال عنها أنها إبتزازية، كان لها الأثر في إعتراض الذوات على مزاولة المهنة السياسية.

وعليه فآليات إنتاج والحفاظ على الثقافة السياسية مرتبط بترسُّخ صورة حسنة للسلطة، وهو المدخل لأي تشجيع لمزاولة المهنة السياسية، مع ضمان امتناع السلطة عن القمع والعنف، وتوفير الشروط المادية المعيشية للعيش الكريم للمواطنين، *"وبطريقة أكثر شمولا يمكن القول أن على السلطة أن تبرر نفسها بالحفاظ على حالة من الأمن والرخاء الجماعيين، هذا هو الثمن الذي على أصحابها تقديمه، وهو ثمن لم ي دفع أبدا بالكامل"*[1].

1-2 المشاركَـــــــــــــــــــــــة السياسيَّـــــــــــــــــــــــة .

تعد المشاركة السياسية إحدى ركائز الديموقراطيات الحديثة، والتي تُعبِّر عن مقدار الثقافة الديموقراطية التي بلغها مجتمع ما. حيث أنها تعطي المحكومين الحق في التأثير على سير المنظومة السياسية والمساهمة في تعديلها أو تغييرها، وذلك وفق طريقة سياسية هي **التصويت**، والذي يسمح للمحكومين بالمشاركة في صنع القرار العام. وتكرّس السلطة كل الضمانات والأطر القانونية لضمان وصول أكبر عدد إلى صناديق الاقتراع وأن تعبئ أشكال المشاركة الأخرى للجمعيات النشيطة، وتحرص على حقيقة **الصفة التمثيلية** وتمنع التزوير.

والسؤال المطروح: هل يكفي تصويت المواطنين حتى نتكلم عن مشاركة سياسية فعلية؟ وهل التقنيات التي تحتاجها هذه العملية وتوفرها السلطة وتضمنها معناه أنها أصبحت ديموقراطية؟ الواقع أن النظرية الديموقراطية في بحثها لا تزال تكشف الأقنعة التي تتخفى وراءها إدعاءات "**سيادة الشعب**"، على رأسها روبرت دال Robert Dahl و آلان تورين Alain Touraine ، *"لذا لا يجوز أن تختزل الديموقراطية إلى مجرد مؤسسات عامة، أو إلى مجرد تحديد للسلطات، أو حتى إلى مبدأ إنتخاب الحكام إنتخابا حرا وعلى فترات منظمة. إنها أمر لا يجوز فصله عن **نظرية للحقوق** وعن ممارسة لهذه الحقوق"*[2]. هذه الصيغة تُعتبَر أساسية في تكريس مفهوم المواطنة التي تعني أولا وقبل كل شيء ذوات فاعلة في تسيير الشأن السياسي العام بمنطق التعايش والفعالية، وتقوية حرية الأفراد ضد الإكراهات المستمرة لسلطة الدولة والاقطاعيين الذين يحكمون البلاد باسم *"شرعية ثورية"*. *"فالديموقراطية لا يمكن اختزالها إطلاقا إلى إجراءات أو حتى إلى مؤسسات، إنها القوة المجتمعية والسياسية التي تسعى إلى تغيير دولة الحق باتجاه يتلاءم مع مصالح المقهورين"*[3].

غير أن التراكمات السلبية في الجزائر جعلتها تواجه *انعطافا* خطيرا في مسيرة تحقيق الديموقراطية والمجتمع المدني وعلاقة المواطن بالدولة. فَشكَّل عدم الإكتراث باستراتيجيات السلطة على مختلف الأصعدة السمة الواضحة لكل المكونات المجتمعية، بما فيها المسؤولون أنفسهم. وعليه **فالسياق السياسي العام** هو الذي يحدد نوعية المشاركة السياسية ومدى شعور المواطن بحضور دولته كمعادل سياسي وقانوني للأمة.

1 جورج بالانديه، **الانثربولوجيا السياسية** (لبنان، مركز الدرسات الجامعية للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية 2007) ص 59.
2 تورين، المرجع نفسه، ص 35.
3 المرجع نفسه، ص 16.

وتشير بعض المقاربات في علم السياسية *"أنَّ الناس يتخذون القرارات السياسية ويتحركون سياسيا كأفراد مرتبط تماما* ***بالسياقات السياسية،*** *والتي يُمكنها أن تؤثر على السلوكيات والخيارات. وبالتالي فان طبيعة الانتخابات الديموقراطية- حتى ولو كانت الانتخابات معرّفة- يمكنها أن تتأثر بالسياق المؤسسي"*[1]. ويقودنا هذا القول إلى معرفة هذا السلوك الانتخابي بين الوسطين موضوع الدراسة، ومعرفة نسب التصويت في كل من الانتخابات الرئاسية، التشريعية، والمحلية. وهي طريقة فيها نوع من عدم الدقة بحكم التزوير، لكن حتى هذا يساعد في التعريف بالسياق المؤسسي العام الذي يصنع فيه نوع السلوك الانتخابي.

لم يكن من السهل الحصول على معطيات النسب الانتخابية كما توقعنا في البداية، وزاد تبعثر الأرشيف بين القطاعات الإدارية من تعقيد عملية البحث، إضافة إلى عدم عثورنا (أو هو مقصود) على محاضر الانتخابات لعام 1990، و1997 واضطررنا للحصول على نسب تشريعيات ومحليات 1997 من إحدى الأحزاب. وقد تم جمع النتائج بفضل بعض الاداريين المخلصين والمقدرين لمكانة البحث العلمي.

الملاحظ في الجدولين (3-5) (3-6) أن النسب المتباعدة في حجم الأصوات المعبَّر عنها بين ما تم الحصول عليه من المديرية الولائية وما تم الحصول عليه من محاضر الإحصاء أو الأحزاب أو وثائق الدائرة . لنأخذ مثالين فقط: ففي محليات وتشريعيات2007* بوادي ارهيو تشير محاضر الدائرة بأن عدد المصوِّتين 14203، ومحاضر البلدية ب 12827 مصوّت والمديرية الولائية ب 10530. وفي تشريعيات ومحليات واريزان 2002، فتشير محاضر الإحصاء البلدي إلى 8465 مسجل و 4290 مصوِّت أما المديرية فكما مبين في الجدول أعلاه ب 3750 مصوِّت. وعليه فالدراسة البسيطة المحلية تضع الاستفهامات الكبرى حول سير العملية الانتخابية في الجزائر، التي تقع تحت التزوير **عبر سياسات إنتقال النتائج بين الادارات.** هذه البيروقراطية لا يمكن أن تتحكم فيها الأحزاب والتي بدورها تحتاج إلى أعداد مناضلة تتولى المهمَّة، ومع عدم تمكنها من تعبئة السكان بفعل حذرهم من "البوليتيك" الناتج من فترة التسعينيات (تم خلال هذه الفترة تكسير العلاقات الحميمية العضوية التي تترسخ في الريف الواريزاني أو مدينة وادي ارهيو، واستطاعت السياسة آنذاك التحكم في شكل العلاقات الأسرية (مع الإرهاب/مع الجيش) إن زيف ضمانات السلطة منذ إلغاء نتائج التسعينيات لا يزال مستمرا بتقنيات استراتيجية خفية. ويعمّق ذلك سلبية المواطن Passivité ويزيد من شكوكه حول خطاب الإصلاح، بل وتمتد أثاره حتى إلى المعارضة التي تيأس طبقتها النضالية من التغيير، وتقرر إما الاعتزال أو اختيار التجوال السياسي بين الأحزاب.

وعليه سنحلِّل المعطيات بشكل تقريبي للنتائج مع افتراض فارق في التصويت أو التسجيل ب 200 مصوِّت أو مسجل. فما هو ملاحظ في بلدية واريزان أن نسبة المشاركة كانت في 1997 ب 77,84 %، وهو عدد مرتفع.كان الفوز الكاسح لأعضاء المجلس البلدي والولائي للأرندي، يأتي هذا ضمن السياق الوطني، حيث أرادت السلطة تزوير الانتخابات وتغليب سلطة الجيش، وقدِّرت نسبة المشاركة الوطنية آنذاك

1 Russell J. Dalton And Christopher J. Anderson, **Citizens, context, and choice: how context shapes citizens' electoral choices** (USA, volumes of the comparative study of electoral systems (CSES), Published By Oxford University Press, First Published 2011) p 3.

* عرفت هذه الانتخابات اقل نسبة مشاركة في تاريخ الجزائر،وصلت الى 18 % وصرحت السلطة انذاك ب 29 %.

الجدول (3– 5) عدد المصوتين في التشريعيات والمحليات بين واريزان ووادي ارهيو (المديرية الولائية)

التشريعيات	1997		2002		2007		2012	
المنطقة	واريزان	وادي ارهيو	واريزان	وادي ارهيو	واريزان	وادي ارهيو	واريزان	وادي ارهيو
عدد المسجلين	/	/	**8316**	**30721**	**8465**	**32448**	**9700**	**34903**
عـــــــــــدد المصـــــــــــــــــــــوتيــــــــن								
تشريعيات	/	/	**3751**	**15745**	**4290**	**10460**	**4243**	**13633**
محليات	/	/	**4100**	**10815**	**4335**	**10530**	////////	//////////
الاحزاب المشاركة	RND/FLN/HMS/ NAHDA		FLN/RND/ HMS/PRA/ FNA/MNJA / PT		FLN/FNA/HMS/RND/IND/MNE/FNIC/MPJD/AHD 54/PRA/NAHDA/PT/MNND/RCD		**41** حزب (انظر الملحق)	

المصدر: (مديرية التنظيم والشؤون العامة لولاية غليزان، **DRAG**)

الجدول (3–6) عدد المصوتين في التشريعيات والمحليات بين واريزان ووادي ارهيو (محاضر الاحصاء البلدي + وثائق رسمية من الدائرة)

التشريعيات	1997		2002		2007		2012	
المنطقة	واريزان	وادي ارهيو	واريزان	وادي ارهيو	واريزان	وادي ارهيو	واريزان	وادي ارهيو
عدد المسجلين	**8228**	**26840**	**8316**	**29854**	**9275**	**32867**	**9700**	**34903**
عـــــــــــدد المصـــــــــــــــــــــوتيــــــــن								
تشريعيات	**6405**	**3595≈**	**3754**	**15745**	**4744**	**14070**	**4241**	**13641**
محليات	**6405**	/	**4290**	**15810**	**4778**	**14203**	////////	/////////

الجدول (3–7) عدد المصوتين في الانتخابات الرئاسية بين واريزان ووادي ارهيو

.

الرئاسيات	1995		1999		2004		2009	
المنطقة	واريزان	وادي ارهيو	واريزان	وادي ارهيو	واريزان	وادي ارهيو	واريزان	وادي ارهيو
عدد المسجلين	/	/	/	/	**8742**	**31851**	**9312**	**34373**
عدد المصوتين	/	/	/	/	**5059**	**20099**	**8814**	**32630**
من المَحاضِر (المصوتون)	/	/	/	/	**5602**	/	**8808**	/

الجدول (3–7) و (3–8) المصدر (محاضر الاحصاء البلدي لبلديتي واريزان ووادي ارهيو + ورقة مراقبة مركز)

ب 65,6.% كإستراتيجية اتبعتها السلطة لتحويل بنية المجتمع الداخلية لصالحها بعدما أحكم الجيش قبضته الأمنية و المخابراتية. إن **المنظومة السياسية** الجزائرية كانت آنذاك تنتج سلاسلا من القرارات تساعد على تقوية نظام **المخرجات** على **المدخلات**، إذا ما نحن استعملنا صيغة ايستون Easton، وتُفسد **المتطلبات والدعامات** التي تنتجها الحركات الاجتماعية بعد اختراقها. أما من حيث البيئة الدولية الخارجية فهي تقدم قيما ومبادئا للتحول الديموقراطي النزيه والحرص على استتباب الامن. الملاحظ أن السلوك الانتخابي تلك الفترة لم يكن معطى ثقافي طبيعي، وإنما أنتجه هاجس الخوف، خصوصا بعد انتشار الدعايات أنَّ الجيش سيعتقل من ليس له بطاقة ناخب، أو أن الادارة ستطلبها في تسوية أي ملف إداري... وعن وادي ارهيو فنحن لم نعثر على نتائج الانتخابات في محاضر الإحصاء أو في المديرية، لكن النسبة التقريبية أعلاه تم أخذها من أحد الأحزاب (ورقة مراقبة مركز) والتي تُظهر فوز حركة مجتمع السلم ب 1053 صوت، وهو أمر معقول نسبيا نتيجة استمرار مناخ يؤيد الاسلاميين.

أما في تشريعيات ومحليات 2002 فالعملية لم تتبدّل، وميزت تلك الفترة نجاح مسعى المصالحة الوطنية و فترة حكم الرئيس بوتفليقة الذي أكد ضمانات انتخابات "حرة ونزيهة". وشهد الجو المجتمعي الاستقرار ومتنفسا من حرية التعبير والحركة. لكن التزوير لم ينته ولم تعطى الفرصة للمرة الثالثة لتعبير ديموقراطي نزيه، وتجسيد إرادة الناخب، والفارق بين النسب هذه المرة يساوي الآلاف، فكانت نسبة المشاركة في وادي ارهيو أو واريزان بتقريب ≈ 50 %. ويستمر التقليد في تشريعيات و محليات 2007، مع تضارب حتى في عدد المسجلين. وفي تشريعيات 2012 لم يظهر التناقض، وشهدت المكاتب حضورا قويا للمراقبين. لكن هذه المرة جاء **التزوير مقنّن** عن طريق معامل 5%، كما صرحت به السيدة لويزة حنون، حيث يتم الحصول على مقعد وفق: المعامل الانتاخبي= عدد الأصوات الصحيحة المعبر عنها× 5 % . فعلى سبيل المثال عدد مسجلي كل ولاية غليزان يقارب 350000، عدد الأصوات الصحيحة المعبر عنها 170000 وتم الغاء حوالي 30000 ورقة. ليبقى الصافي 140000 مصوت ، وبضرب هذه النسبة في5 % يصبح الحصول على مقعد واحد يتوجب تحصيل 7000 صوت. من بين 41 حزب مترشح حَصَّلت فقط ثلاثة أحزاب النسبة، وتم إلغاء 38 حزب الذي مجموع أصواتهم يساوي 90000 صوت، وتقاسمت 50000 صوت الأحزاب الثلاث وظفرت بمقاعد في البرلمان. هذا القانون في نظري كرس **ديموقراطية معكوسة** عوض أن تعبر عن رأي الاغلبية المصوّتة، عملت على فرض أغلبية برلمانية لأقلية حزبية لا تزال تتحكم في توزيع النسب.

ما عرضناه سابقا حول دور **المال السياسي** في الفساد الانتخابي يبرز إستراتيجية السلطة في حل مشاكل الشرعية أو الأزمات الاجتماعية عن طريق المال السياسي، خصوصا بعد ارتفاع عوائد الريع. فأحداث أكتوبر 1988 هو الكشف الظاهر عن سقوط دولة المؤسسات الهشة التي أنشئت منذ الاستقلال، ووجد المجتمع نفسه أمام الغياب الكلي للدولة في ظل عملية التحول الحذر من النظام الاشتراكي مرورا إلى الرأسمالي، فكان إختيار الاسلاميين متنفسا طبيعيا للخروج من الفساد و"**الحقرة**"، غير أن الريع سيصنع لاحقا اللعبة السياسية ويصبح الكل مُجمِع بما فيها المعارضة على الدخول في لعبة الابتزاز المالي

السياسي، والتي هي الأخرى تمت بالتقاء لبيراليين على هرم السلطة وتوجهات الموجة الغربية اللبيرالية في دمقرطة الشعوب. ويجدر الاشارة إلى الكتاب الصادر مؤخرا لحسين بللوفي حول **(الديموقراطية في الجزائر، الإصلاح أم الثورة؟: حول الأزمة وسبل الخروج منها)** يقول "إن أحداث أكتوبر هي الأخرى للديموقراطية، ولو جزئيا على الأقل، من خلال نتائجها. إن فتح مسار الانتقال الديموقراطي شكَّل حاجةً لفئة ليبرالية للسلطة التي شعرت بالحاجة لحفظ الحزب الواحد (الأفالان) حتى تتمكن من تنظيم هيمنته وترسي سيطرته السياسية على النظام. لكن هذا لا يعني أن الانتقال الديموقراطي هو عمل حصري قامت به السلطة أو إحدى بطونها. فهذا التحوُّل في الواقع هو ثمرة تظافر جهود وإتحاد ظاهرتين تطورا نسبيا بشكل مستقل في نهاية السبعينيات: أزمة النظام، والحركة الجماهيرية للمعارضة المجتمعية والديموقراطية"[1].

أما من حيث سلوك المبحوثين الانتخابي في الوسطين، فالملاحظ في وادي ارهيو أن نسبة المنتخبين الذين يشتغلون بالوظيف العمومي مرتفعة، هذا الاتصال مع مؤسسات الدولة يجعل المواطن يستجيب وبشكل عفوي لقوانين وتوجيهات دولته. ويبقى العاطلون عن العمل في بعد شبه كامل عن التفاعل مع مؤسسات الدولة، وفي مقابلاتي للبعض منهم صرَّحوا أنهم لا يصوِّتون، وأجابوا باختصار **(ماذا قدمت لي الدولة حتى أصوّت)** هذه الجملة رغم بساطتها فهي تحيل لدلالات المزايا الاجتماعية التي يجب أن توفرها كل دولة لمواطنيها، وفي شعور هؤلاء أن تكوين الرساميل هو عملية فردية. لذلك فالتفسير الأقرب في هذه الحالة هو وجود شعور سلبي لدى الممتنعين بسبب خدمات الدولة الريعية الغنية باحتياطها والفقيرة في عدالتها التوزيعية، دون أن يعني هذا تحليلا ماديا صرفا، بل تدعم هذا السلوك الانتخابي الصورة المشوهة لدى المواطن عن سير الانتخابات كما أكدنا سابقا، إضافة إلى الفوز المستمر لحزب الأفالان وبأعداد كبيرة في كل موعد انتخابي. وبالمقابل كان هناك قدرا لا بأس به من المبحوثين الجامعيين الذين يصوتون، وأغلب التكرارات كانت لمرة واحدة، وعللوا سلوكهم ب: حتى أعرف نزاهة الانتخابات، وجدت الشخص المناسب، حتى أعرف سير العملية الانتخابية، واجب وطني.....مع الاشارة إلى أن نسبة الإناث تضل قليلة مقارنة بالذكور، وفي هذا الصدد قامت بلدية وادي ارهيو ب**(تقرير حول الاعلام المدني)** في 2002 و 2012 لغرض التعرف عن أسباب الامتناع، ففي 2002 تم تشكيل ثماني فرق نسوية تتكون من أعوان الأمن المدني وإداريين، وتم زيارة 6613 منزلا و 6021 استمارة، وتوصلت أن من ضمن الأسباب: تغيير الاقامة لبعض العائلات مع عدم الشطب، ووفاة عدد من الناخبين والذين لا يزالون مسجلين، كما يوجد نسبة معتبرة من الاناث معنية بالتسجيل لأول مرة ولم تستخرج بطاقة الناخب. هذا من الناحية الادارية ولم يشر التقرير إلى الأسباب المعنوية للامتناع.

1 Hocine Belalloufi, **La démocratie en algérie, reforme ou révolution ? sur la crise algérienne et les moyens d'en sortir** [Avec préface de Samir Amin et Sadek Hadjeres] (Alger, Les Editions APIC, 2012) p 260.

الجدول (3– 8) الفئات المصوّتة في بلدية وادي ارهيو

الفكرة	الوظيفة	عدد مرات التصويت					
		ولا مرة		مرة او مرتين		اكثر	
		ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
هل تنتخب؟ وكم مرة؟	قطاع الوظيف العمومي	0	2	14	5	11	10
	مهن حرة، تجارة....	2	0	8	0	3	0
	طلبة جامعيين	6	6	10	20	4	4
	بدون عمل+ماكثات بالبيت	10	5	3	2	0	2
	المجموع	18	13	35	28	18	16

وفي بلدية واريزان فالنتائج شبه متقاربة مع وادي ارهيو، حيث تتفوق نسبة العاملين بالوظيف العمومي في التصويت لأكثر من مرة، جلّهم من قطاع التربية وقطاع الصحة، صوَّتَ من تتجاوز اعماهم 35 سنة لأكثر من 3 مرات ، كانت تعليلاتهم: واجب وطني، حق، لإحداث التغيير، إصلاحات الدولة....أما أصحاب المهن الحرة والبطالين فلهم رؤية مخالفة حول جدوى التصويت، وحول حقيقة التمثيل، يزيد واقعهم الاجتماعي الذي أنتجته دولة القهر السياسي في التسبب في قيود معنوية تمنعهم من الانخراط في نقاشات الشأن السياسي العام. يظهر كذلك أن العنصر النسوي يصوِّت ولو بحجم قليل، كفئة الجامعيات أو الماكثات بالبيت وخلال مقابلاتي لبعضهن استفسرت عن إمكانية وجود مانع عائلي، فأكدوا أن قرار التصويت يعود لهم.

(3–9) الفئات المصوّتة في بلدية واريزان

الفكرة	الوظيفة	عدد مرات التصويت					
		ولا مرة		مرة او مرتين		اكثر	
		ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
هل تنتخب؟ وكم مرة؟	قطاع الوظيف العمومي	4	0	5	4	13	3
	مهن حرة، تجارة....	12	0	3	0	1	0
	طلبة جامعيين	9	9	10	5	2	0
	بدون عمل+ماكثات بالبيت	14	3	7	4	5	1
	المجموع	39	12	23	13	21	4

كنتيجة لهذه المعطيات لا يمكن الحكم حول نوعية الثقافة السياسية في الوسطين بتفوق الحضر على الريف أو العكس. أن درجة الامتناعية أو التصويت مرتبطة بشكل كبير بالسياق السياسي العام الذي تصنعه السلطة، وبأنماط القوانين الانتخابية التي تضعها، وبالمشهد السياسي الذي تنتجه الأحزاب، **وأنظمة الخطاب** الذي تضعه السلطة أو الاعلام المستقل. لذلك تعمد السلطة في توفير الوسائل التقنية واللوجستية لحصر هذه الامتناعية، محاولة تأكيد الشرعية، كما حصل في انتخابات 2012 التشريعية، في مرحلة تتميز **بالربيع العربي** وتصاعد المطالب الشعبية وإسقاط الدكتاتوريات. يمكننا القول في هذا السياق أن مأزق السلطة هو التأكيد على الديموقراطية والحريات الدستورية في كل مرة يتهددها الموقف المجهول من تحت، اي من المجتمع الذي لم تعرف يوما كيفية ربطه بمشاريع دولته، لأنها اعتبرت منذ تأسيسها أن قيام الدولة كان ولا يزال من اختصاص النخبة السياسية، وأصحاب الشرعية التاريخية، وقرارات الجهة العسكرية. لا

يمكن بأي حال أن يفسر هذا الإحجام عن التصويت بنقص الثقافة السياسية. وإذا كانت الديموقراطية تستوجب ثقافة ديموقراطية، فإنه في الجزائر وقبل البحث عن آليات الترسيخ الديموقراطي يتوجَّب معالجة نموذج الديموقراطية التي وضعها النظام.

وبالتالي ومن خلال هذه المعطيات المتواضعة، فإننا نتفق مع المقاربة التي تؤكد على أن *الماكرو-سياسي يؤثر على خيارات المواطنين. وهو يتحدد في ثلاث قضايا: أولا المؤسسات السياسية الرسمية التي تشكل وجه خيارات الناخبين، وهذا ربما يؤثر على كيفية مشاركتهم في هذه الانتخابات. ثانيا فان السياق السياسي يؤثر على كيفية تشكيل الناخبين لاختيارات الاحزاب والمترشحين في الانتخابات. ثالثا فان السياق السياسي يمكنه أن يصنع دوافع الأحزاب والمترشحين أثناء اتصالهم بالناخبين. وطريقة إعلام الناخبين تساعد في صنع قراراتهم. وكنتيجة، فان طبيعة وكمية المعلومات تخلق في بعض الأحيان مجموعات متباينة من الخيارات في ذهن الناخبين"* [1].

1-3 الصـــــــفة التمثيلـــــــــــــــــــــيَّة.

جوهر **الديموقراطية** أنها **تمثيلية**. فهي تتعلق أساسا بتلبية العملاء السياسيين لجملة من الطلبات السياسية التي تحددها القوى المجتمعية الفاعلة بعدما اصبحت منتظَمة على شكل اتحادات. غير ان الواقع يبرز في كل مرة ضعف هذا الإدعاء، ويقدم -على الخصوص في مجتمعاتنا- البراهين على **أزمة التمثيل السياسي***، بحيث لم يصبح الحكام في تبعية لطلبات محكوميهم، وإنما في خدمة انفسهم بدل خدمة المجتمع.

إن الانتقال إلى الديموقراطية في الجزائر كان في جزء كبير منه هو صيغة إلتقاء المجتمع والدولة عن طريق الممثلين. ولأول مرة منذ الاستقلال يحاول المجتمع الخروج من "تزييف" التمثيلات التي وضعها الحزب الواحد. غير أن هذا الالتقاء سيكون عنيفا ويعيد الانفصال بشكل أقوى مما كان عليه، وستصبح قضية تمثيل النواب والرؤساء لممثيليهم خاضعة لتدخل الجيش و"**الهاتف من أعلى**"[2]، إضافة إلى **الفساد الانتخابي المالي**، وشراء المناصب...هذا وتزودنا الأنثربولوجيا السياسية بمفهوم "**القبلية من دون قبيلة** Tribalisme Sans Tribu" كعامل آخر في عملية الاختيار، والذي يشير إلى دور الصراعات القبلية في تحديد الاعضاء التمثيلية لمجتمع ما، في لعبة صراع السلطة والمال والرأسمال الرمزي والايدولوجيا. وهي ذات امتداد تاريخي في الجزائر ولا تزال، بالرغم من غرس المؤسسات الحداثية التي حاولت إضعافها، منذ الاحتلال الفرنسي إلى اليوم. وتمثل الدراسة المتميزة **لمحمد حشماوي** إحدى المراجع التي تكشف عن

---

1 Russell J. Dalton And Christopher J, Op.cit. p 4.

* كذلك فان معنى التمثيل يثير عدة انتقادات في العلوم الاجتماعية، ويتعلق الامر **بحقيقة التمثيل**، وقضية التطابق التي يستلزمها. فهل ينوب كل تمثيل حقيقة موضوعه. ان اغلب الممثلين لا يحسون بالفعل انهم ممثلون فعليا، هذا في الديموقراطيات الغربية، اما في الجزائر والعالم العربي فلا تزال الهوة كبيرة بين العنصرين. ان التعميمات الرمزية حول التمثيل لاتزال مغالطة للحقيقة (النواب يمثلون الشعب، العلم يمثل الامة، البلدية تمثل الشعب) تثي هذه القضية الجدل القديم حول التفسيرين الاسمي والواقعي للتمثيل.

2 Hachemaoui Mohammed, **Y a-t-il des tribus dans l'urne ? sociologie d'une enigme electorale**. (fichier original publié dans plusieurs Revues) p 19.

هذه التقاطعات للقبلية في ولاية تبسة. وعليه فإن الاختبار الذي حاولنا التحقق منه في واريزان ووادي ارهيو: هل يتـــــم التمثيل في الوسطين على أساس قبلي؟.

قمنا للتحقق من هذا الاختبار بمراجعة كل أعضاء المجالس البلدية بين واريزان ووادي ارهيو من سنة 1967 إلى 2012 بغية معرفة الأعراش أو العائلات التي هيمنت في فترة انتخابية ما على توزيع أعضاء المجلس البلدي. فكانت النتائج في واريزان الريفية لا تتطابق وهذه المقاربة، إذ يتضح جليا أن الأعضاء ينتمون إلى أنساب مختلفة تماما، ومتعارضة في أحيان أخرى. لذلك اخترنا العامل الجغرافي كأحد المتغيرات الذي يبرز من شكل تكوّن المجلس. وتوصلنا إلى أن "**الجوارية**" هي المحدد الرئيسي في عملية الاختيار، بحيث يتم اختيار الممثلين من نفس الجغرافيا والذين يقطنون واريزان لزمن طويل، دون أخذ الأصول في عين الاعتبار، كما تلعب المزايا الأخلاقية والرمزية دورا هاما في عملية الاختيار. وبخصوص أعضاء 1967 فقد كرس قانون البلدية لعام 1967 النظام السياسي المبني على نظام الحزب الواحد المتأثر بالنظام اليوغسلافي الذي يهدف إلى وحدة المصدر الإيديولوجي، وتم إعطاء الأولوية لاختيار المجاهدين والفلاحين والعمال لتجسيد النزعة الاشتراكية في التوجيه السياسي، أما من حيث التنظيم والقضاء الاداري فقد أبقى على التقليد الفرنسي. ما هو ملاحظ، هو إختيار عضوان يمثلان دوار أهل عابد ودوار أولاد قدور، مع وجود أعضاء من أولاد بن عزوز الصوفية المجاهدة.

الجدول (3– 10) أعضاء المجلس البلدي بواريزان من 1967 الى 2012

69/1967	الانتمـــــــاء الجغرافـــــي (الاصلي)	75/1970	الانتمـاء ج، أ	79/1975	الانتمـاء ج، أ.	84/1979
11 عضوا.	7 من واريزان 2 مـــن دوار اهل عابد 1 من اولاد قدور	11 عضوا.	8 مـــــن واريزان 2 مـن دوار اهل عابد 1 من دوار اولاد علي	11 عضوا	6 مـــــن واريزان 4 من اهل عابد 1 مـن اولاد قدور	نفـس رئـيس البلديـة مـع الاحتفـاظ بـنفس الاعضاء.

1989/1984	الانتمـــــــاء الجغرافـــــي الاصلي	FIS–1990–	الانتماء ج	DEC 1994	96/1994
11 عضوا.	2 من واريزان. 9 من اهل عابد	10 اعضاء	7 من واريزان 3 مـن اهـل عابد	نفس القائمة كل الاعضاء من واريزان	3 اعضـــــاء ذو تجـــارب تمثيليـــة سابقة. كل الاعضاء من واريزان

2001/1997	الانتماء الجغرافي	2007/2002	الانتماء ج	2007/حتى الان	الانتماء الجغرافي
9 اعضاء	7 من واريزان 2 من اهل عابد	10 اعضاء	4(واريزان) 3 اهـــــل عابد 2 مـن اولاد قدور 1 مـــن وار السلايمية.	9 اعضاء	5 (واريزان) 3 (اهل عابد) 1 (اولاد قدور)

المصدر: مداولات المجلس الشعبي البلدي لواريزان من 1967 الى 2012.

في تلك الفترة تقلصت النزعة القبلية في تحديد اختيار الأشخاص، بحيث غلب التأثير الايديولوجي على حس الإنتماء، لذا نجد تركيبة المجالس الشعبية البلدية في هذه الفترة لا تقوم على الولاء وإنما على طبيعة الشخص وقدراته وتعامله مع الناس. إضافة إلى عدم معاداته للثورة (بوقطاية، بن عزوز، حتحات، بودهاج). من جهة أخرى فان التوجه الاشتراكي جعل الكل متساويين، إذ نجد المنتخَب من وسط عائلي فقير أو غير معروف(بسباس، خوالدي، حتحات، زروالي) يشارك المنتخَب من وسط عائلي غني معروف (مولاي سويقة، بن عزوز، بوقطاية..). كذلك فان الأعضاء مابين 75/1967 عملوا لعهدتين وهذا ما يجعلهم يترسخون محليا ويتلقنون أفضل المهنة السياسية. وبدءا من 1975 يحدث تغيير كلي لأعضاء المجلس (مع الاحتفاظ ببن عزوزي عابد) ويتولون هم الآخرون المجلس لعهدتين. والملاحظ كذلك عن العائلات من أصول مختلفة، وينتمي بن شهيدة وبودهاج إلى عائلتين معروفتين بأدوارهما في ثورة التحرير. وتم الإبقاء على تمثيل الدواوير والتي تختار هي من يمثلها. وتتجسد **النزعة الجوارية** بعد فوز قائمة بن عائشة في عهدة 89/1984 حيث ورغم قلة عدد سكان أهل عابد مقارنة بواريزان. نجد أن أغلبية الأعضاء هم من أهل عابد، وبعضهم في أول تجربة سياسية له.

أما في محليات 1990 والتي تمت في ظروف التعددية والانتقال الديموقراطي، فكل الأعضاء هم من الجبهة الاسلامية للإنقاذ، جمعتهم **النزعة الدينية**. مع الرجوع إلى اعتماد تمثيل الدواوير. لكن تم إلغاء هذه النتائج وإيقاف رئيس البلدية فتاح عمار وجماعته، واستبدل المجلس بالمندوبية التنفيذية البلدية (DEC) على رأسها كروم عبد القادر –الذي تم اغتياله لاحقا– يشاركه عضوان آخران. وتحولت البلدية إلى شبه مقر عسكري محاط بالدبابات والعسكر، بعدما دخلت الدولة والمجتمع في عنف وعنف مضاد. تقودني هذه المعطيات إلى مصطلح **عدي الهواري** في وصف سياسة الدولة السائدة ب" **الثقافة السياسية بوصوف**"[1] القائمة على التهميش والإلغاء الجسدي *"والتي أعلن فيها النظام من 1962 أن من يعارضه فهو يعارض الشعب والأمة، هذه هي مصطلحات بوصوف التي رسخها للجيش: بحيث إن لم نراقب الدولة، فالأمة في خطر*"[2]. إن هذا الفعل الظاهر للعيان سيفقد الثقة في جدوى اختيار الممثلين، وسيُحدث لاحقا أزمة في التمثيل السياسي، مع عزوف كامل للشرفاء والأكفاء في مزاولة المهنة كما تم ذلك في 1967،

1 Lahouari Addi, **Algérie: chroniques d'une expérience postcoloniale de la modernisation** (Alger, Editions Barzakh, Fevrier 2012) p 21.

2 Ibid., p 24.

وتكون الحصيلة انتخابات 1997 حيث نجد إتجاه الجيش–الدولة وجهاز المخابرات DRS في إختيار الأعضاء، فتمثلت في حزب التجمع الوطني الديموقراطي RND وتم اختيار عضو من اولاد بوقطاية المعروفة بتاريخها الديني والنضالي رغم معارضة الكثير من أقربائه لتوجهه هذا، وتمكن من إقناع العديد من المترشحين لإعطاء مصداقية لهذا المجلس. يمكن الوقوف كثيرا حول أزمة التسعينيات وما كتب عنها لكن لا تسعنا الدراسة لكل ذلك.

في محليات 2002 سترجع الكفة من جديد إلى حزب جبهة التحرير الوطني، وتم إختيار بودهاج عدة رئيسا للبلدية، واللافت أن المجلس أصبح يضم خريجين جامعيين وأساتذة (بن عزوزي، شيخاوي، ظريف) وهو بداية تحول فعلي في إختيار الممثلين، يفصح عنه تمثيل الأحزاب الفائزة. ويستمر بنفس الصيغة لغاية انتخابات 2007 أين سيعاود انتخاب العضو البارز من اولاد بوقطاية المنضوي تحت حزب الافلان. والظاهرة الجديدة هي عدم وجود قناعات تسيِّر الشخص داخل حزب ما، وإنما أصبح هناك **تجوال سياسي** مرتبط بمكانة الحزب خلال فترة ما. والنتيجة الأخرى أن هناك عائلات (بن عزوزي، ظريف، بودهاج، خداوي، شيخاوي، بن عائشة..) تمتهن السياسة كتقليد عائلي، مع التأكيد عن أن مواصفات الجيل الثاني تختلف عن الأول، حيث أصبحت الحماسة للتمثيل تتعلق بتحقيق مزايا مادية ومكافآت يمنحها هذا التمثيل، دون أن نغفل النية الصادقة للبعض في التغيير وخدمة أفراد مجتمعهم.

أما حول التمثيل البلدي في وادي ارهيو فهو لا يكاد يختلف كثيرا. فخلال الستينيات نجد كل الأعضاء من أصل مدينة وادي ارهيو عدا وجود ممثل واحد قادم من بلدية لحلاف. وكل الأعضاء يتمتعون بمستوى ثقافي لا بأس به ومن عائلات كبرى معروفة (دينية، سياسية، مجاهدة، غنية) كانت لها مواقف مشرِّفة مع جبهة التحرير الوطني خلال الحكم الاستعماري، واستمروا لعهدة ثانية مع تغيير طفيف بين رئيس البلدية ونائبه. أما التغير الذي يحصل هو ترأس المجلس عضو أصله بلدية مديونة، مع عنصرين آخرين من البليدة ولحلاف. والظاهر أن النزعة القبلية ليست هي التي شكلت المجلس، لكن يجب أن نشير إلى أنها ضلت باقية و تشتغل بصفة فرعية وليست هي المحورية في تقرير منطق السياسة. فتظهر مثلا في البيروقراطية: كتوزيع السكنات أو الوظائف أو الخدمات.... إن العمل السياسي كان، كما أكده لنا رئيس بلدية سابق عايش ذلك التمثيل، عبارة عن حراك سياسي للإداريين أو الموظفين لامتلاك المزايا الرمزية والمادية التي يوفرها هذا المنصب، لكن مع التعددية دخلت اعتبارات عديدة في تحديد أسباب الاقبال على هذا المنصب رغم بساطته، منها: حب إمتلاك السلطة، ترقية، مزايا مادية، خدمة البلدية، الدور العائلي السياسي... وبداية من منعطف التسعينيات وبعد أن يتم توقيف رئيس البلدية المنتخب، وهو أستاذ رياضيات مشهورة سمعته، وإدخاله السجن وتحويله بعدها إلى سجن رقان من دون أي تهم، تصبح المهنة خطرا أو تضحية. وسيساهم ذلك في تقلص مزايا المسؤولية المحلية، خصوصا بعد التهديدات التي أصبح يتعرض لها أعضاء المجلس.

الجدول (3–11) أعضاء المجلس البلدي بوادي ارهيو من 1967 الى 2012.

69/1967	الانتماء الجغرافي الاصلي	75/1970	الانتماء ج	79/1975	الانتماء ج	84/1979
15 عضوا	14 (وادي ارهيو) 1 (لحلاف)	نفس الاعضاء وأصبح احدهم رئيسا للبلدية.	الكل من وادي ارهيو	14 عضوا	1 (مديونة) 1 (البليدة) 1(لحلاف) 11 (وادي ارهيو)	تغيير بعض الاعضاء فقط.

1989/1984	الانتماء الجغرافي الاصلي	1990-- FIS	الانتماء الجغرافي الاصلي	1994/1991 DEC	2001/1997	الانتماء الجغرافي الاصلي.
17 عضوا	16 (وادي ارهيو) 1 (عمي موسى)	11 عضوا	1 (واد الجمعة) 10 (وادي ارهيو)	تم الحفاظ على نفس الاعضاء مع تنحية رئيس البلدية بقرار ولائي، وفُوّض اخرون من المجلس.	11 عضوا *اصبح في 1999 عضو من عمي موسى رئيسا للبلدية.*	1(لحلاف) 3 (عمي موسى) 5 (وادي ارهيو) 1 (المرجة س.ع) 1 (الرمكة)

2007/2002	الانتماء الجغرافي	2007/ حتى الان	الانتماء ج
15 عضوا.	1 عمي موسى 1 اولاد قدور 13 وادي ارهيو	15 عضوا.	2 عمي موسى 1 يلل الصبحة

المصدر : مداولات المجلس الشعبي البلدي بوادي ارهيو من 1967 الى 2012.

مع إشتداد الصراع بين المسلحين والجيش في المناطق الجبلية بلحلاف وعمي موسى، وبعد أحداث الرمكة المروعة، تعرف بلدية وادي ارهيو نزوحا ريفيا مزدوجا: الأول من هذه المناطق نحو وادي ارهيو، والآخر إنتقال العديد من عائلات وادي ارهيو العريقة إلى مستغانم، وهران، أو العاصمة والبليدة....وعلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي فان فائض السكان بالبلدية يزيد من الطلبات المجتمعية في ظل أزمة حرجة تمر بها الدولة. هذا وتتشكل خريطة قبلية جديدة، فيظهر بني اوراغ القادمين من عمي موسى بكثرة، وأولاد العباس من واريزان،وأولاد صبيح من الشلف...نلاحظ أعلاه بداية تشكل نواة اوراغية في المجلس من عمي موسى، وبعد أن يصبح احدهم رئيسا للبلدية تستثار **النزعة القبلية** التي كانت ساكنة لأسباب سياسية. وهناك مثال عايشته عن هذه الظاهرة، ففي إنتخابات 2007 كان الصراع بين أكبر متنافسي المحليات من

عرشين مختلفين واصلين جغرافيين متباينين، وإدَّعى الأول أن الثاني يقرر إن فاز طرد كل بني وراغ من الدائرة، فبكى الثاني مظلوميته. واستطاع الوراغي الظفر للمرة الثالثة برئاسة المجلس نتيجة ما قام به من عمل جواري داخل البيوت الوراغية. والمثال الآخر، هو وجود صراع تاريخي أسطوري بين بني اوراغ و أولاد صبيح، وفي نفس مجلس 2007 ساهمت المشادات الكلامية المتكررة بين *الوراغي والصبيحي* في طرد هذا الأخير من المجلس. وقد صادفنا شخصيا مشاكل مع الكاتب العام للدائرة "الوراغي" في طلب معطيات مونوغرافية حول وادي ارهيو مصرحا (ليس لوادي ارهيو تاريخ، لو كان عن مدينة عمي موسى لتلقيت دعمي شخصيا). وعليه فإن الشعور بالأقلية و"**البرّانية**" (أولاد برّا) يعد من عوامل تعزيز هذه النزعة. لذلك "فإن النزعة القبلية يبلورها مفهوم يسود في الفترات التي يتأزم فيها وجود القبيلة كبنية اجتماعية، خصوصا عندما تحاصر تلك البنية ويصبح وجودها غير مرغوب فيه باعتبارها علامة من علامات المجتع التقليدي، لذلك، تتحرك النزعات القبلية باعتبارها تعبيرات عن الهويات المحاصرة، خصوصا حينما لا تكون البنى والهياكل البديلة قادرة على استيعاب الأفراد، ولا تنجح بتعبئتهم لصالحها، وتجد مخلفات النزعة القبلية استمراريتها أيضا في النزعات الجهوية"[1].

وعليه فإن النزعة القبلية لا ترتبط بجغرافيا معينة أو وسط ريفي أو حضري. إنها راسخة كتكوُّن تاريخي لدى كل الأعراش وفي كل المناطق، ولكنها تضل فرعية وساكنة مالم يتم تحريكها لدوافع إقتصادية أو سياسية، هذا ويساهم انحطاط مستوى التنافس بين المترشحين السياسيين إلى فرضها كمعطى واقعي يجري التعامل وفقه.

2 – التعددية الحزبيَّة وأشكَال الاتصال السيَاسي .

2–1 / إنغراس الأحزاب السياسية في الجغرافيتين .

تعتبر الأحزاب السياسية إتحادات تنظيمية من أجهزة المنظومة السياسية، تتطلَّع لممارسة السلطة عبر الآليات التي يحددها نظام سياسي ما، سواء كان ديموقراطيا، أو ملكيا. وترتبط مكانة الحزب وقوته قبل كل شيء بحجم الطاقة النضالية المتواجدة فيه، والعدد الانتخابي القار الذي يحصِّله في كل موسم انتخابي، وهذه المكانة والقوة لا تتحقق إلا بمقدار الوظائف التي يؤديها والبرامج التي يناضل لأجلها.

وحسب التعريف الذي قدمه فاينر و بالومبارا (Weiner And Palombara) للأحزاب فإنه يجب توفر أربع خصائص:"

1. *منظمة دائمة، بمعنى أن لها أمل في الحياة السياسية أعلى من الذي كائن لدى قادتها.*
2. *منظمة محلية متكاملة ودائمة ولديها صلات منتظمة ودائمة ومتنوعة على المستوى الوطني،أي تنظيم وطني بامتداد محلي.*

1 محمد نجيب بوطالب، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** (لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى 2002) ص 65.

3. الارادة المقصودة لدى قادة التنظيم المحليين والوطنيين لأخذ السلطة وممارستها لوحدهم أو عن طريق اقتسامها مع آخرين، وليس نية التأثير فيها فقط.

4. الاهتمام بالبحث عن الدعم الجماهيري عن طريق الانتخابات أو بوسائل أخرى"[1].

يظهر من التعريف أن مظاهر الحزب الديمومة، وتعبئة الدعم الجماهيري والتأثير في القرارات التي تتخذها السلطة و في الرأي العام... هذا على المستوى الخارجي للحزب، أما على المستوى الداخلي فوظائف الحزب متعددة. وباعتباره تنظيما بيروقراطيا فإن شدة تماسك هذا الجهاز وفعاليته هي من يحدد نوعية وظائفه الخارجية. ومن بين الأعمال الداخلية: إختيار الأمين العام للحزب، تنظيم اللقاءات والدورات، تحديد المنتخبين المحليين والمترشحين في المواعيد الانتخابية، التحكم في التسلسل الهرمي والأفقي لسلطة الحزب، الإحتفاظ بالأرشيف، كسب الكفاءات، تتبع مسار السياسات الوطنية، جمع الانفاق والاشتراكات... إن الهدف البارز لأي حزب هو امتلاك السلطة بتوسيع دائرة اشتغاله، والبحث عن امتداد محلي متزايد. والسؤال المطروح في دراستنا هذه: ما مدى إنغراس الأحزاب بين الوسطين موضوع الدراسة؟ ما هي الأحزاب الأكثر فوزا في الانتخابات؟ كيف هو نشاط الحزب داخل الوسطين؟.

لكن التاريخ السياسي الجزائري يبين جيدا كيف أن التجربة الحزبية بعد التعددية لا تزال في علاقة جدلية مع السلطة القائمة. وبالإضافة إلى أزمتها الداخلية وتضعضع هيكلها، فهي لم تُبدِ بعد استجابةً كاملةً لمتطلبات الفئات الاجتماعية أو تقلّص من الفوارق بينها. كما لم تسهم في تشكيل وعي قومي يواجه التحديات الداخلية والخارجية، فبرامج الأحزاب وخطابها لا يطرح **توجهات ثقافية** تساهم في خلق حراك ثقافي داخل المجتمع حول قضايا معينة، بصيغة مثلا نضالات الأحزاب الشيوعية في العالم لمناهضة الرأسمالية. أو تعمل على تنمية الوعي السياسي المحلي، بل أصبحت مقيدة بإدارة صراع القوة مع أحزاب أخرى حول استحقاقات تمثيلية أكثر وامتلاك السلطة بأي وسيلة متاحة. غير أن وجهة النظر المغايرة تشير إلى أن أزمة الأحزاب هي أزمة لطبيعة المنظومة السياسية التي أنشأتها والتي تشتغل فيها. فتقييد النظام للحريات وضغط اللوبيات وقوانين الطوارئ واحتكار المعلومات الرسمية.... تفرغ الحزب من وظيفة **المراقبة** التي تعتبر جوهرية في التعبير عن إرادة المنتخِبين. هذه الصورة تنعكس سلبا على الحزب وتصنع تصورا محليّا عنه، يصيغه الإعلام والدعاية وسلوك القادة...وللاقتراب من أجل معرفة المعايير التي يتم على أساسها التصويت للأحزاب، عددنا في استمارة الاستبيان أربعة احتمالات: البرنامج، نشاط الحزب داخل البلدية، قائمة الممثلين التي يضعها، مكانة الحزب الوطنية في الترتيب الوطني. فكانت النتائج بين وادي ارهيو وواريزان كالآتي:

الجدول (3– 12) المعايير التي يتم على أساسها انتخاب الحزب.

الفكرة	الاحتمالات	التكرار	
		واريزان	وادي ارهيو
ما المعايير التي يتم فيها التصويت للأحزاب في رايك؟	برنامج الحزب	22	17
	قائمة الممثلين	66	76
	نشاط الحزب داخل البلدية	14	15
	متعلق بمكانة الحزب الوطنية	10	20

1 Roger- Gerard Schwantzenberg, **Sociologie Politique** (PARIS, Editions Montchrestien . 1998) p 248.

يتصوَّر المبحوثون في كلا الوسطين أن المعيار الأول لانتخاب حزب ما هو **قائمة الممثلين** المحليين التي يضعها، أي فيما يجسده الملموس ونعني به نوعية الأشخاص وصفاتهم، خصوصا في وسطين محدودين نسبيا في عدد السكان أين العلاقات الاجتماعية تقوم على نظام من المعرفة الشخصية. إن شخصية المترشح على رأس القائمة (Tète De Liste) في التشريعيات أو المحليات يحدد مقدار فوز الحزب بالدرجة الأولى، وهذا الموقف يرتبط بما تطرقنا له حول مفهوم البوليتيك في ذهنية الناخب، والذي يتحكّم في ردود أفعاله حول ممارسة النشاط السياسي أو التصويت، حيث أصبح لا يثق في البرامج الكلية للحزب التي تبقى لديه انشاءا لغويا، وإنما يتم الانتخاب –إن انتخب– على النظام القائم على المعرفة الداخلية المتبادلة في العلاقات الاجتماعية داخل الوسطين، كما أنه يعطي أهمية لباقي الأعضاء.

لكن هناك نسبة ثانية تعتبر أن برنامج الحزب هو الذي يحدد إختيارات المصوِّتين، وهي إجابات لأغلبية مكوّنة من الجامعيين والأساتذة، وبالتالي يتدخل العامل الايديولوجي كعمل استراتيجي للأحزاب، بحيث يُعتبر البرنامج في لغته البسيطة مشروعا يحتوي مشاكل السكان ويراقب انحرافات النشاط الحكومي، و يكون التصويت في هذه الحالات حول طبيعة الحزب (لبيرالي، إسلاموي، إشتراكي، إثني، تاريخي، شباني....). فحتى ولو أنه يوجد نسبة معتبرة ممن فعلا يتابعون الرؤى السياسية لهذا الحزب أو ذاك، فإن بعض الأحزاب ومن خلال مسيرته النضالية أصبح معروفا ببرامجه وخطاباته واستراتيجياته ك**حزب العمال** مثلا..غير أن التساؤل الذي طرحناه على المبحوثين: هل يوجد فعلا من يقرأ أو يتتبع برنامج الأحزاب؟ فلاحظنا أن موقفهم يكمن في الصورة الوطنية التي تكرست حول إيديولوجية حزب ما، أو في مواقفه المشهورة والتي تصل إلى الناخب البسيط عبر الإعلام، وليس القراءة الفعلية لبرنامج الحزب ومناقشتها– وهو أمر مستبعد لدى من ينتخب–. هذا التحليل يقودنا إلى النسبة الرابعة التي تعتبر أن التصويت للحزب متعلق بمكانته الوطنية وحجمه داخل صراع اللوحة الحزبية الجزائرية، ومدى حضوره في الجدل السياسي الوطني، فالناخب الجزائري شخص براغماتي يصوّت للأقوى، أو يعبئ له. أما النسبة الثالثة فتتراوح بين من يعتبرون أن الحزب يفوز من خلال ما تركه من اثر تنموي محلي في عهدة سابقة فاز بها، او مقدار الاعمال "الحصرية" التي يقوم بها داخل البلدية حتى وإن لم يفز سابقا، لكن يبقى الاشكال هي تلك الأحزاب المعتمدة حديثا والتي لم تتلقى بعد مسؤولية أو عدد مواردها ضعيفا.

لا يبنى فوز الأحزاب فقط على الخطابات والسياسات التي ينتهجها، بل يشترط **الانغراس المحلي** الحقيقي في البلديات والدوائر الانتخابية، فما هي الأحزاب الحاضرة بين واريزان ووادي ارهيو؟. إن أولى الوقائع التي تجيب عن هذا التساؤل هي ضعف تواجد مقرّات الأحزاب في الوسطين، وفي غياب عناوين البعض منها، و كما صرَّح لي أحد الرؤساء (حزب= ختم في محفظة رئيس). ويعتبر حزب **حركة مجتمع السلم** الأكثر حضورا سواء من خلال مناضليه أو نشاطاته، وله مقر في كلا الوسطين، واستطاع أن يعبئ تحت مضلته العديد من الجمعيات النشيطة والفرق الرياضية والكشافة الاسلامية وجمعية الارشاد والإصلاح وبعض المتعاطفين، وتظهر قدرة الحزب على التعبئة خصوصا في حمله مشاغل السكان الذين يتوافدون على مقره الفاتح أبوابه. نفس السمة تظهر لدى حزب **الأفالان**، وبفضل مقره التاريخي المتواجد على الطريق

الوطني رقم 04، والذي يستقبل أعدادا لا بأس بها من الطلبات، إستطاع تكوين قاعدة نضالية وضمان بعض النقابات والجمعيات الموروثة من الاستقلال (أبناء الشهداء، الاتحاد العام للفلاحين الجزائريين، المجاهدين...). كما تمكن حزب **الاصلاح** بفضل العمل الجواري تأسيس حضور قوي خصوصا في وادي ارهيو في وقت وجيز. أما **الأرندي** فلا مقر له، ولم يستطع **حزب العمال** مواصلة جلب المناضلين إلى مقر ثابت. هذا عن الأحزاب الكبرى، أما الأحزاب الأخرى فلا يعرفها المواطن إلا وقت المناسبات الانتخابية، وليس لها عنوان أو مقر دائم يقصده المحتاج.

شهدت واريزان ووادي ارهيو من موعد إنتخابي لآخر زيادة في عدد الأحزاب المشاركة ، وهذا مرتبط في التشريعيات بالدوائر الانتخابية. والأحزاب النشيطة التي ذكرناها سابقا تحتل في كل مرة صدارة الترتيب، وهناك أحزاب لايكاد يعرف اسمها إلا خلال الحملات الانتخابية، ليس لها ترسخ محلي وإنما ترتبط بمدى قدرة بعض المسؤولين وأصحاب المال على الحصول على قائمة أو تمثيل من أمانة الحزب المركزية، ومنطق هؤلاء أن النجاح تضمنه الأطر والمال السياسي وليس حجم المناضلين. إن هذه الممارسات وغيرها تزيد من تكريس صورة سلبية عن هؤلاء الممثلين، فالحاصل أن اعتماد الأحزاب في هذين الوسطين لم يكن نتيجة حركية اجتماعية–سياسية وإنما هو عمل أشخاص محددين يبرزون في المواعيد الانتخابية. هذه الممارسات تمنع من ترسيخ ثقافة العمل الحزبي، وجوهره، وتنتج ندرة المناضلين. فغرس المواطنة في هذين الوسطين، والوطني بشكل عام، لا يتحقق إلا بوجود الحيز الملائم الذي يستطيع فيه الفرد التعبير عن قدراته السياسية–الثقافية، فما لم تخلق بعد "القمة" هذا الحيز فان "القاعدة" بدورها باقية خارجه.

يشير الجدول أدناه إلى عدد الأصوات التي تحصلت عليها في وادي ارهيو ما بين تشريعيات 2002–2007 . تتمثل المنافسة بين الافالان والاحزاب الاسلامية (حمس بالخصوص، الإصلاح) ، وهذه الصدارة للأحزاب الثلاث ناتجة كما أسلفنا الذكر عن التنظيم والنشاط السنوي لها، ومن خلال استراتيجياتها في تعبئة الموارد، والتركيز على الحملات في الأرياف المجاورة لوادي ارهيو عبر اللقاءات والعمل الجواري.

الجدول (3–13) نتائج الانتخابات التشريعية والمحلية بوادي ارهيو (2002–2007)

الحزب	اختصار	تشريعيات 1997[1] (عدد الاصوات المعبر عنها)	تشريعيات 2002[2] (عدد الاصوات المعبر عنها)	تشريعيات2007[3] (عدد الاصوات المعبر عنها)
الافالان	FLN	111	3241	3808
حركة مجتمع السلم	Hms	1053	1853	2093
حركة الاصلاح الوطني	ISLAH	/	1374	3452
حركة النهضة	NAHDA	811	530	/
حزب العمال	PT	/	959	945
التجمع الوطني الديموقراطي	RND	319	712	1017
احزاب اخرى		907	4883	1256
المجموع		3201	13552	12571

المصدر: متعدد (انظر التهميش)

1 أحد الاحزاب (ورقة مراقبة مركز، النتائج النهائية).

2 Synthèse Des Résultats , (P.V De Commune) Commune De Oued Rhiou. 2002.

3 Synthèse Des Résultats, (P.V De Commune) Commune De Oued Rhiou. 2007.

خلال تشريعيات 1997 لم يكن هناك إقبال للمواطنين على مكاتب الاقتراع، وكان الفوز لحركة مجتمع السلم، وهذا بعد اطلاعنا على **ورقة مراقبة مركز** لحزبين بالبلدية، وهو مالم نجده على مستوى الدائرة والولاية والبلدية. غير أن تشريعيات 2012 جاءت مختلفة إذ شهدت مشاركة 41 حزب، وهو حجم يفوق مستوى التباين الثقافي والايديولوجي والسياسي لهذه المنطقة المحدودة، واللافت أن أحد الأحزاب كان يطلب من المصوتين تأدية اليمين بالتصويت له، ويتحصل المصوِّت على مبلغ مالي قدره 2000 دج، واستطاع الحصول على مقعدين، وتحصل **الأفالان** على ستة **وتكتل الجزائر الخضراء** (حمس، النهضة، الاصلاح) على مقعدين. والنتيجة الأساسية هي عدم وجود حضور سنوي للعديد من الأحزاب بوادي ارهيو، وتبقى الأحزاب الدائمة النشاط والحركية تجني نتائج كل موعد انتخابي.

أما في بلدية واريزان فيكاد يكون نفس المظهر، وباعتبارها تبعد عن وادي ارهيو ب 14 كلم، فالنشاط الحزبي يكاد يكون متقاربا، لدى الأفالان وحمس والأرندي مقرَّات دائمة وحضور شعبي متواصل، فاز الافالان في المحليات البلدية ل 2002 ب 1699 صوْت و حماس ب 772 صوت والارندي ب 569 صوت. أما تشريعيات 2007 فحصل الافالان على 720 صوت، وحزب العمال 969 صوت، الارندي ب 1063 وحماس ب 739. ما هو ملاحظ أن الريف لا يمتلك بالضرورة النزعة الاسلامية كما لا يزال تصور ذلك منذ أن عبأ في التسعينيات لجبهة الاسلامية للإنقاذ، وهو بالرغم من محافظته فهو يصوت للأحزاب الليبرالية أو الاشتراكية، أما انحصار نسبة حماس فيعود إلى بعض قياداته المحلية التي لا تتمتع بشعبية كبيرة، ولا تبذل جهدا للتواصل أكثر.

2-2/ الفلاح والدعم الفلاحي وعلاقته بالدولـــــــــــــــــــة.

لا تزال العلاقة الجدلية بين الفلاح والدولة تؤثر على العملية الإنتاجية للقطاع الزراعي. وتناولنا في مبحثٍ سابق الإصلاحات التي نفذتها الدولة لإدماج المجتمع الزراعي، معتمدة على سياسات زراعية وإعادة هيكلة الملكية العقارية. غير أننا سنحاول في هذا الجزء التطرق لعلاقة الفلاح بالشأن السياسي، وعلاقته بالدولة من وجهة تحليل سياسية. مع تأكيدنا على أن الميزات الإقتصادية التي تمنحها الدولة للفلاح تشكل عوامل "**الجذب**" المغرية لإقناعه بالتفاعل مع السياسات الوطنية.

حاولنا معرفة السلوك السياسي لبعض الفلاحين في بلدية واريزان، من خلال إجراء مقابلات مع بعضهم ، وملء 29 استمارة لعينة عشوائية لهم. وقبل عرض تعليقاتنا حول إجابتهم، تجدر الاشارة إلى الواقع الزراعي لبلدية واريزان، فهذه المنطقة تزخر بتقسيم متنوع للأراضي الزراعية، وبحسب الدراسة التي قام بها BNEDER فإنها تُقسَّم الى:

أراضي ذات مردودية زراعية عالية: تمثل 10/1 من أراضي الإقليم تتركز في مركز وجنوب البلدية.

أراضي ذات مردودية زراعية جيدة: تمثل 50% من مجموع الإقليم، تتشكل من الجزء الشرقي ناحية الغربي، للأراضي عمق جيد وجغرافية مسطحة وهي جد خصبة.

أراضي ذات مردودية زراعية متوسطة: تمثل 35% من المجموع، تتركز في التلال خصوصا الشمالية(مرتفع الدهرة) مشكلة حزام للجهة الشمالية الشرقية، والشمالية الغربية. التربة مسقية، وذات عمق متوسط، تتموضع على منحدرات عالية بدرجة 5%.

أراضي ذات مردودية زراعية ضعيفة: تمثل باقي أراضي الاقليم في مناطق محدودة، أنها تربة غير مسقية"[1].

أما حجم المساحات المستغلة، وتوزيع المستثمرات. فيوضحها الجدولان:

الجدول (3–14) توزيع الاراضي الزراعية للبلدية[2]

توزيع الاراضي الزراعية	المساحة (هكتار)	النسبة %
المساحة الزراعية الاجمالية (SAT)	6042	68,54
المساحة الزراعية المستعملة (SAU)	5782	95,69
الاراضي المسقية	2495	41,29
مساحات complanté en sec+en irrigué	877+17	14,79
مساحات غير مستغلة	1427	23,61
طرق+ اراضي بور	70	1,15

الجدول (3–14)توزيع المستثمرات لبلدية واريزان.

نوع المستثمرة	العدد	النسبة %
مستثمرة زراعية جماعية	54	6,73
مستثمرة زراعية فردية	36	4,48
مستثمرة خاصة	712	88,77
المجموع	802	100

المصدر: مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة الحضرية لواريزان .

تتنوع أشكال ملكية هذه الأراضي، غير أن الوضعية العامة لأراضي الولاية الزراعية أنها تابعة للدولة، الملكية الخاصة ليست بالعدد الكبير. خلق هذا التوزيع قانون الثورة الزراعية الذي منح العديد من الراضي والمستثمرات الى الفلاحين، ولا يزال هناك تسيير جماعي لبعضها، مع العلم أن الدولة سارية في تطبيق مشروع **عقود الامتياز**، والذي سيقسم هذه الملكية.

يتفق عدد كبير من الفلاحين بتعريف **البوليتيك** على أنها عمل له حرفيوه، وأنها دبلوماسية ودهاء. إنهم يهتمون بالشأن السياسي على مستوياته (المحلية، الوطنية، الدولية). لكن رغم هذا الفهم الجيد للسياسة إلا أنهم يمتنعون عن ممارستها. تساعدنا تكرارات إجابات أخرى لتكوين إجابة، إذ توضح أنهم يعتبرون العمل السياسي أصبح مجرد صراعات ومصالح أشخاص الذين بقيَ **مردودهم السياسي** ضعيفا. إن مكانة الفلاح وتكوينه داخل مجتمعه يمنعه من الانخراط في لعبة ابتزاز ونفاق ضد أفراد قريته. فوفق تحليله، فإن شكل امتهان السياسية لبعض المسؤولين أبعد الناس عنها وجعل ثقتهم تزعزع بممثليهم. وعليه فإن الحرفة السياسة لا تأخذ قيمتها إلا بمقدار ما تحقق المصلحة العامة وتلبي احتياجات المواطن البسيط، والذي كرست له الادارة عبر عقود شعورا بالإحباط وبالتهميش، فتعرض وعيه بالمواطنية الى الضعف والوهن. وتكرارات الأجوبة توضح هذا الشعور بتدني **البوليتيك** في الجزائر، ويوضح كيف أن الفلاحين يعتبرون أنَّ ممثليهم جمعتهم القبلية والمصالح وحب إمتلاك المال والسلطة.

1 Etude De Révision Du PDAU, Op.cit., p 15-16.
2 Ibid., p 26.

الجدول (3–15) تمثلات السياسة لدى الفلاحين.

الفكرة	الاحتمالات	التكرار	الفكرة	الاحتمالات	التكرار
ما معنى السياسة؟	لها اهلها	26	هل تمارس العمل السياسي؟	لا يهمني وليس لي مصلحة	22
	عمل خطير	2		موقف اجتماعي/ديني	5
	تناقض الشرع	2		اخرى	2
كيف هو النشاط في بلديتك؟	ضعيف	9	كيف يتم التمثيل السياسي؟	قبلي	10
	جيد/ مقبول	5		ديموقراطي	6
	مجرد صراعات ومصالح	15		تحالفات	13

هذا السلوك من عدم الاهتمام بالممارسة السياسية مرده إلى الممارسات الممتدة عبر الزمن الطويل، ففي أزمنة مضت كانت المهنة السياسية لها حرفيوها في الريف، يختص بها الأعيان والصلحاء ومجالس الجماعة، وكان طلب الأفراد لحقوقهم يتم بشكل ديموقراطي ومباشر. غير أن الديموقراطية المؤسساتية غيرت هذا التقليد، فأصبحت المهنة السياسية عمل بيروقراطي منزوع الفضيلة. فما لاحظناه هو إبتعاد بعض الأعيان أو أبنائهم (اولاد بن عزوز، اولاد بوقطاية، كبايري...) عن أي إنخراط داخل الأحزاب. وبالتالي لا يمكن تعليل هذا العزوف للفلاحين بغياب **الثقافة السياسية** وضعفها. وإنما هو نتيجة لتغيرات جذرية في شكل الحكم على المستوى الوطني، وتغيير **المنطق السياسي** للمجتمع، والذي يعمل على إزالة السلطة التقليدية بمزاياها لحساب عقلانية القانون "الديموقراطي" البيروقراطي. ونؤكد في هذه الحالة على نفس التحليل الذي انطلقنا منه وهو أن الديموقراطية لا يصبح لها أنصار إن لم تحصِّل على **عدالة اجتماعية**. ونؤكد على الصيغة الثنائية "**للقانون**" التي شرحها أحمد هني. كانت بعض تأكيدات الفلاحين حول ضعف النشاط السياسي: بانعدام الثقة بين السياسيين والشعب، ضعف المستوى المعيشي، لا وجود لديموقراطية حقيقية...

أما حول عدم ممارسة العمل الجمعوي، فأغلبية التكرارات سلبية، وفي مقابلتنا للعديد من الفلاحين إستنتجنا أن السبب الأول هو **الوقـــــت**. فالإنتاجية الزراعية تحتُّم عليهم سباق مع الزمن، حتى أوقات الفراغ تكون غالبا لزيارة المدينة، سواء لقضاء الحاجيات أو شراء التجهيزات الزراعية والأدوية، أو لالتقاط المعلومات عن وضع **السوق**، حيث تشكِّل إحدى المقاهي بوادي ارهيو نقطة التقاء فلاحين من أكثر من عشرون ولاية، تضبط فيها أسعار البيع والشراء. لكن المفارقة أن بعض الفلاحين إستطاعوا تكوين جمعية تعدت طابعها المحلي، ونظَّمت حملات ميدانية بأراضي واريزان بالتنسيق مع خبراء دوليين من فرنسا وألمانيا والعاصمة في نهاية 2011. وأقامت ندوة حول إنتاج القرنون بالبلدية، لكن عامل الزمن يَحُول دون تنظيم نشاطات مماثلة. إن إكراهات **الـزمن الاقتصـادي** حاضرة بقوة في إدارة نشاطات هذه الفئة، وما لاحظناه أن **روح المبادرة** في قيام البعض بالعمل الجمعوي شجعت باقي الفلاحين على الإنضمام، وهي تضم الآن أكثر من 19 فلاح. أغلبهم مستفدون من الدعم الفلاحي.

الجدول (3–16) أوقات الفلاحين بالمدينة.

كم الوقت الذي تقضيه بالمدينة؟	من1 الى 2 سا	من 3 الى 4 سا	فوق 4 سا
عدد الفلاحين	16	10	3

حاولت الدولة بمنطقة واريزان ووادي ارهيو تدعيم النشاط الزراعي من خلال توفير الدعم الفلاحي للعديد من الفلاحين، وهذا ضمن البرامج التي وضعتها وزارة الفلاحة والتنمية الريفية، وكانت حصة بنك التنمية الريفية لوادي ارهيو(يضم مجال عمله ست بلديات) من الأغلفة المالية ما يلي:

الجدول (3–16) البرنامج الوطني للتنمية الزراعية

السنة	عدد الفلاحين المستفدين	حصة القرض البنكي (دج)	حصة دعم الدولة (دج)
2002	**07**	**259232,74**	**300711,39**
2003	**112**	**13435660,82**	**28054961,79**
2004	**172**	**27371043,51**	**50395131,02**
2005	**129**	**12956095,19**	**36643652,39**
2006	**57**	**2167233,15**	**7713009,35**

الجدول (3–17) برنامج الرفيق RFIG

السنة	عدد الفلاحين المستفدين	حصة الدعم الكلي (دج)
2009/2008	**24**	4175709,80
2010/2009	**62**	10551194,20
2011/2010	**76**	10112024,59
2012/2011	**47**	11233655,00

المصدر: بنك التنمية الريفية بوادي ارهيو .

واستفادت بلدية واريزان في إطار برنامج PNDA من حصة دعم كالآتي:

الجدول(3–18) حصة بلدية واريزان

المزرعة	هكتارات
اشجار الاجاص	**24,5**
اشجار المشمش	**28**
الحمضيات	**91**
اشجار الرمان	**27,5**

اشجار الزيتون الكثيفة	4,5
اشجار التفاح	19,5
اشجار البرقوق	01
المجموع	196

من برنامج PNDA لغاية 2011.

المصدر: Subdivision De L'Agriculture. Oued Rhiou.

إن الافتراض الآخر الذي حاولنا التحقق منه هو: هل أن دعم **الدولة** للفلاح يشكل تصوراته عنها؟ بمعنى هل أن المزايا المادية التي تمنحها الدولة للفلاحين تساعد على تشجيع صيغتهم التواصلية بمؤسساتها وسياساتها الإقتصادية؟ وما هو التمثُّل الذي تتركه في أذهانهم عنها؟ وهل هذا التمثل راسخ بنفس التعريف بين الأجيال؟.

إننا نعلم حجم هذه الإفتراضات وصعوبة تقديم أجوبة عنها في مثل هذه الدراسة المتواضعة، غير أننا نحاول على الأقل البدء بتكوين بعض التخمينات عن صحتها. كانت الإجابة في الإستمارات كالآتي:

الفكرة	الاحتمالات	التكرار على حسب فئة السن المجموع				
		29–18	39–30	50–40	مـــافوق 50 سنة	
ماذا تعني لك كلمة الدولة؟	**الحكومة**	**8**	**0**	**0**	**1**	**9**
	مباني ومؤسسات رسمية	**0**	**0**	**0**	**0**	**0**
	الجزاير(الوطن)	**2**	**9**	**5**	**2**	**18**
	اخرى	**1**	**0**	**0**	**1**	**2**

الجدول (3–19) تعريف الدولة لدى الفلاحين.

يختلف تصور جيلين من الفلاحين حول فهمهم للدولة، فالنوع الأول يمثله الجيل الأول وهو مجموع الفلاحين الأكبر من 30 سنة فيعتبرون الدولة هي الوطن، أي (الجزاير) بكل ما تحمله من حضور ككتلة تاريخية، وهم يفهمونها على أنها بلد من منظومة دولية له خصوصيته **(بلاد كي البلدان)** وهو جيل عايش الاستقلال وشهد الإنتقال من نموذج دولاتي كولونيالي إلى نموذج دولاتي مستقل. إن الدولة بهذا المعنى تأخذ عندهم أشكال تحرير وطني للأرض قام بها الشعب بأكمله، ربما كانت كاريزمية بن بلة وبومدين التعبير عن السلطة لكن ليس بالمفهوم الذي يترسخ لدى الجيل الثاني.

أما النوع الثاني فيمثله الشبان الذين يقل عمرهم عن 30 سنة، يفهم الدولة على أنها الحكومة. أي مماهاة السلطة للدولة، وهو تصور موضوعي، يفسره التكون التاريخي للسلطة في الجزائر، خصوصا في العشرية السوداء. أين تم تقديم صيغ الحفاظ على النظام القائم هو الحفاظ على الدولة، وأي معارضة للنظام هي مساس بالدولة، فأصبحت السلطة التي تحتكر الاكراه الجمعي هي الدولة والأمة معا. والملاحظة الثانية أن هذا النوع لا ينتخب، يبرورون ذلك ب: عدم وجود كفاءات ننتخب عليها، عدم استخراج البطاقة، لا يهمني وليس لي مصلحة، الدولة تزوّر الانتخابات... والنوع الأول فينتخب أكثر من مرة ويعلّل بأن: الانتخاب واجب وطني، تقليدا بالآخرين..... توزعت التكرارات كالآتي:

الجدول(3–20) توزيع مرات الإنتخاب حسب الفئة العمرية.

الفكرة	عدد المرات	التكرار على حسب فئة السن				المجموع
		29–18	39–30	50–40	مافوق 50 سنة	
هل تنتخب؟	مرة واحدة	1	6	2	0	9
	مرتين او اكثر	0	2	3	4	9
	ولا مرة	10	1	0	0	11

أمام هذا التباين حول السلوك السياسي بين جيلين من الفلاحين، فهل هو مختلف بين من استفاد الدعم ومن لم يستفد. يقدم الجدول الآتي النتائج المحصل عليها بين 9 استمارات لمن استفادو، و 19 لمن لم يستفيدوا.

الجدول (3–21) تفاعل الفلاح مع الدولة

الفكرة	الاحتمالات	فلاح استفاد الدعم	فلاح لم يستفد الدعم	المجموع
كيف تقيم/تنظر الى سياسة الدولة؟	لا تستجيب لتطلعاتك	0	10	10
	غير ديموقراطية، مصالح السياسيين	2	7	9
	تعمل وفق امكانياتها	7	3	10
كيف هي الخدمات الفلاحية؟	غير كافية	0	19	19
	كافية	9	1	10
هل تتردد على البنك	لا	1	18	19
	نعم	8	2	10
هل تمارس اعمالا اخرى الى جانب الزراعة	لا	9	16	25
	نعم	0	4	4

الملاحظ أعلاه أن هناك أكثر من 17 فلاح يرى أن الدولة لا تستجيب لتطلعاته ومشاريعه، ويعتبرها غير ديموقراطية وسياساتها يصنعها أصحاب المصالح. وفي اقترابنا منهم، وجدناهم يفتقرون لرأسمال كفيل برفع حصتهم الانتاجية، رغم أنهم من متمرسي العمل الزراعي بالمنطقة، وتشكل نقمتهم على بيروقراطية الناطق باسمهم **(الاتحاد العام للفلاحين الجزائريين)** أولى الميزات التي تلاحظها. فبعد أن كان هذا الجهاز الهام يُموّل من حزب جبهة التحرير، أصبح اليوم مستقلا ونشاطه شبه معدوم، لا يقتصر سوى على المراقبة التقنية وبعض الوظائف الأخرى. إن الفلاح في هذه الحالة يصارع وحده آليات السوق التي قد تضعف نشاطه، لذلك فهو يمارس أعمالا أخرى لجانب الزراعة ليغطي بها عجزه المالي. إنه لايتردد على البنك، ولا يخفي انزعاجه من الطابورات لسحب ماله. وفي سؤالنا عن السعي لاستفادته من الدعم فبرر بأن 1% فوائد تربي القرض. كما أنه يزاول المهنة دون سجل تجاري. إن الفلاح في هذه الحالة يعجز من الانخراط في تفاعل مع السياسات الوطنية للتنمية. وهو يرفض البيع بسعر محدد للدولة في حين أن السوق يوفر أكثر. وفي الحالة الأخرى فان المشاريع الكبرى التي تتخذها وزارة الفلاحة يجب أن تراقب على المستوى المحلي كيف تتم، فلا تزال المحسوبية والرشوة، والبيروقراطية –التي يكرهها الفلاح– جزءا من فشلها.

غير أن الفلاح المستفيد من الدعم نشيط اقتصاديا، سياسيا وجمعويا، يتردد على البنك ويطالب بدعم متزايد. مشكلته الوحيدة كما الآخرين عدم وجود سياسة زراعية تُخضع البذور المستوردة للتحاليل العلمية، مع ارتفاع أسعارها. وعدم وجود مخابر متخصصة في إنتاج مختلف أنواع البذور، ما يجعل خطاب **الاكتفاء الذاتي** خطابا سياسيا أكثر منه استرتيجية أمنية غذائية، خصوصا وأن أغلبها مستورد من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، لكنه في العموم فلاح "راض" على الدولة وإمكانياتها ومجهوداتها. هذا وقد وجدنا فلاحا إستفاد من الدعم بحصة كبيرة يصدِّر الآن القرنون إلى إسبانيا وزراعته جد متطورة.

3- السلُـــــــــــوك الاجتمَـــــــاعي والعلاقَـــة مَـدينة- ريف.

3-1 الزمن ، المـــــــــــكَان، والتواصُـــل.

"لكي تكون إنسانا عليك أن تعيش في عالم ملئ بأماكن ذات مغزى، لكي تكون إنسانا عليك أن تملك وتعرف مكانك".
ريلف Relph (المكان واللامكان 1976).

تزخر الدراسات الجغرافية بمصطلحين هَامَّيْن هما "**المكان**" و"**الفضاء**"، واستطاعت العلوم الاجتماعية أن تفسّر الظواهر الانسانية المرتبطة بهما، والتعرف على التناسق والأنماط بين العمليات الفردية من مكان لآخر. وأدى الفرع المعرفي **الجغرافيا الانسانية** إلى تفسير المعنى الذي يتركه المكان على تجارب الأفراد، وعلى تركيبتهم الثقافية. وفي الفلسفة شكلت مقولة هايدغر **(الإحساس بالمكان)** محورا من الفلسفة الوجودية والظاهراتية. إن السؤال البسيط (أين تسكن؟) يكشف في ذهن السائل ماهية وسلوك المساءَل، وأحيانا حكما عن مستواه. يقودنا هذا التصور إلى العلاقة بين المدينة والريف، حيث لا تزال تستعمل وبشكل مفرط أدبيات العلوم الاجتماعية حول تفوُّق العالم الأول عن الثاني (انظر الفصل الثاني)، بالرغم من أشكال التطور والمواصلات والاتصال التي عرفها الثاني، ومن وجود نظريات حديثة تعلن **لامكانية المكان** التي تنشأ بفعل العولمة وتدفق الثقافات وتزايد وسائل الاتصال، والتي باتت تنتج تآكل الجماعة والمكان، وتعطي أفضلية للتحليل الفردي.

وعن الريف الجزائري "كمكان"، فقد تعرض ومنذ الغزو الفرنسي حتى الوقت الحالي إلى سياسات التفكيك والاضطراب والهشاشة، وأصبح **النزوح الريفي** أحد الكلمات المفتاحية حين يقترن المصطلحان ريف و مدينة، وركزت عليه تقريبا كل البحوث في علم الاجتماع بعد الاستقلال، والسؤال المطروح: ما هي الأسباب الثقافية التي تجعل الأفراد يفضلون إقليما جغرافيا على آخر؟ وما الدوافع الرمزية التي تجعل البعض الآخر يختار عدم مغادرة إقليمه المحدود الموارد؟. يشكل هذان التساؤلان نواة الجغرافيا الثقافية والإنسانية، وموضوعا هاما للأنتربولوجيين وأصحاب الهندسة الإقليمية. سنحاول في هذا الجزء دراسة التفاوت في تنمية ريف واريزان ومدينة وادي ارهيو، والكشف عن بعض أسباب النزوح الريفي رغم خطابات الدولة في الحد من هذه الظاهرة، كما نتطرق إلى عمليات التفاعل بين الوسطين.

أشرنا إلى الموقع الجغرافي لبلديتي واريزان ووادي ارهيو، ويتميز الموقعان باتساع وتعدد شبكة الطرقات، "فبلدية واريزان تمتلك حوالي 40 كم من شبكة الطرقات التي تسمح باندماج إقليم البلدية في الولاية، هذه الشبكة فيها 70 % في حالة سيئة وتتكون من الطرق التالية: الطريق الوطني 90 RN بطول يصل الى 9.250 كلم. هذا الطريق الرئيسي يعبر البلدية من الشمال الى الجنوب والذي يسمح بربط ولاية غيليزان بمستغانم. الطريق الولائي رقم 08 (cw08) بطول 1 كلم و 300 م، يضمن هذا الطريق الربط

بين مازونة وجديوية وتجمع واريزان وينتهي الى الطريق الوطني رقم 90 ويسمح بتامين المواصلات للمنطقة المبعثرة (اولاد قدور، دوار القراينية...الخ) إلى المراكز الرئيسية، أما الطرق البلدية تمتلك البلدية 12 طريق بلدي، 70 % في حالة سيئة و 30%"[1]. هذه المزايا تضمن حركية متواصلة الى بلدية وادي ارهيو ولولاية غليزان، حيث تعبر الطريق الولائي رقم 08 المار على دوار أهل عابد آلاف السيارات في اليوم، وتعتبر خدمات النقل العمومي أكثر حجما مقارنة بعدد الزائرين لبلدية وادي ارهيو، سواء للعمل او الزيارة او قضاء الحاجيات الضرورية. كما أن حجم الخدمات التي أصبحت تتوفر عليها بلدية واريزان (المنطقة الرئيسية) قلصت من حجم النزوح الريفي إلى وادي ارهيو أو مناطق أخرى.

غير أننا نشهد نزوحا داخليا يزداد كل مرة من الدواوير إلى منطقة واريزان الرئيسية، يرجع السبب في ذلك إلى اتساعها العمراني الجديد، مقارنة بما تشهده الدواوير التي لا تزال تفتقر إلى العديد من الخدمات الثقافية و الصحية، وتأخرا كبيرا في إنجاز المشاريع العمرانية المسجلة مقارنة بالسرعة التي تعرفها نظيرتها بواريزان، فالملاحظ بهذه الأخيرة ازدياد حجم المشاريع العمرانية و عدد العمارات الجديدة المبنية بتصاميم حديثة وذات غرف واسعة. وبالرغم من مجهودات البلدية في تقليص هذا النزوح، إلا أن الظاهرة لا تزال مستمرة:

الجدول (3–22)السكن الحضري: البرنامج الخماسي 2009/2005

عدد السكنات	نوع السكن	الحصة	نسبة الاشغال
40 سكن	LSP	حصة 2005–2009	%100
82 سكن	LSP	حصة 2006	%100
78 سكن	LSP	حصة 2008	%100
80 سكن	LSP	حصة 2009	%30

المصدر: بلدية واريزان 2009.

الجدول (3–22) حصيلة برنامج السكنات قيد الانجاز او التي هي على شكل مشاريع 2012

المشاريع قيد الانجاز	برنامج على شكل مشاريع
80 سكن. 17 سكن ريفي لبرنامج 2008. 19 سكن ريفي لبرنامج 2009.	60 سكن ريفي OPGI مكمل للبرنامج 2008. 100 سكن اجتماعي.
116 مسكن	160 مسكن

الجدول (3–23) نسبة التقدم في انجاز برنامج السكن الريفي (2004–2009).

سنة التسجيل	عدد السكنات المسجلة	السكنات المستقبلة	قيد الانجاز (الحجم)	تم توقيفها	ماسُلّم للمستفدين
2004	–	–	–	–	–
2005	40	40	%100	0	–
2006	30	30	%100	0	–
2007	40	30	%25	0	–
2008	40	30	%25	3	–
2009	60	40	%60	1	–

المصدر: بلدية واريزان.

1 PDAU, Ouarizane, Op.cit. p 17.

لم يعد المسكن يعني مجرد مكان عائلي للتجمع، وإنما أصبح المكان العائلي يتخذ صبغة جمالية، وهذا ما تعرفه الأرياف الجزائرية من بناءات عمرانية وفيلات تشبه مثيلتها في المدن، ومن المشاهدات العيانية التي لاحظناها في بحثنا إختيار عدد من الأساتذة والموظفين الاداريين السكن في العمارات الجديدة بواريزان. وعليه فالنتيجة الرئيسية هي أن خطاب المسؤولين حول تقليص النزوح الريفي يسير بشكل متناقض مع الواقع، حيث لا تزال دواوير واريزان بنفس الحالة منذ ما يزيد عن عشرون سنة (شبكة طرقات داخلية مهترئة، عدم وجود مراكز ثقافية أو رياضية، انعدام وجود مراكز طبية وعيادات متعددة الخدمات، عدم وجود شرطة أو درك وطني في كل الدواوير رغم الرعب الذي عاشته سنوات مضت، تأخر في انجاز وتسليم السكنات الريفية الجديدة...)

رغم هذه المعطيات إلا أن فئة الفلاحين تشهد إستقرار واضحا، خصوصا بعدما أصبحت عوائد الزراعة أكبر من بعض القطاعات الاقتصادية الأخرى، عكس ما كان سائدا في الستينيات والسبعينيات والذي خصص لها بن أشنهو تحليلا مميّزا. لقد عادت الزراعة بقوة كنشاط اقتصادي مربح ويصنع الاستقرار، ساهم ذلك في توجه بعض أفراد المدن إلى هذا النشاط ومزاحمة الريفيين. كمثال على ذلك: وجود طبيب أسنان بوادي ارهيو استطاع الحصول على دعم فلاحي ويمتلك الآن مئات الهكتارات. إضافة إلى هذا الشرط الاقتصادي لارتباط الفلاح بالأرض، نجد لدى فئات مجتمعية أخرى شروطا رمزية تمنعهم من اختيارات العيش بالمدن: كاجتناب الخروج من العرش أو بني العم، الاحتفاظ بالهدوء الذي يوفره الريف، تفضيل السكن الريفي المفتوح والواسع على شقق العمارات الضيقة، الاعتياد على محيط العالم الريفي...

أما مدينة واي ارهيو فهي تعيش **ضغطا سكانيا**، سواء بفعل ما تركته حصيلة العشرية السوداء من توافد الريفيين إليها، أو بفضل الجمالية التي أصبحت عليها. كما يمكننا التأكيد على أن النزوح الريفي أصبح مرتبط بالوضعية المالية للنازح، ينضاف إليه شعور داخلي للخروج من الإقليم المقيد وسلطة الجماعة، إلى فضاء أوسع يتميز بالحرية، وغناه بالمعنى الاجتماعي وبفرص الحياة "الاستثنائية". وتشير المعطيات إلى مجهودات البلدية في وضع مخططات عمرانية جديدة قادرة على استيعاب هذا الكم، حيث "سجلت وادي ارهيو وبالأخص المنطقة الرئيسية تطورا ملحوظا في السكن خلال العشرية 2008/1998، حيث تعدى عدد السكنات من 9081 الى 11418. بزيادة 2337 مسكن، وبمعدل 334 مسكن سنويا بينما منطقة **المرجة سيدي عابد** الريفية فكانت نسبة الزيادة في السكنات محدودة قدرت ب 129 مسكن، بمعدل 12,9 سكن في السنة"[1]. وعليه فالنزوح الريفي وان كان يشار اليه كظاهرة طبيعية تخص المجتمع، فهي في الجانب الآخر نتاج لتفاوت التنمية بين المدينة والريف، مايجعل الجاذبية الاقتصادية المحور الأساسي في تحريك هذه الظاهرة، وبدل أن تقلصها الدولة فهي تساهم فيها، نورد مثالا لذلك: حيث وفي إطار برنامج رئيس الجمهورية حول **المحلات البلدية** فقد تم بناء محلات في دوَّار أهل عابد على شكل مركز تجاري مغلق مكون من طابقين، وهو لا يتطابق اطلاقا مع الجغرافيا التي انجز فيها، فلم يكن هناك اقبال عليه وهو مغلق منذ 2009، واضطر الشبان المستفدين منه إلى التوجه لوادي ارهيو لكراء محلات مناسبة. لكن رغم

1 PDAU O/R, Op.cit. p 16.

هذه النتائج بدأ النزوح يتقلص مع ارتفاع سعر العقار بوادي ارهيو إذ يصل الآن إلى 30000 دج للمتر المربع الواحد، بسبب افتقار البلدية لمساحات شاغرة أخرى.

تحيل الحركة بين الأمكنة إلى مفهوم الزمن، ونقصد به الزمن الحقيقي وليس المطلق أو المجرد. وحول موضوع أشكال تفاعل وتواصل أفراد الريف مع المدينة إستفسرنا عن حجم الوقت الذي يقضونه في المدينة، فكانت المعطيات كالآتي:

الجدول (3–24) اوقات الريفيين بالمدينة

كم الوقت الذي تقضيه بالمدينة؟	من1 الى 2 سا	من 3 الى 4 سا	فوق 4 سا
عدد التكرارات	37	31	44

إن كل المبحوثين يترددون يوميا على مدينة وادي ارهيو، ولو لساعة أو ساعتين، والأسباب هو مزاولة العمل، وقضاء الحاجيات اليومية، أما الفئة الأخيرة فإنها تقضي أكثر من أربع ساعات، أغلبهم من الإناث والبطالين، وتكون لأسباب تتعلق بالزيارات أو بالتبضّع، أو البحث عن العمل. وهناك فئة جامعية أو مثقفة علَّلت سبب الزيارات اليومية بالرغبة في الحصول على قدر من المعلومات تتعلق بحياتهم المهنية أو الشخصية، وهو ما يفتقده الريف المحدود بإداراته وسكانه. ما هو ملاحظ كسلوك اجتماعي أن المرأة الريفية أصبحت حرةً في التردد على المدينة سواء لوحدها أو مع الأصدقاء. وإن كان في السابق يمنع دخولها وقت المساء، فهي اليوم وبفضل حركة المواصلات حتى المساء تأتي متأخرة. والملاحظة الأخرى أن نظام العمل المأجور يسمح لها بامتلاك سلطة على نفسها، ويمكن التأكيد على أنها تنافس السلطة الداخلية العائلية. وعليه فالوضع الاقتصادي للنسوة يساهم في تحريرهن من إكراهات السلطة المجتمعية أو الأسرية وإنقاذا من الحياة المحلية الريفية، ربما تكون شكل الألبسة المؤشر على ذلك، فأصبحت الحياة أكثر انفتاحا، وأكثر مساواتية بين الجنسين، ومع كلا الوسطين.

من بين ما تفرضه الأماكن قضية "**الإنتماء**"، وركزت الجغرافيا الانسانية حول ارتباط الناس بأمكنتهم التاريخية، حيث توجد صلات عاطفية شعورية أو لاشعورية للأفراد مع أمكنتهم. وفي ميدان العلاقة مدينة–ريف تظهر في المجتمعات الجزائرية قضية الغريب والمنتمي أو **(ولد البلاد والبرّاني)** وهي تعني شكلا من أشكال العلاقة مع "**الآخر**" الوافد الذي يزاحم "الأصلي" الفضاءات العامة أو المزيا التي تمنحها المدينة، فانتقل هذا الشعور وبشكل سلبي إلى الادارات والممارسات السياسية، وأصبحت الجوارية **(ولد بلادي)** محددا رئيسيا في التوظيف أو التفاعل الاجتماعي، وأشرنا سابقا إلى أثرها في تشكيل المجالس البلدية. إذن فالأمر يتعلق في كيفية تفكير سكان وسط ما حول الآخرين من وسط آخر، وفي اتخاذ تصور مسبق عن مستوياتهم المعرفية وسلوكهم اليومي، (فأين تسكن؟) تحدد نوعا ما صيغة التواصل بين أهل الريف والمدينة، كما لا تزال الجهوية التي كرستها مخططات التنمية في السبعينيات والثمانينات تثقل المجتمع بسلبياتها ومظاهرها. وعن تدني نشاط السياسيين الإداري في وادي ارهيو فأغلب المبحوثين صرحوا بالجمل الآتية (وادي ارهيو البرّاني فيها يعيش) (البراويّة جزء من تدهور وادي ارهيو) هذه النزعة تشجع القادمين الجدد المستقرين لتاريخ طويل نسبيا الالتفاف والتضامن بنزعة قبلية أو جوارية. والملفت للنظر أن هذا الشعور يمتد حتى داخل

الريف نفسه، كما هو حاصل بين دوار أهل عابد ومنطقة واريزان الرئيسية، وتصورات نجاح بعض الريفيين هو مقدار العلاقات التي يقيموها مع أهل المدن.

3-2/ إهتمامات سياسية للوسط المحلي، الوطني، والعالمي.

لم تعد المجتمعات المعاصرة في عملياتها وحركتها الداخلية معزولة عن السياق العالمي، الأمر الذي يضع على المحك كل أطرها المرجعية وعناوينها الهوياتية وشعاراتها القومية. وأمام واقع مركب وملتبس بقدر ما هو متدفق ومتحرك تتقلص المسافات بين العالمي والمحلي، وتصبح العمليات في إتجاه واحد من الأول إلى الثاني، وبالتالي ففكرة المكان المحلي بدأت تتراجع، واستقلاليته السياسية والسيادية بدأت تتآكل "*حيث يوجد المرء كجسد مادي، وحتى لو اقام المرء في مكان واحد، فإن فكرة مكان(ه) أو مكان(ها) لابد أن تنهار، ذلك أن بواعث كل مكان ومعانيه وإمكانياته تتأثر بالعلاقات الاقليمية أو العالمية. فليست الأماكن مجرد مواضع على الأرض، بل هي أيضا سياسة، يضجُّ بعضها بسلطة أقوى لتقرر من ينتمي لها ومن لا ينتمي. فالأماكن مثار خلاف، وهي متشابكة، وغير يقينية، وتُشكلها على نحو جلي علاقات السلطة والنيات الإنسانية*"[1].

تخلق العولمة فضاءا كوكبيا موحدا، وتساعد على تشجيع الأقلمة الكلية الموسعة (الماكرو) على حساب الأقلمة الجزئية (الميكرو) ، وإن كانت تكتسح الثقافات والهويات لصالح نموذج واحد، فالبعض يري أنها "*تستطيع أن تعني تعزيز النزعة المحلية أو مواكبتها، كما في شعار " **فكر كوكبيا، وتصرَّف محليا**" وهذا النوع المترادف من المحلي/ الكوكبي... وباتت أنماط الهوية أكثر تعقيدا، مع نزوع الناس إلى تأكيد الولاءات المحلية وإن ظلُّوا راغبين في تقاسم القيم وأساليب الحياة الكوكبية، فالخصوصية كما يلاحظ روبرتسون ما هي إلا قيمة كوكبية، وليس ما هو جار على قدم وساق إلا " إضفاء للصفة الكونية على النزعة الخصوصية" أو " تقويما كوكبيا لهويات خاصة*" "[2].

من أجل معرفة اهتمامات الناس للسياسة على المستوى المحلي أو الوطني أو الدولي، تضمنت إستمارة الإستبيان سؤالا حول نوعية هذا الإهتمام، والجدول يبين هذه الإهتمامات، مع الإشارة إلى أن بعض المستويات تكررت في أكثر من إستبيان، كالاهتمام بكل المستويات مثلا، أو بالوطني والدولي فقط، فلدى حساب المجموع تظهر زيادة في العدد الاجمالي للاستمارات.

الجدول (3-25) مستويات الاهتمام بالشأن السياسي.

الفكرة	المنطقة	التكرار (محلي)	التكرار (وطني)	التكرار (عالمي)	اهتم به حسب الاحداث	لا اهتم اطلاقا
ما نوع الشان السياسي الذي تهتم به؟	واريزان	32	30	39	25	33
	وادي ارهيو	11	21	19	51	42

1 طوني بينيت (وآخرون)، المرجع نفسه، ص 652.
2 فرانك جي، لتشنر وجون بولي، **العولمة، الطوفان أم الانقاذ: الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية** (مركز درسات الوحدة العربية والمنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، مارس 2004) ص 190.

الملاحظ وجود نسبة مرتفعة في كلا الوسطين لا تعير الشأن السياسي إهتماما، وهو ليس جزءا من بينتها الفكرية الثقافية، تتكون النسبة بالخصوص من العنصر النسوي الأكبر سنا، والجامعيات وبعض الفلاحين، وهناك فئة أخرى تهتم **بالحدث السياسي**، وهو مرتبط إما بالمستوى المحلي أو الوطني أو الدولي، فالسياسة ليست لدى هؤلاء موضوعا للتداول والنقاش اليومي، بل هي حالة عرضية يمكنها أن تستمر أياما، كما لا يمكنها ذلك. يساهم الإعلام ووسائل الإتصال الأخرى بصفة رئيسية في خلق هذه التداول للأحداث التي تتجاوز جغرافيتها المحلية و الوطنية و الدولية، أما حول من يهتمون **بالشأن العالمي؟** فنلاحظ ارتفاع النسبة بواريزان مقارنة بوادي ارهيو، وهي نسبة مكوّنة بالخصوص من الجامعيين والتجار والإداريين وبعض الفلاحين، والسبب يكمن في مشاهدة هؤلاء للقنوات الإخبارية العالمية بكثرة، وإهتمامهم بالشأن العربي، خصوصا أن فترة ملء الاستمارات تزامنت مع أحداث الربيع العربي، وما لاحظناه هو أن المقاهي أصبحت مكانا للنقاش السياسي، وأصبحت بها شاشات تبث الأخبار السياسية والرياضية طوال اليوم، ويساعد الوسط المحلي المحافظ على إجتناب بث قنوات الأغاني أو الأفلام. وتكاد تكون النسبة متقاربة بين الوسطين فيما يخص تتبع **الشأن الوطني**، وتعتبر الجرائد الأداة الأساسية لخلق هذه الثقافة. إن تمثلات مستوى أداء الحكومة وتنفيذ السياسة العامة مرتبط بالأساس حول التوجه الذي تفرضه الجرائد على القارئ، سواء بالسلب أو بالإيجاب، وهذا ما يعبر عنه **بالثقافة الجماهيرية** التي تصنعها الميديا والوسائط. أما الاهتمام بالشان المحلي فيتباين بين الوسطين، وهو ضعيف بوادي ارهيو، وهذا الضعف بالاهتمام بالسياسات المحلية مرده ما تطرقنا إليه في مباحث سابقة حول تدني الممارسات السياسية بفعل محترفيها، وما آلت إليه صراعات ومصالح الاشخاص. وبخصوص واريزان فإن المقابلات أكدت أن الاهتمام بما يطرأ على البلدية تحركه دوافع أهمها: العلاقات الشخصية لجنود الادارة والبلدية مع الأوساط الشخصية، استفسارات عن الوظائف وتقسيم السكنات والإعانات....

لا يتعلق الأمر فقط بامتلاك تصورات سياسية عن الوضع العالمي، وإنما تساهم في خلقه مجموع السلع والمواد الاستهلاكية التي تصل حتى إلى القرى النائية، والتي تترك أثرا على الهوية والسلوك، كما أن وجود عدد كبير من الصينيين الذين يعملون في وادي ارهيو وواريزان صنع إهتماما ملحوظا بما يذاع أو يكتب عن الصين، وشكلت إحدى المظاهرات للعمال بواريزان سمة إلتقاء المحلي بالعالمي، التي ساهم الوطني في خلقها.

خاتمــــــــــــــــــــــة.

أصبح التغير السياسي يرتبط في الأساس بالإرادة الفعلية التي تمتلكها السلطة، كما أنه أمر لا يتأتَّى إلا عن طريق الحركات المجتمعية الفاعلة، وهذا الإلتقاء بين هذين الفاعِليْن لا يضمنه إلا وسط من الجو الديموقراطي الذي يتيح للذوات الفاعلة الإنخراط في تطوير أوضاعها الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، على المستوى الوطني كما على المستوى المحلي.

ولو أن الجزائر نجحت في الإنتقال إلى صيغة التعددية الحزبية، وإنتهاج النظام الديموقراطي، لكن لا تزال تعرف أوضاعا متأزمة في طريقة إدارة الشأن السياسي العام. فرض ذلك منطق **الديموقراطية المركزية،** وتهميش المجتمع المدني... وتمثّل الدراسة الميدانية للمجتمع المحلي إحدى أهم الطرق للتعرف عن كثب على نقاط الضعف التي تكمن في الخطابات السياسية الوطنية، وتُبرز حجم التباين بين متطلبات النظام الديموقراطي وممارسات المترشحين وسلوك الناخبين. يضاف إلى هذا المعطى الخلط الحاصل بين "قانونين" يعملان جنبا إلى جنب على الأرض، قانون تقليدي يُحكِّم صيغ **القبلية** و"الشخصنة"، وقانون حداثي يركز على دور المؤسسات والأجهزة في تأطير الأنشطة المجتمعية. وحتى في ظل المؤسسات فهناك عدم إنصياع القوى السياسية الفاعلة لطلبات الجماهير الواسعة، والتي لم تعمل إلا على زيادة سلطتها ومصالحها الخاصة. ويخلق هذا الوضع الفساد السياسي. هو كما وصفه تورين "*أخطر أنواع الفساد على الديموقراطية والذي يمكِّن الأحزاب السياسية من مراكمة موارد هائلة ومستقلة عن المشاركة الارادية لأعضائها بحيث يصبح في وسع هؤلاء الأحزاب، من جراء ذلك، أن تختار مرشيحا للانتخابات وتؤمن نجاح عدد منهم، ضاربة بعرض الحائط مبدأ اختيار الحاكمين بحرية أمام المحكومين*".

هذا المأزق في "**الصفة التمثيلية**" يضع هوة واسعة بين المجتمع والدولة، ويؤثر على **التنمية المحلية،** وعلى قيم **العدالة التوزيعية** ، لعل العالم الريفي الأكثر تعبيرا عنها والذي لا يزال في تركيبته وملامحه هامشيا وبعيدا عن إستراتيجيات السلطة الوطنية في تحقيق التنمية، والتنمية في جوهرها عملية تشاركية وديموقراطية، فارتبط نجاح الديموقراطية بالتنمية المحلية ومجموع الموارد التي يمكنها أن توفرها للمواطنين وتعزز لديهم صفة "**المواطنة**". وتستطيع إيجاد عوامل " الجذب" للقطاعات الإنتاجية لهذا العالم على رأسه القطاع الفلاحي.

إن هذه الدراسة وعلى طول ثلاثة فصول، إمتلكت تصورا بسيطا لمختلف النتائج المحصَّل عليها من الدراسة الميدانية. وهو أن **التغيّـــــــــــر** السياسي بين الوسطين الريفي والحضري يظل مرتبطا بآثار الماكرو–سياسي على سلوك الأفراد والناخبين والمنتجين....ولم تستطع الديموقراطية على الطريقة الجزائرية أن تحقق لها **التغييـــــــــــر** (بتدخل فاعل) السياسي الذي تنشده، بل أوجدت قنوات للفساد الانتخابي

و خلقت نظاما من الحزبوقراطية يظهر في كل موعد انتخابي. والنتيجة الثانية هو عدم وجود تحفيزات مادية للذوات الفاعلة التي تمكنها من الدفاع عن هذا التغيير، فتكرَّس لدى الممتنعين شعور سلبي من جدواه بسبب خدمات الدولة الريعية الغنية باحتياطها والفقيرة في عدالتها التوزيعية.

إذا كانت الديموقراطية أو التغيير السياسي يرتبط بتطوير المزايا المادية للمواطنين، فهل يعني هذا أن الدراسة سقطت في "مادويَّة" matérialisme بشأن إمتلاك هؤلاء للثقافة الديموقراطية؟ إنه سؤال يحتاج إلى فهم عميق لأزمة الدولة الجزائرية الريعية مع الديموقراطية، ومحدوية وظيفتها في تقوية المجتمع المدني وإنبثاقه، وفي تنمية الأوساط المحلية وتفعيلها، وهو عمل يتخطى قدرات هذا البحث، لكنه يشكِّل تطلعا لمشاريع بحثية لاحقة.

ملحق رقم 01- فهرس الجـــــــداول والأشـــــكال والصـــــوَر.

الفصـــــــــــــــل الأول:

الشكل (1–1): مبدأ التفاعلية المعممة.....16
الجدول (1– 1): تحليل البرنامج: أربع أنماط لنظرية التغير الاجتماعي 21
الجدول (1–2) اولوية السياسة في عملية التغير السياسي 33

الفصـــــــــــــــل الثاني:

الجدول (2–1) : تونيز (1955) مصطلحا الجماعة والمجتمع.....38
شكل (2–2): عدد الاطروحات حسب التخصصات.....51
الجدول (2– 3) الفرق بين المقاربة الثقافية والمقاربة البنائية.....73
الجدول (2–4) تصنيف المناطق الحضرية في الجزائر..... 75
جدول (2–5) المعارك الاساسية بولاية غليزان.....87
الصورة (2 –1) موقع ولاية غليزان.....87
الصورة (2– 2) صورة لوادي ارهيو من غوغل ايرث .Google Earth 88
الجدول (2–6) الفارق بين المسلمين وغير المسلمين بعين كرمان من 1936–1960.....90
جدول (2–7) عدد شهداء وادي ارهيو من 1954 الى 1962 91
الصورة (2–3) مشهد لطعم سيدي عابد ابان الاحتلال الفرنسي.....91
الجدول (2–8) تطور عدد السكان بمدينة وادي ارهيو (1987–2008).....92
الصورة (2–4) صورة فوتوغرافية لبلدية واريـزان (المنطقة الرئيسية).....94
الجدول (2–9) عدد الشهداء ببلديأة واريزان 1962/1954.....96
الجدول (2–10) تطور عدد السكان في بلدية واريـزان من 1977 إلى غاية 2010..... ..96
الصورة (2–5) التوزيع العمراني لبلدية واريزان.....97
الخريطة (2–6) دوَّار أهـل عابد 98

الفصل الثالث

الجدول (3–1) أسئلة البحث واستراتجيات البرهنة.....101
الجدول (3 –2) توزيع الفئات العمرية بين وسط ريفي ووسط حضري..... 102
الجدول (3–3) تمثلات "السياسة" والممارسة السياسية.....103
الجدول (3–4) العلاقة بين الثقافة السياسية وممارسة المهنة السيـاسيـة.....104
الجدول (3–5) عدد المصوتين في التشريعيات والمحليات بين واريزان ووادي ارهيو (المديرية الولائية)..108
الجدول (3–6) عدد المصوتين في التشريعيات والمحليات بين واريزان ووادي ارهيو (محاضر الاحصاء البلدي+ وثائق رسمية من الـدائرة).....108
الجدول (3–7) عدد المصوتين في الانتخابات الرئاسية بين واريزان ووادي ارهيو..... 108
الجدول (3– 8) الفئات المصوّتة في بلـدية وادي ارهيـو.....111
الجدول (3–9) الفئات المصوّتة في بلدية واريـزان..... 112

الجدول (3– 10) أعضاء المجلس البلدي بواريزان من 1967 الى 2012.....114
الجدول (3–11) أعضاء المجلس البلدي بوادي ارهيو من 1967 الى 2012..... ...116
الجدول (3– 12)المعايير التي يتم على اساها انتخاب الحزب.....120
الجدول (3–13) نتائج الانتخابات التشريعية والمحلية بوادي ارهيو (2002–2007).....122
الجدول (3–14) توزيع الاراضي الزراعية للبلـــدية.....123
الجدول (3–14)توزيع المستثمرات لبلـدية واريزان.....123
الجدول (3–15) تمثلات السياسة لدى الفلاحين.....124
الجدول (3–16) اوقات الفلاحين بالمـدينة.....125
الجدول (3–16) البرنامج الوطني للتنمية الزراعيــة.....125
الجدول (3–17) برنامج الرفيـق RFIG.....125
الجدول (3–18) حصة بلدية واريزان مـن برنامج PNDA لغاية 2011.....125
الجدول (3–19) تعريف الدولة لـدى الفلاحين.....126
الجدول(3–20) توزيع مرات الانتخاب حسب الفئـة العمـرية.....126
الجدول (3–21) تفاعل الفلاح مــع الـدولة.....127
الجدول (3–22)السكن الحضري: البرنامـــج الخماسي 2009/2005.....129
الجدول (3–22) حصيلة برنامج السكنات قيـد الانجاز أو التي هي عـلى شكل مشاريع 2012.....129
الجدول (3–23) نسبة التقدم في انجاز برنامج السكـن الريفي (2004–2009).....131
الجدول (3–24) اوقات الريفيين بالمـــــدينة.....132

الملحـــــــــق رقم (02)

استمارة الاستبيان

الجمهـــــــــــورية الجزائـــــــــرية الديمقراطيـــــة الشعبيـة
وزارة التعليـــــــــــو العـــــــالي والبحث العلمـــــــي
جامعـــــــة وهـــــــــــران-كليـــة الحقوق-
قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية.

استمارة رقم: .....

استمارة البحث حول موضوع:

التغير السياسي بين الوسط الريفي والوسط الحضَـــــــــري

– دراسة ميدانية بولاية غليـــــزان –

نرجوا منكم ملء هذه الاستمارة ، لان إجابتكم الموضوعية تساعدنا في تحديد طبيعة النشاط السياسي بين القرية والمدينة .

ملاحظة : تبقى البيانات سرية، وهي تستعمل لغرض شخصي يخص الباحث لإعداد مذكرة التخرج في العلوم السياسية .

الطالب : جلة اسماعيل (وادي ارهيو)

الفرع الأول : بيانات شخصية.

1) الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

2) السن: .....

3)الإقامة: .....

4) الحالة المدنية : متزوج ☐ أعزب ☐ أرمل ☐ مطلق ☐

5) نوع المسكن : شقة (عمارة) ☐ سكن العائلة ☐ سكن شخصي ☐ سكن ريفي (دعم الدولة) ☐

6) الوظيفة: .....

الفرع الثاني: بيانات متعلقة بالوضع الثقافي

السؤال 01 : ما هو مستواك الثقافي؟ : ضعيف ☐ لا باس به ☐ جيد ☐

السؤال 02: ما هي شهادتك العلمية؟ : .....

السؤال 03: ماذا تعني لك كلمة "**السياسة**" (البوليتيك – Boulitique) ؟:

عمل خطير، قذر، نفاق ☐ لها أهلها(حرفيوها) ☐ تناقض الشرع والقيم ☐

دبلوماسية ودهاء ☐ أخرى: – اذكرها: .....

السؤال 04: هل تهتم بالشأن السياسي ؟ : لا ☐

نعم ☐ ما نوعه ؟ : – محلي ☐

– وطني ☐

– دولي ☐

– تهتم به حسب الأحداث ☐

السؤال 05: كيف تقيم النشاط السياسي في بلديتك ؟ :

– ضعيف (غير مقبول) ☐

– مقبول حسب إمكانيات البلدية والسياسيين ☐

– جيد ☐

– مجرد صراعات ومصالح أشخاص ☐

– أخرى.....

السؤال 06 : هل التمثيل السياسي في بلديتك يتم على أساس : – قبلي (بني عمي) ☐

– ديموقراطي ☐

– تحالفات بين الممثلين ☐

– أخرى .....

السؤال 07: ماذا تعني لك كلمة – ***الدولة*** –؟: – الحكومة ☐

– المباني والمؤسسات الحكومية ☐

– الوطن (الجزاير) ☐

– أخرى .....

السؤال 08: كيف تنظر الى سياسة الدولة ؟ – لا تستجيب لتطلعاتك ومشاريعك ☐

– تعمل وفق إمكانياتها. ☐

– مصالح أصحاب المال والسياسة
– غير ديمقراطية تخضع للحزب الواحد ☐
– خاضعة للخارج ☐
– أخرى:.....

السؤال 09: كيف تقيم تعاطي الناس للسياسة في بلديتك ؟ – ضعيف ☐ حسن ☐

ما هي الأسباب حسب رأيك؟ .....

.....

الفرع الثالث : بيانات متعلقة بالممارسة السياسية

السؤال 01: هل تمارس/مارست نشاط سياسي ؟

– لا يهمني وليس لي مصلحة ☐
لا ☐ لماذا؟ – موقف ديني، أخلاقي ☐
– موقف عائلي أو اجتماعي ☐
– أخرى.....

نعم ☐ أين ؟ – نقابة ☐
– حزب ☐
– تعبئة وقت حدث معين ☐

السؤال 02: هل تمارس/مارست النشاط الجمعوى أو النقابي ؟ لا ☐
نعم ☐ حدده: – نقابة ☐
– نادي ☐
– جمعية عمومية ☐

السؤال 03: هل انتخبت ؟ – نعم ☐ كم مرة ☐ ← رئاسيات ☐
← المجلس البلدي أو الولائي ☐
← استفتاء وطني ☐

لماذا ؟.....

لا ☐ لماذا؟.....

السؤال 04: هل تنتخب عائلتك ؟ لا ☐
نعم ☐ حدد من : – الأب ☐
– الأم ☐
– الزوجة ☐
– الإخوة ☐

السؤال 05: هل تربطك علاقة أو مصالح بمن تنتخبهم داخل بلديتك ؟ لا ☐
نعم ☐ ما نوع هذه العلاقة – بني عم ☐
– صداقة ☐
– مصالح (تجارة، خدمات...) ☐

– أخرى.....

السؤال 06:هل التصويت للأحزاب يتم في رأيك على حسب: – برنامج الحزب ☐

– قائمة الممثلين ☐

– نشاط الحزب داخل البلدية ☐

– متعلق بمكانة الحزب الوطنية ☐

الفرع الرابع : بيانات حول العلاقة قرية / مدينة

السؤال 01: هل غيرت مكان إقامتك من القرية إلى المدينة ؟ لا ☐

نعم ☐ لماذا؟ .....

السؤال 02: هل غيرت مكان الإقامة من المدينة إلى القرية ؟ لا ☐

نعم ☐ لماذا؟.....

السؤال 03: كم الوقت الذي تقضيه في المدينة ؟ بالساعات :.....سا

هل هو؟ : وقت فراغ ☐ وقت عمل ☐ كلاهما ☐

أخرى :.....

السؤال 04: ما المزايا التي توجد بالمدينة وتفضلها على القرية؟ مؤسسات ☐ عمل ☐ شكل المدينة ☐

أخرى :.....

(خاص) **الفرع الخامس: الفلاحة والفلاحون .**

السؤال 01: هل استولى الاستعمار الفرنسي على ارض العائلة(الآباء أو الأجداد) ؟ لا ☐ نعم ☐

السؤال 02: هل انتزعت منكم قطعة ارض ذات ملكية خاصة في مرحلة الثورة الزراعية (1971)؟ لا ☐ نعم ☐

هل استرجعت الأرض التي تم انتزاعها خلال الثورة الزراعية (ملكية أصلية) لا ☐ نعم ☐

السؤال 03: هل استفدت أو استفاد الأب من قطعة ارض في مرحلة الثورة الزراعية : لا ☐ نعم ☐

هل تم تعويضكم بعد انتزاع الأرض؟ لا ☐ نعم ☐

السؤال 04: هل تلقيت/ تتلقى دعم فلاحي : لا ☐

نعم ☐ ما نوعه : .....

السؤال 05: كيف تنظر إلى الضرائب المفروضة على الفلاح؟ ضعيفة ☐ مناسبة ☐ مرتفعة ☐

السؤال 06: كيف تعتبر الخدمات الفلاحية (كهرباء، ماء، عتاد فلاحي، مازوت...) غير كافية ☐ كافية ☐

السؤال 07: هل تتردد على البنك (إيداع حساب، اقتراض)؟ نعم ☐ لا ☐

السؤال 08: ماهي الصعوبات التي تعاني منها في مهنتك؟ رأس المال ☐ نوعية الأرض ☐ القانون الزراعي ☐

الخدمات(ماء، كهرباء ، مازوت..) ☐ نقص التقنية أو ارتفاع أسعارها (أسمدة، عتاد فلاحي) ☐

السؤال التاسع: هل تمارس أعمالا أخرى إلى جانب الزراعة: لا ☐ نعم ☐

الملحـــــــــق رقم (03)

أعلام وأماكن بعين كرمان .

ضريح حميدة العبد يبعد عن سيدي بوعبدالله بحوالي 600 متر. وهو مهترئ ولا يلاقي عناية، عثرنا على حرف العين فقط كما هو مبين اعلاه.

لا يزال الزوار يتوافدون الى سيدي بوعبد الله من مختلف الولايات (صورة 2012)

الضريح الأصلي الأول لسيدي بوعبدالله، غير أن زوارا مبتدعين حولوه إلى طقوس للتبرك وطلب قضاء حاجات معينة (الزواج نزع السحر، العين.....)

ضريح عائلة تيريون Terrion

ضريح عائلة بليسون Blesson

تعاونية الحبوب التي أسسها تيريون، وهي لا تزال تشتغل بنفس الصفة .

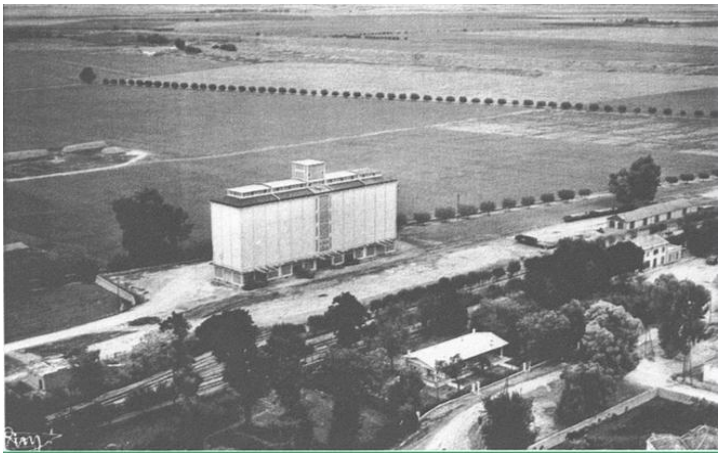

الملحـــــــــق رقم(04)

فرقة نسوية تحسيسية واستقصائية حول إمتناعية العنصر النسوي بوادي ارهيو.

الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

ولاية غليزان

دائرة وادي رهيو

بلدية وادي رهيو

الرقم : 2002/ 247

وادي رهيـــو في : 15 سبتمبر 2002

السيد : رئيس المجلس الشعبي البلدي لبلدية وادي رهيو

إلـــــى /

السيد : رئيـــس دائـــــرة وادي رهيـــــو

الموضـوع : تقرير حول الإعلام المدني .

لقـد تـم تشكيل ثمان (08) فرق نسويـة تتكـون مـن أعـوان الأمـن الوطنـي و الحمايـة المدنيـة و أعـوان الصحـة العموميـة و الإدارة المحليـة لمباشـرة الأيـام التحسيسيـة الخاصـة بالإنتخابـات و هـذا لمـدة شـهر (01) كـامل إبتـداءا من 2002/08/15 إلى غايـة 2002/09/15.

و قـد جـرت هـذه العمليـة فـي ظـروف حسنـة و تـم التكفـل بـأعوان الأمـن الوطنـي من حيـث الإطعـام و النقـل.

و تم زيـارة 6613 منـزلا و مـلأ 6021 إستمـارة لستـة (06) مراكـز إنتخابيـة كعينـات مختـارة من بين المراكـز الإنتخابيـة التي كـانت فيهـا نسبـة الإمتناع كبيـرة بالنسبة للعنصر النسـوي .

رئيس المجلس الشعبي البلدي

المكلف بتسيير شؤون البلدية

حـــوابي العزازي

الملحـــــــــــق رقم(05)

نتائج انتخابات المجلس الشعبي الولائي 2007 بوادي ارهيو (فوز الافلان وحمس والاصلاح

Ministère de l'Intérieur et des Collectivités Locales
Wilaya : RELIZANE
Commune : OUED-RHIOU

Date Edition : 29/11/2007
Heure Edition : 23:42:38
Page : 1

Elections du 29 Novembre 2007 (APW)

Synthèse des Résultats (Résultats Préliminaires)

FAX : 4802 OUED-RHIOU

Bureaux Dépouillées :	64 sur 64		
Inscrits :	32 867		
Votants :	14 070	Taux :	42.81 %
Exprimes :	12 571	Taux :	89.35 %
Contestés :			
Bulletins Nuls :	1 499		
Abstention :	18 797	Taux :	57.19 %

Listes		Voix
101	FRONT DE LIBERATION NATIONALE	3 808
120	PARTI DES TRAVAILLEURS	945
142	HARRAKET MOUDJTEMA ESSILM	2 093
163	RASSEMBLEMENT NATIONAL DEMOCRATIQUE	1 017
165	MOUVEMENT ISLAH	3 452
166	FRONT NATIONAL ALGERIEN	1 256

عدد المصوّتين في انتخابات المجلس الشعبي الولائي بوادي ارهيو اثناء غلق المكاتب.

Ministère de l'Intérieur et des Collectivités Locales
Wilaya : RELIZANE
Commune : OUED-RHIOU

Date Edition : 29/11/2007
Heure Edition : 19:37:49
Page : 1

Elections du 29 Novembre 2007 (APW)

Centre de Vote	Inscrits	Vacation de 10 Heures		Vacation de 14 Heures		Vacation de 17 Heures		Cloture	
		Votants	%	Votants	%	Votants	%	Votants	%
01 ECOLE HATATBA	408	16	3.92 %	74	18.14 %	106	25.98 %	118	28.92 %
02 ECOLE CHEHIRA BOUABDELLAH	2 018	117	5.80 %	404	20.02 %	744	36.87 %	836	41.43 %
03 ECOLE CHOUHADA	1 030	25	2.43 %	286	27.77 %	420	40.78 %	459	44.56 %
04 ECOLE KHOUDEM	755	45	5.96 %	167	22.12 %	321	42.52 %	335	44.37 %
05 ECOLE ZENAINIA	1 420	142	10.00 %	341	24.01 %	565	39.79 %	654	46.06 %
06 ECOLE RETAIMIA	910	37	4.07 %	180	19.78 %	314	34.51 %	363	39.89 %
07 ECOLE KHARMACHA 01	2 454	103	4.20 %	650	26.49 %	958	39.04 %	1 167	47.56 %
08 ECOLE KHARMACHA 2	2 072	26	1.25 %	277	13.37 %	624	30.12 %	709	34.22 %
09 ECOLE CHARA	3 457	181	5.24 %	717	20.74 %	1 061	30.69 %	1 566	45.30 %
10 ECOLE HAKIM LOKMANE	3 812	55	1.44 %	652	17.10 %	1 295	33.97 %	1 457	38.22 %
12 ECOLE TAHAR BOUKHATEM	2 444	47	1.92 %	402	16.45 %	729	29.83 %	953	38.99 %
13 C.E.M EMIR ABDELKADER	2 062	104	5.04 %	550	26.67 %	819	39.72 %	954	46.27 %
14 ECOLE IBN KHALDOUN	2 007	58	2.89 %	298	14.85 %	639	31.84 %	763	38.02 %
16 ECOLE ADDA TIRES	2 672	145	5.43 %	407	15.23 %	862	32.26 %	1 026	38.40 %
17 ECOLE ALI BENACEUR	2 053	86	4.19 %	326	15.88 %	688	33.51 %	780	37.99 %
18 C.E.M IBN-BADIS(EX CHARA)	1 727	78	4.52 %	435	25.19 %	673	38.97 %	819	47.42 %
19 EC 17 OCTOBRE	1 566	95	6.07 %	321	20.50 %	582	37.16 %	667	42.59 %
TOTAL :	**32 867**	**1 360**	**4.14 %**	**6 487**	**19.74 %**	**11 400**	**34.69 %**	**13 626**	**41.46 %**

نتائج انتخابات المجلس الشعبي البلدي بوادي ارهيو 2007

Ministère de l'Intérieur et des Collectivités Locales
Wilaya : RELIZANE
Commune : OUED-RHIOU

Date Edition : 12/12/2007
Heure Edition : 15:46:40
Page : 1

Elections du 29 Novembre 2007 (APC)

Feuille de calcul et Répartition des Sièges

Commune : **OUED-RHIOU**
Nombre de sièges : 15
Exprimés : 12827
Total des voix des listes rejetées (- 7 %) : 1815
Quotient Electoral : 734

Listes ayant obtenu moins de 7% des voix

Liste		Voix	Taux
104	RASSEMBLEMENT POUR LA CULTURE ET LA DEMOCRA	260	2.03 %
120	PARTI DES TRAVAILLEURS	510	3.98 %
163	RASSEMBLEMENT NATIONAL DEMOCRATIQUE	397	3.10 %
166	FRONT NATIONAL ALGERIEN	648	5.05 %

Listes ayant obtenu 7% des voix et plus

Liste	Voix	S.Q	Reste	S.R	Total
101 FRONT DE LIBERATION NATIONALE	3747	05	77	00	05
142 HARRAKET MOUDJTEMA ESSILM	1383	01	649	01	02
164 MOUVEMENT NATIONAL D'ESPERANCE	2214	03	12	00	03
165 MOUVEMENT ISLAH	3668	04	732	01	05

ملحـــــــق رقم (06)

عدد الاحزاب المشاركة في تشريعات 2012 على مستوى ولاية غليزان (41 حزب = بازار سياسي)

ترتيب الأحزاب حسب القرعة

01	الحزب الوطني الحر
02	الحزب الجمهوري التقدمي
03	حركة الشبيبة و الديمقراطية
04	الحزب الوطني الجزائري
05	حزب العدل و البيان
06	حركة الإنفتاح
07	حزب الفجر الجديد
08	جبهة الجزائر الجديدة
09	حزب جبهة التحرير الوطني
10	حركة المواطنين الأحرار
11	جبهة التغيير
12	التجمع الوطني الجمهوري
13	حزب الشباب
14	حزب العمال
15	جبهة العدالة و التنمية
16	الحزب الوطني للتضامن و التنمية
17	حركة الوفاق الوطني
18	حزب الشباب الديمقراطي
19	التجمع الوطني الديمقراطي
20	الحركة الوطنية للأمل
21	جبهة القوى الاشتراكية
22	القائمة الحرة
23	حزب جيل جديد
24	جبهة المستقبل
25	التحالف الوطني الجمهوري
26	حزب التجديد الجزائري
27	إتحاد القوى الديمقراطية و الاجتماعية
28	حزب التجمع الجزائري
29	الحركة الشعبية الجزائرية
30	جبهة الحكم الراشد
31	الجبهة الوطنية للعدالة الاجتماعية
32	حركة الوطنيين الأحرار
33	الجبهة الوطنية للأحرار من أجل الوئام
34	الجزائر الخضراء
35	حزب الحرية و العدالة
36	الجبهة الوطنية الديمقراطية
37	الحركة الوطنية من أجل الطبيعة و النمو
38	حزب عهد 54
39	الجبهة الوطنية للحريات
40	حزب الكرامة
41	الجبهة الوطنية الجزائرية

15 رقم وطني

المـــــــــــــــرَاجع

1- العربيَّـــــــــــة

كتب:

1. ابن الأحمر. **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان.** تقديم وتحقيق: هاني سلامة. مصر: مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع. ط، 2001.
2. ابن خلدون، ابو زيد عبد الرحمان بن محمد. **المقدمة.** لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر، 2004.
3. ـــــ **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.** الجزء 3. لبنان: دار الكتاب اللبناني، الطبعة 1981.
4. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. **لسان العرب،** لبنان، دار صادر، المجلد الخامس، بدون سنة نشر.
5. أركون، محمد. **الأصولية واستحالة التأصيل، من أجل تاريخ آخر للفكر الإسلامي،** ترجمة، هاشم صالح لبنان: دار الساقي، الطبعة الثانية 2002.
6. بارينتجون، مور. **الأصول الاجتماعية للدكتاتورية والديمقراطية: اللورد والفلاح في صنع العالم الحديث،** ترجمة، احمد محمود. لبنان: المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، جويلية 2008.
7. بالانديه، جورج. **الأنثربولوجيا السياسية.** لبنان: مركز الدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2007.
8. برو، فيليب. **علم الإجتماع السياسي،** ترجمة، محمد عرب صاصيلا. لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2006.
9. بودون، ريمون. **أبحاث في النظرية العامة في العقلانية، العمل الاجتماعي والحس المشترك،** ترجمة جورج سليمان. لبنان: المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 2010.
10. بوطالب، محمد نجيب. **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي.** لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 2002.
11. بوعزيز، يحي. **الموجز في تاريخ الجزائر،** الجزء 1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة 1999.
12. ـــــ **مدينة وهران عبر التاريخ.** وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، الطبعة 2002.
13. بولانتزاس، نيكولاس. **نظرية الدولة،** ترجمة: ميشيل كيلو. لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة 2007.
14. بورديو، بيير وباسرون، جون كلود. **إعادة الإنتاج: في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم.** ترجمة ماهر تريمش (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، نوفمبر 2007.
15. تورين، آلان. **ما هي الديموقراطية: حكم الأكثرية أم ضمانات الأقليّة،** ترجمة حسن قبيسي. لبنان: دار الساقي، الطبعة الثانية 2001.

16. توملينسون، جون. **الثقافة والعولمة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان**. ترجمة، ايهاب عبد الرحيم محمد. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 354، طبعة 2008.
17. جورج لابيكا، **روبسبيير: سياسة للفلسفة**. ترجمة: منصور القاضي (لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، دار مجد، الطبعة الأولى 1994.
18. الجوهري، محمد (وآخرون)، **علم الاجتماع الريفي**. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2009.
19. جي، فرانك، ولتشنر بولي، جون. **العولمة، الطوفان أم الإنقاذ: الجوانب الثقافية والسياسية والإقتصادية** لبنان: مركز دارسات الوحدة العربية والمنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، مارس 2004.
20. جيدنز، أنتوني. **علم الاجتماع**، ترجمة فايز الصياغ (للطبعة الاصلية الرابعة). لبنان: المنظمة العربية للترجمة ومؤسسة ترجمان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، أكتوبر 2005.
21. حافظ، عبد الرحيم. **الزبونية السياسية في المجتمع العربي: قراءة إجتماعية–سياسية لتجربة البناء الوطني في تونس**. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 2006.
22. حرب، علي. **أزمنة الحداثة الفائقة: الإصلاح –الإرهاب –الشراكة**. لبنان: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 2005.
23. ـــــــ **تواطؤ الأضداد: الآلهة الجدد وخراب العالم**. الجزائر العاصمة: منشورات الإختلاف، الطبعة الأولى 2008.
24. حمودي، عبد الله. **الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة**، ترجمة: عبد المجيد جحفة. المغرب: دار توبقال للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2000.
25. الزبيري، الطاهر. **نصف قرن من الكفاح، مذكرات قائد أركان جزائري**. الجزائر: الشروق للإعلام و النشر، الطبعة الأولى 2011.
26. سعد الله، ابو القاسم. **تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني(1500–1830)**. لبنان: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1998.
27. ـــــــ **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء 4. لبنان: دار الغرب الاسلامي، الطبعة الأولى 1998.
28. سكوت، جون. **علم الإجتماع: المفاهيم الأساسية**، ترجمة، محمد عثمان. لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى 2009.
29. شنيدرس، فرنر. **الفلسفة الألمانية في القرن العشرين**، ترجمة محسن الدمرداش. القاهرة: المشروع القومي للترجمة (833)، المجلس الأعلى للثقافة والفنون،2005.
30. شوفالييه، جان جاك. **تاريخ الفكر السياسي: من المدينة الدولة إلى الدولة القومية**، ترجمة، مجمد عرب صاصيلا. لبنان: المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1998.
31. طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس. **مفاتيح إصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، ترجمة، سعيد الغانمي. لبنان: المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، سبتمبر 2010.
32. عجَّـــة، الجيلالي **أزمة العقار الفلاحي ومقترحات تسويتها: من تأميم الملك الخاص إلى خوصصة الملك العام**. الجزائر: دار الخلدونية، 2005.

33. غرافيتز، مادلين. **مناهج العلوم الإجتماعية، الكتاب الثاني. منطق البحث في العلوم الاجتماعية**. ترجمة، سام عمار. سوريا: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، مطبعة طربين 1993.
34. فانون، فرانز. **معذبو الأرض**. الجزائر: موفم للنشر ENAG، طبعة 2007.
35. فلورباييه، مارك. **الرأسمالية أم الديمقراطية: خيار القرن الواحد والعشرين**، ترجمة، عاطف المولى. الجزائر: منشورات الإختلاف، الطبعة الأولى 2007.
36. كريب، إيان. **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، ترجمة محمد حسين غلوم. الكويت: عالم المعرفة،ع (244)، 1999.
37. كوش، دنيس. **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**. لبنان: المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، مارس 2007.
38. كون، توماس. **بنية الثورات العلمية**، ترجمة حيدر حاج إسماعيل. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، سبتمبر 2007.
39. لحسن، محمد، **عمي موسى قلعة الثوار بغرب الونشريس**. وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع . بدون تاريخ.
40. لشرف، مصطفى. **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة، حنفي بن عيسى. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة 1983.
41. ليشته، جون. **خمسون مفكرا أساسيا معاصرا: من البنيوية إلى ما بعد الحداثة**، ترجمة، فاتن البستاني. لبنان: المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز الوحدة العربية، الطبعة الأولى 2008.
42. مارشال، جوردون. **موسوعة علم الإجتماع، المجلد الأول**. ترجمة، محمد الجوهري، محمد محي الدين، عدلي السمري. مصر: المجلس الاعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الثانية 2008.
43. مجموعة مؤلفين. **الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، العهد الإسلامي: من الفتح إلى بداية العهد العثماني**. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
44. مجموعة مؤلفين. **الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية**. لبنان: مركز الميلي، محمد. **فرانز فانون والثورة الجزائرية**. الجزائر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 2010.دراسات الوحدة العربية. الطبعة الثانية 1999.
45. نويهض، عادل. **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام إلى العصر الحاضر**. لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية 1980.
46. هارفي، ديفيد. **حالة ما بعد الحداثة، بحث في أصول التغيير الثقافي**، ترجمة محمد شيا. لبنان: المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ماي 2005.

رسائل جامعية

1. يعلاوي، أحمد. **شروط إعادة إنتاج قوة العمل في القطاع الزراعي المسير ذاتيا،حالة تطبيقية ولاية تلمسان**. وهران: مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، مناقشة بتاريخ 23-12-1981.

دوريات

1. آل موسى، الشيخ علي علي. " **معوقات التغيير الاجتماعي**". مجلة **البصائر**: عدد أفريل2011.

2. باسكون، بول. "**ما الغاية من علم الاجتماع القروي**". **المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع.** (B.E.S.M)، العدد المزدوج: 155-156، 2009.
3. بودون، ريمون. "**العلوم الاجتماعية والنسبيتان**".مجلة **إضافات:** العدد 13، شتاء 2011.
4. جوليفي، مارسيل. "**الرسالة الحالية" لعلم الاجتماع القروي.** مجلة **إضافات:** العدد14 ربيع 2011.
5. لعكايشي، عزيز. "**الحضور والغياب لمتخيل الريف ومتخيل المدينة في الشعرية الجزائرية الحديثة**" قسنطينة، مجلة **العلوم الإنسانية**، عدد 25- جوان 2006.
6. مصباح، محمد. "**الانتربولوجيا الأنجلوساكسونية في المغرب: تقييم الأطروحة الانقسامية لغيلنر**". مجلة **إضافات:** العدد 14. ربيع 2011.
7. هوبكنز، نيكولاس. "**الطبقة والدولة في المجتمعات العربية الريفية** "**دراسة حالات**" " مجلة **المستقبل العربي**، عدد 109، 1988.

معطيات جهات رسمية.

1. بنك التنمية الريفية بوادي ارهيو.
2. مديرية المجاهدين لولاية غليزان.
3. المقاطعة الفرعية الفلاحية لوادي ارهيو.
4. موقع رئاسة الجمهورية.

http://www.el-mouradia.dz/arabe/symbole/textes/symbolear.htm

5. محاضر الاحصاء البلدي لبلدية واريزان ووادي ارهيو
6. مداولات المجلس البلدي بواريزان و وادي ارهيو من 1967 الى 2012.

2- الأجنبيـــــة

OUVRAGES.

1. **Addi, Lahouari**. *Algérie: chroniques d'une expérience postcoloniale de modernisation.* Alger: Les Editions Barzakh, Février 2012.
2. **Amin, Samir**. *L'économie du Maghreb: la colonisation et la décolonisation.* Paris: Les Editions De Minuit, 1966.
3. **Dmoh, Bacha**. *Palestro Lakhdaria: Réflexions sur des souvenirs d'enfance pendant la guerre d'Algérie*. Paris: Editions l'Harmattan (collection gravure de Mémoire), juin 2011.
4. **Belalloufi, Hocine**. *La démocratie en Algérie, reforme ou révolution ? sur la crise algérienne et les moyens d'en sortir.* Alger: Les Editions APIC, 2012.
5. **Belhamissi, Moulay**. *Histoire de Mostaganem*. Alger: Les Editons SNED, 1982.
6. **Benachenhou, Abdellatif**. *L'exode rural en Algérie* . Alger: SNED, sans date.
7. **Benbekhti, Omar**. *La stratégie sociale du développement rural: introduction aux méthodes de l'approche participative*. Oran: Editions Dar El Gharb, 2004.
8. **Bendjelid, Abed** (Dir), *Villes d'Algérie :formations, vie urbaine et aménagement.* Oran: Editions Crasc, 2010.
9. **Benghabrit-Remaoun, Nouria Et Haddab, Mustapha.** *L'Algérie 50 ans après Etat des savoirs en sciences sociales et humaines 1954-2004*. Oran, Editions CRASC, 2008.
10. **Boudon ,Raymond**. *La crise de la sociologie*. Genève: Daroz, 1971.
11. **——** *Theories of social chang a critical appraisal .translated by j C. Whitehous.* USA: university of California press and Berkeley, Polity Press, 1986.
12. **Boukhabza, Mohamed**. *Monde rural : contraintes et mutations*. Alger: OPU, 1982
13. **Bourdieu, Pierre Et Sayad, Abdelmalek**. *Le déracinement: la crise de l'agriculture traditionnel en Algérie*. Paris: Editons De Minuit, 1964.
14. **——** *Algérie 60, structures économiques et structures temporelles*. Paris: Les Editions De Minuit,1977.
15. **——— Collectif**. *Méthodes d'approche du monde rural*. Alger: OPU,1984.
16. **Bruce, Steve & Yearley, Steve**. *The Sage dictionary of sociology*. London: Sage Publications, First Edition, 2006.
17. **Charvin, Robert Et Guesmi, Ammar**. *L'Algérie en mutation: les instruments juridiques de passage a l'économie de marché*. Paris: l'Harmattan, janvier 2002.
18. **Chaulet, Claudine**. *La terre, les frères et l'argent : stratégie familiale et production agricole en Algérie depuis 1962*. tome 1. Alger: OPU. 1984.
19. **Collins, Randall**. *The sociology of philosophies: a global theory of intellectual change* . USA: Harvard University Press. Paperback Fourth Printing, 2002.
20. **Colonna, Fanny**. *Savant paysans: éléments de l'histoire sociale sur l'Algérie rurale* . Alger: OPU, 1987.
21. **Cornaton, Michel.** *Les camps de regroupement de la guerre d'Algérie*. Paris: l'Harmattan, 1998.
22. **Courrière, Yves**. *Le Temps de léopards: 1955-1957, œil pour œil*, (La guerre d'Algérie. tome 2) (Paris, collection marabout université, Librairie Arthème Fayard, 1969
23. **Dayan- Herzbrun, Sonia** (dir) **,***Vers une pensée politique postcoloniale à partir de Frantz Fanon*. (Paris7, Université Paris Diderot (Cahiers du centre de

sociologie des pratiques et des représentations politiques) **Tumultes**, numéro 31, octobre, Editions Kimé, 2008.
24. **derveen pieterse, Janne.** *Globalization as Hybridization,* In. Featherstone, Mike *Global Modernities.* London: Sage publications, 1995.
25. **E. Moore, Wilbert**. *Social change* .USA: Englewood Cliffs,: First Edition 1963.
26. **Etienne, Bruno.** (Collectif) . *Les Problèmes Agraires Au Maghreb*. PARIS: Centre National De La Recherche Scientifique (CNRS), 1977.
27. **Fanon, Frantz**. *Les damnés de la terre*. Paris: Éditions la Découverte & Syros, 2002.
28. **——** *Sociologie d'une révolution: l'an v de la révolution algérienne.* Alger: Editions ENAG 2006.
29. **Ferhat, Abbas**. La nuit coloniale. Alger : Editions ANEP, 2005.
30. **Front De Libération Nationale**, *La charte d'Alger*. Constantine : ensembles des textes adoptes par le 1er congres du parti du FLN du 16 au 21 Avril 1964 (Commission Centrale D'orientation). imprimée sur les presse du journal ANNASR.
31. **G. Flanagan, William.** *Urban sociology: images and structures.* UK: Rowman & Littlefield Publishers, fifth edition, 2010.
32. **Gauthier, Benoit**. (Sous Dir**)** *Recherche sociale: de la problématique a la collecte des données*. Canada: presses de l'université du Québec, 5e Ed, 2009.
33. **Halbwachs, Maurice**. *La mémoire collective*. Paris: presses universitaires de France, 2eme Edition, 1968.
34. **Harbi, Mohammed**. *1954 La Guerre Commence En Algérie*. Alger: Editions Barzakh, décembre 2009.
35. **Hillyard, Sam**. *The sociology of rural life*. USA (New York), Uk (oxford): Berg publishers, first published, 2007.
36. **Hubbard, Phil**. *City*. USA & Canada: Routledge, first published, 2006.
37. **Jean Pierre Cot, Jean Pierre Mounier**. *Pour une sociologie politique*. tome 1. Paris: Editions du Seuil.
38. **Jeffries, Vincent**. *Handbook of public sociology,* USA: Rowman & Littlefield publishers, 2009.
39. **Latour, Bruno**. *Changer de société : refaire de la sociologie* .traduit par Nicolas Guilhot. Paris: Editions la Découverte ,2006.
40. **Lebaro, Frédéric** *La sociologie de A à Z.* Paris: Dunod, 2009.
41. **Lebjaoui, Mohamed**. *Vérités sur la révolution algérienne*. Alger : Editions ANEP.2010.
42. **Lefebvre, Henri**. *State, space, world: selected essays*. edited by Neil Brenner & Stuart Elden. London: university of Minnesota press, first edition, 2009.
43. **Malek, Reda**. *Guerre de libération et révolution démocratique: écrits d'hier et d'aujourd'hui*. Alger: Edition Casbah, 2010.
44. **Matthew, Adams**. *Self and social change*. London: SAGE publications, first published 2007.
45. **Mifflin Company**, *The American heritage dictionary of the english language,* USA: Houghton Edition. 3Rd edition, 1992.
46. **Pajoit, Gay**. *Le changement social: approches sociologiques des sociétés occidentales contemporaines*. Paris, Armand Collins, 2003.
47. **Fayeraband Paul**, *Against methode* . London; New York. Verso,1980.
48. **Ramaoun, Hassan** (Collectif), *Savoirs historiques aux Maghreb: constructions et usages*. Oran: Editions CRASC, 2006.

49. **Réseau ENDA GRAF SAHEL.** *Changement politique et social: éléments pour la pensée et l'action.* DAKAR: 2005.
50. **Righi, Abdallah**. *Relizane 1954-1962*. Alger, Editions Casbah, 2010.
51. **——** *Hadj-Ali Abdelkader : pionnier du mouvement révolutionnaire algérien* (Alger, Editions Casbah 2006.
52. **Rothenberg, Molly Anne**. *The excessive subject, a new theory of social change*. Uk : Polity Press, first published 2010.
53. **Dalton, Russell J. And Christopher J. Anderson**, *Citizens, context, and choice: how context shapes citizens' electoral choices*. USA: Oxford University Press, volumes of the comparative study of electoral systems (CSES), first published, 2011.
54. **S.Turner, Bryan**. *The Cambridge dictionary of sociology*. Uk: Cambridge University Press, first published 2006.
55. **Sahli, Mohamed-Cherif**. *Décoloniser l'histoire* . Alger: Editions ANEP, 2007.
56. **Schwantzenberg, Roger-Gerard**. *Sociologie politique*. Paris: Editions Montchrestien , 1998.
57. **Stora, Benjamin**. *Algérie, histoire contemporaine 1830-1988*. Alger: Casbah Editions, 2004.
58. **——** *Dictionnaire biographique de militantes algériens 1926,1954.* Paris: Editions l'Harmattan, 1985.
59. **Sztompka, Piotr**. *The sociology of social change*. Uk: Blackwell Publishers, first published. 1993.
60. **Vaillancourt , Raymond**. *Le temps de l'ambiguïté, le contexte politique du changement*. Canada, presses de l'université du Québec, 2006.
61. **Vatin, Jean-Claude**. *L'Algérie politique: histoire et société*. Alger: Editions El Maarifa, 2010.
62. **Weil, Simone**. *L'enracinement: Prélude à une déclaration des devoirs envers l'être humain,* Paris: Les Éditions Gallimard,1949.
63. **Young, Robert J.C**. *Postcolonialism, an historical introduction.* USA: Blackwell Publishing (Australia, Uk), fisrt published, 2001.

ARTICLES DE REVUES .

1. **Addi, Lahouari** *« La crise structurelle des sciences sociales en Algérie* ». *Le Soir d'Algérie*. 28,11, 2010.
2. « *Peut-il exister une sociologie politique en Algérie*? ». Peuples Méditerranéens, N°54-55, 1991.
3. **Aït Amara, Hamid**. *«* Crise agricole, crise du développement *»*. Recherches Internationales, N° 80, Octobre- Décembre, 2007.
4. **Almond, Gabriel**. Chodorow, Marvin. Roy, Harvey. « *Progress and its discontents* » Pearce Bulletin of the American academy of arts and sciences, Vol. 35, No. 3, Dec., 1981.
5. **Bekkouche, Ammara**, « *Enjeux coloniaux et projection urbaine en algérie: le cas de Sidi Bel- Abbes* » Revue Insanyat, N°13, Janvier-Avril 2001.
6. **Bertrand, Schmitt**. Florence, Goffette-Nagot. *« Définir l'espace rural? De la difficulté d'une définition conceptuelle à la nécessité d'une délimitation statistique* » In: Économie rurale. N°257, 2000.
7. **Bessaoud, Omar** « Introduction » De Insaniyat, N°7, Paysans Algériens? Janvier-Avril, 1999.
8. **Blanc, Michel**. *« La ruralité : diversité des approches* » Économie Rurale. N°242, 1997.

9. **Bosak, Jeanin. Oshkosh, Baron Perlman**. *« A review of the definition of rural*». Journal of rural community psychology .vol.3,no.1, 1982.
10. **Bourdieu, Pierre. And Sayad, Abdelmalek**. «*Paysans déracinés: bouleversements morphologiques et changements culturels en Algérie »*. Études Rurales, No. 12 Jan. - Mar., 1964
11. **Camus, Albert** «*L'avenir algérien* »,[9 Et 23 Juillet 1955] In, « *La guerre d'algérie 1954-1962: l'histoire et la mémoire »*. Les cahier de l'Expresse, N° 11 hors-série. Mars-Avril 2012.
12. **Chenntouf, Tayeb** « *La sociologie au Maghreb: cinquante ans après* » . Revue Africaine de Sociologie (1), 2006.
13. **Collections Statistiques** N 97/2000, Serie S : Statistiques Sociales N 11 (6eme recensement générale de l'habitat et de la population 1998) L'armature Urbain, Décembre 2000.
14. **Coryell, Schofield**. *« Change comes to Relizane »* Africa Today, Vol. 10, No. 1 (Jan., 1963).
15. **Côte, Marc**. « *L'habitat rural en Algérie formes et mutations* ». Annuaire de l'Afrique du Nord, tome XXV, 1986.
16. **De Planhol, Xavier**. « *Les nouveaux villages d'Algérie* ». Geografiska Annaler, Vol. 43, No. 1/2, 1961..
17. **Deborah, Reed-Danahay**. «Tristes paysans": Bourdieu's early ethnography in Béarn and Kabylia ». Anthropological Quarterly, Vol. 77, No. 1 (Winter, 2004).
18. **Equipe CREAD**. « *Contribution à l'étude des capacités scientifiques, techniques et d'innovation en Algérie »*, in, *Etas des lieux des sciences sociales en Algérie.* Rapport intermédiaires, (Projet CREAD/ IRD) sans date.
19. **F. Coburn, Andrew.(others)** «*Choosing rural definitions: implications for health policy »* Rural Policy research institute health panel, March, 2007.
20. **Guetta, Maurice**. « *Urbanisation et structures familiales en Algérie (1948-1987*» Revue Française de Sociologie, Vol. 32, No.4 ,Oct.-Dec., 1991.
21. **Guichaoua, André. «** *Parcours d'un sociologue* » Revue Tiers Monde, n° 191, 2007.
22. _____*« La recherche en sciences humaines et sociales sur l'agriculture algérienne* ». Tiers-Monde., tome 21 n°83, 1980.
23. **Hachemaoui, Mohammed**, *«Y a-t-il des tribus dans l'urne ? sociologie d'une énigme électorale »*. (fichier originale publié dans plusieurs revues).
24. **Knauss, Peter**. « *Algeria's "agrarian revolution:" peasant control or control of peasants*? ». African Studies Review, Vol. 20, No. 3, Dec., 1977.
25. **Levy, Jacques**. « *Du monde a l'individu: la complexité dans les sciences sociales* ». Sciences Humaines, No.47, Février, 1995
26. **Lopez A.** *« Le monde rural face aux villes* » .Économie rurale. N°178-179, 1987.
27. **Lucian W. Pye**, « *Political culture revisited* ». Political Psychology, Vol. 12, No. 3, Sep., 1991.
28. **Mischi J. et Renahy N**., « *Pour une sociologie politique des mondes ruraux* » *Politix,* , nº 83/3, 2008.
29. **Morin, Edgar** *« Vers Un Nouveau Paradigme »*. Revue Sciences Humaines, N 47, Février, 1995.
30. **Piatier A., Madec J**. « *Comment et pourquoi définir un espace rural* ». Économie rurale. N°118, 1977.
31. **Silverstein , Paul A**. «*De l'enracinement et du déracinement. »*, actes de la recherche en sciences sociales. Vol. 150, Décembre, 2003.

32. **Stora, Benjamine.** *« Faiblesse paysanne du mouvement nationaliste algérien avant 1954* ». Vingtième Siècle. No.12 Oct-Dec,1986.
33. **Sutton, Keith and Lawless, Richard I.** « *Population regrouping in algeria: traumatic change and the rural settlement pattern »,* settlement and conflict in the mediterranean world, New Series, Vol. 3, No. 3, 1978.
34. **Sutton, Keith**. « *The influence of military policy on Algerian rural settlement »* . Geographical Review, Vol. 71, No. 4 ,Oct., 1981.
35. **Thomas C. Ricketts, Karen D. Johnson-Webb, Patricia Taylor**. *« Definitions of rural: a handbook for health policy makers and researchers* » the federal office of rural health policy to the north carolina rural health research program, June, 1998.
36. **Yamani, Lakhdar Et Brahimi, Kouider** «*Evolution sociale et reconfiguration spatiale »* Revue Insanyat, N°13, Janvier-Avril 2001

SUR SITES D'INTERNET.

1. **Dictionnaire de l'Académie française** : 9ème édition. (1992) La version informatisée,
2. Stable Url : http://atilf.atilf.fr/dendien/scripts/generic/cherche.exe?15;s=785497920;;
3. **Garry Jacobs, Robert Macfarlane, And N.Asokan** , « *Comprehensive theory of social development*».
4. stable Url: Http://Www.Icpd.Org/Development_Theory/Comprehensive_Theory_Of_Social_Development.Htm
5. **Shackman, Gene, Ya-Lin Liu and George (Xun) Wang**. « Why does a society develop the way it does? » .
6. Stable Url : http://gsociology.icaap.org/report/summary2.htm
7. **Scott London**, « *Understanding change: how it happens and how to make it happens »*.
8. *Stable URL . http://www.scottlondon.com/reports/change.html*

THESES.

1. **Boukella**, **Mourade.** *Les politiques agraires en Algérie de 1959 a 1972: rupture ou continuité*? (France, Lyon, université Lumière –Lyon 2, thèse de doctorat 3eme cycle, sous la direction de Yves Bouchut. soutenue le 13 mai 1983.

CONFERENCES.

1. **Hassan Ramaoun**, La grève des huit jours en Algérie (28 Janvier- 4 Février 1957) : La visions des dirigeants du FLN. (Intervention au colloque organiser les 30 et 31 octobre 2007 par l'université de Skikda sur la thématique « L'événement Comme révélateur de l'histoire ».

FILMOGRAPHIE.

1. **La bataille d'Alger**, Yves Boisset (Compagnie Des Phares Et Balises, 2006) Film Documentaire De 57 mn.
2. **La guerre d'Algérie,** Yves Courrière Et Philipe Mounier (document de 1972, 2h 34 mn. par Reggane Films, Editions Montparnasse).
3. **La guerre d'Algérie: La déchirure**, de Gabriel Le Bomin (réalisateur) et Benjamin Stora (auteur) (produit par, Nilya Productions et L'INA) un montage de

documents d'archives en couleurs de 2h 25 mn. (diffusé le 11 mars 2012 a 20h 35 sur france 2).

DONNEES OFFICIELES.

1. **5E recensement général de la population et de l'habitat (données statistiques N° 527/48**) .Alger: ONS, 2008.
2. **Etude de révision du PDAU de la commune de Ouarizane, Rapport D'orientation –Phase 1**. Relizane: B.E.T MINA, études techniques d'architecture d'urbanisme et environnement. 2011.
3. **Office nationale des terres agricoles** (ONAT) Relizane (Données Statistiques)
4. **Population légale ou de résidence habituelle**, répertoire statistiques des communes d'Algérie Vol.1 (résultats statistiques du denombrement de la population effectue le 31 octobre 1954, directions generales des finances) 1954.
5. **Premiers résultats de recensement des population de 1960. populations municipales, résultats provisoires** (statistique général de l'Algérie), Alger: délégation générale en Algérie, 1960.
6. **Révision du plan directeur d'aménagement et d'urbanisme: du groupement de communes, Oued Rhiou et Merdja Sidi Abed (**Phase 3. 2011) Relizane : direction de l'urbanisme et de la construction, et URBAT. unité de Sidi Bel Abbes, 2011.
7. **Statistique comparée des recensements quinquennat de la population algérienne en 1936 et en 1931.** Alger, service central des statistiques, Mars 1937.
8. **Synthèse des résultats,** (p.v de commune) commune de Oued Rhiou. 2002.
9. **Synthèse des résultats**, (p.v de commune) commune de Oued Rhiou. 2007.

الفهـــــــــــــــــــــــــرَس

ملخص.

مقدمة.....1

خلاصـة تنفيذية.....5

الفصل الأول: التغير السياسي والاجتماعي : قواعد مفهومية وأطُر نظرية.....7

1- طبيعـــــــــــة التغيُّـر ومميزاتـــه.

1-1/ التغيُّر: مفردات التعريف وأشكال الاستعمال..... 8

1-2/ السمات العامة للتغيُّـــــــــــــــــر. 12

1-3/التغيُّـــــر نتيجة تفاعل الذات مع نفسها ومع الآخر.....15

2- نظريـــــــات في التغيُّـــر: بنـــاء الواقع أم تأطيره؟

2-1/ نظريات التغيُّـر الاجتماعي: مدخل ابستمولوجي.....19

2-2/ التغيُّـــر وتشظي النظرية الاجتماعية.....24

2-3/ السياسة والتغيُّـر السيـاسي.....30

الفصل الثاني: خصُـــــــوصيات المدينة والريف الجزائري.....35

1- الوسط الريفي: من سياسات تفكيك البنية نحو تفكيك الخطاب.

1-1/ تعريف الريف: تعدد المناهج وخطاب احتقاري.....36

1-2/ واقع علم الاجتماع الريفي بالجزائر..... 46

1-3/ العنف والثورة في الريف الجزائري: بين البراديغم القانوني والبراديغم البورديـوي.....52

1-4/ الدولة والمجتمعات الريفية بعد الإستقلال: إعادة انتاج المكان والزمان...64

2 ـ الوسط الحضري بالجزائر: عمران كولونيالي وتشكيلات اجتماعية ما بعد كولونيالية.

2-1/ المدينَـــة: تجربة المكَان وحيوية المجال العام 71
2-2/ المدينة التاريخية الجزائرية: رهان كولونيالي ونخبوية سياسية.....76

3- **الوسط الريفي والحضري بولاية غليزان.**

3-1/ ولاية غليزان: البعد الثوري التاريخي.....81
3-2/ وادي ارهيو: اتساع سكاني وحـراك سياسي.....88
3-3/ واريزان: ريف حيوي بولاية غليزان.....94

الفصل الثالث: التغير السياسي بين ريف واريزان ومدينة وادي ارهيو.... 100

1- العمَـــــل السياسي والعـــلاقات السلطَـوية.

1-1/ مزاولة المهنة السياسية.....101
1-2/ المشاركة السياسيـة.....107
1-3/ الصفة التمثيليـة.....113

2- التعددية الحـــــزبية وأشـــكال الاتصال السياسي.

2-1/ إنغراس الاحزاب السياسية في الوسطـين.....119
2-2/ الفلاح والدعم الفلاحي وعلاقته بالدولـة.....123

3- السلوك الاجتماعي والمتَّصـَــل ريف-مدينة.

3-1/ الزمن، المكـان، والتواصـل.....128
3-2/ إهتمامات سياسية للوسط المحلي، الوطني، والعالمـي.....132

خَاتمَـــــــة.....133
الملاحـــــــق.....136
المـــــــراجع.....148

ملخـــص

هذه الدراسة هي محاولة في فهم سوسيولوجيا التحول السياسي في الوسط الريفي والوسط الحضري، وفي تتبّع مسار التنمية كإطار شامل تتحرك فيه الظواهر السياسية والاجتماعية، فكانت نقطة الموضوع الأساسية دراسة **التغير السياسي بين الوسط الريفي والوسط الحضري بولايـة غليزان؟** وتم تحديد وحدتين جغرافيتين مختلفتين كإطار للدراسة الميدانية الدقيقة، فكان التساؤل الرئيسي: **مـا هي التحولات السياسية التي ميَّزت ريف واريــزان ومدينة وادي ارهيو؟** لكن إذا كان مصطلح **التغيّــر السياسي** يتميز بالبساطة فهو ليس سهل الاستعمال، فارتأينا أنه من المناسب قبل مباشرة البحث، حلُّ مسألةٍ أوليَّة: كيف نحدد المفاهيم التي سنقوم باستكشافها ميدانيا؟. لذا وعلى طول ثلاثة فصول تم التطرق لمواضيع تختص بالمجال السياسي: كأشكال الأنساق السلطوية التي تحكم هذين المجتمعين، وتفسير كيف يتعامل أفرادهما مع السياسة، وانعكاسات التحول الديموقراطي على النشاط السياسي داخلهما. إنه عمل يستند إلى المقاربات النظرية التي يقدمها علم السياسة في تفسير **الفعل السياسي** و أنماط **الصفة التمثيليـة** ونشاط **الأحزاب السياسية**، وهو في ذات الوقت عمل يساعد على فهم جزء بسيط من كيفية اشتغال النظام السياسي الجزائري على مستواه المحلي، عبر فهم البنى الاجتماعية–الثقافية التي تتحكم في إنتاج واستهلاك الظاهرة السياسية في وسطين متباينين ومتجاورين. و تبرز النتائج المحصَّلة أن المنطق السياسي للأفراد يشتغل وفق بنية تمثلات حول "**البوليتيك**" تختلف تمام الاختلاف عن المقولات النظرية أو أنظمة الخطاب العام الذي تنتجه السلطة ومختلف القوى السياسية. والنتيجة الأخرى هو وجود **شرخ** بين طموح "القاعدة" و إستراتيجيات "القمة" والذي بدوره سبَّب أزمةً في التواصل الديمقراطي، وأصبح بموجبه المواطن البسيط لا يؤمن بسياسات و إصلاحات دولته، وببرامج الأحزاب، و لايتفاعل معها. هذا وقد باتت مواطنته في كل مرة معرَّضة للضعف والهشاشة، وأصبح سلوكه محكومًا بجوهر داخلي "قار" يمنع الإنقطاعات الجذرية عن الممارسات التقليدية، رغم الصيغ المؤسساتية الحديثة التي تحاول الحد منه.

الكلمات المفتاحية: **التغير، الريف، المدينة، التمثيل، الحرفة السياسية، القبلية، التقليد، الديموقراطية، الدولة، الزمن، المكان**.

Résumé

cette étude tente de saisir sociologiquement la compréhension de la transformation des milieux rural et urbain algérien ainsi que le suivi du processus de développement en tant que cadre globale au sein duquel se meuvent les phénomènes politiques et sociaux. A ce propos, l'objet principale de notre sujet est l'étude **du changement politique entre les milieux rural et urbain dans la wilaya de Relizane** . A cet effet , il a été retenu deux zones géographiques comme cadre de l'étude précise sur le terrain. La problématique posée concerne **les transformations politiques caractérisant la compagne d'Ouarizane et la ville de Oued-Rhiou**.

Si le concept de **changement politique** apparait comme simple dans la formulation, en revanche il n'est pas aisé dans son application. Avant d'entamer cette étude, il est apparu utile de répondre à la question primordiale du comment expliquer les concepts théoriques aux cas d'espèce observés sur le terrain. Pour cela, à travers trois chapitres , des sujets relevant du domaine politique ont été abordés tels que :

- les formes du système de pouvoir appliqué aux deus sociétés.
- l'explication du comportement des membres de ces deux sociétés à l'égard de la politique.
- les effets de la transition démocratique sur l'activité politique en leur sein.

Ce travail se fonde sur les approches théoriques de la science politique relatives à l'explication du fait politique, des normes de représentativité et l'activité des partis politiques. et en même temps, ce travail aide à comprendre une petite partie du mode de fonctionnement du système politique algérien au niveau local. Ce fonctionnement s'effectue à travers les structures socioculturelles qui maitrisent la production et la consommation du phénomène politique au sein de deux milieux différents et voisins. Les résultats obtenus par l'étude montrent que la logique politique des individus fonctionne en corrélation avec les structures de représentation autour de la « *Boulitique* » qui diffère totalement des dits théoriques ou des systèmes de discours générale produit par le pouvoir et les différents partis politiques. L'autre résultat montre l'existence d'un *fossé* entre l'aspiration de la base et la stratégie du sommet ; ce fossé a provoqué une crise de transmission démocratique. De par cette crise, le simple citoyen renie la politique, les reformes de son Etat ainsi que les programmes des partis politiques par lesquels il ne réagit pas.

La citoyenneté est ainsi chaque fois fragilisé et affaiblie. Le comportement du citoyen est encore dominé par un esprit atavique *stable* lui interdisant les ruptures radicaux avec les pratiques traditionnelles en dépit des institutions modernes qui essayent d'en limites les effets.

Mots clés: changement, rural, urbain, représentativité, profession politique, tribalisme, traditionnel, démocratie, Etat, espace, temps.

ملخـــــــص

هذه الدراسة هي محاولة في فهم سوسيولوجيا التحول السياسي في الوسط الريفي والوسط الحضري، وفي تتبّع مسار التنمية كإطار شامل تتحرك فيه الظواهر السياسية والاجتماعية، فكانت نقطة الموضوع الأساسية دراسة **التغير السياسي بين الوسط الريفي والوسط الحضري بولاية غليزان؟** وتم تحديد وحدتين جغرافيتين مختلفتين كإطار للدراسة الميدانية الدقيقة، فكان التساؤل الرئيسي: **ما هي التحولات السياسية التي ميَّزت ريف واريـــزان ومدينة وادي ارهيو؟** لكن إذا كان مصطلح **التغيّـــر السياسي** يتميز بالبساطة فهو ليس سهل الاستعمال، فارتأينا أنه من المناسب قبل مباشرة البحث، حلُّ مسألةٍ أوليَّة: كيف نحدد المفاهيم التي سنقوم باستكشافها ميدانيا؟. لذا وعلى طول ثلاثة فصول تم التطرق لمواضيع تختص بالمجال السياسي: كأشكال الأنساق السلطوية التي تحكم هذين المجتمعين، وتفسير كيف يتعامل أفرادهما مع السياسة، وانعكاسات التحول الديموقراطي على النشاط السياسي داخلهما. إنه عمل يستند إلى المقاربات النظرية التي يقدمها علم السياسة في تفسير **الفعل السياسي** و أنماط **الصفة التمثيلية** ونشاط **الأحزاب السياسية**، وهو في ذات الوقت عمل يساعد على فهم جزء بسيط من كيفية اشتغال النظام السياسي الجزائري على مستواه المحلي، عبر فهم البنى الاجتماعية-الثقافية التي تتحكم في إنتاج واستهلاك الظاهرة السياسية في وسطين متباينين ومتجاورين. و تبرز النتائج المحصَّلة أن المنطق السياسي للأفراد يشتغل وفق بنية تمثلات حول **"البوليتيك"** تختلف تمام الاختلاف عن المقولات النظرية أو أنظمة الخطاب العام الذي تنتجه السلطة ومختلف القوى السياسية. والنتيجة الأخرى هو وجود **شرخ** بين طموح "القاعدة" و إستراتيجيات "القمة" والذي بدوره سبَّب أزمةً في التواصل الديمقراطي، وأصبح بموجبه المواطن البسيط لا يؤمن بسياسات و إصلاحات دولته، وببرامج الأحزاب، و لايتفاعل معها. هذا وقد باتت مواطنته في كل مرة معرَّضة للضعف والهشاشة، وأصبح سلوكه محكومًا بجوهر داخلي "قار" يمنع الإنقطاعات الجذرية عن الممارسات التقليدية، رغم الصيغ المؤسساتية الحديثة التي تحاول الحد منه.

الكلمات المفتاحية:

التغير؛ الريف؛ المدينة؛ التمثيل؛ الحرفة السياسية؛ القبلية؛ التقليد؛ الديموقراطية؛ الدولة؛ الزمن؛ المكان.

Résumé

Cette étude tente de saisir sociologiquement la compréhension de la transformation des milieux rural et urbain algérien ainsi que le suivi du processus de développement en tant que cadre globale au sein duquel se meuvent les phénomènes politiques et sociaux. A ce propos, l'objet principale de notre sujet est l'étude **du changement politique entre les milieux rural et urbain dans la wilaya de Relizane** . A cet effet , il a été retenu deux zones géographiques comme cadre de l'étude précise sur le terrain. La problématique posée concerne **les transformations politiques caractérisant la compagne d'Ouarizane et la ville de Oued-Rhiou**.

Si le concept de **changement politique** apparait comme simple dans la formulation, en revanche il n'est pas aisé dans son application. Avant d'entamer cette étude, il est apparu utile de répondre à la question primordiale du comment expliquer les concepts théoriques aux cas d'espèce observés sur le terrain. Pour cela, à travers trois chapitres , des sujets relevant du domaine politique ont été abordés tels que :
- les formes du système de pouvoir appliqué aux deus sociétés.
- l'explication du comportement des membres de ces deux sociétés à l'égard de la politique.
- les effets de la transition démocratique sur l'activité politique en leur sein.

Ce travail se fonde sur les approches théoriques de la science politique relatives à l'explication du fait politique, des normes de représentativité et l'activité des partis politiques. et en même temps, ce travail aide à comprendre une petite partie du mode de fonctionnement du système politique algérien au niveau local. Ce fonctionnement s'effectue à travers les structures socioculturelles qui maitrisent la production et la consommation du phénomène politique au sein de deux milieux différents et voisins. Les résultats obtenus par l'étude montrent que la logique politique des individus fonctionne en corrélation avec les structures de représentation autour de la *« Boulitique »* qui diffère totalement des dits théoriques ou des systèmes de discours générale produit par le pouvoir et les différents partis politiques. L'autre résultat montre l'existence d'un *fossé* entre l'aspiration de la base et la stratégie du sommet ; ce fossé a provoqué une crise de transmission démocratique. De par cette crise, le simple citoyen renie la politique, les reformes de son Etat ainsi que les programmes des partis politiques par lesquels il ne réagit pas.

La citoyenneté est ainsi chaque fois fragilisé et affaiblie. Le comportement du citoyen est encore dominé par un esprit atavique *stable* lui interdisant les ruptures radicaux avec les pratiques traditionnelles en dépit des institutions modernes qui essayent d'en limites les effets.

Mots clés:

Changement; Rural; Urbain; Représentativité; Profession Politique; Tribalisme; Traditionnel; Démocratie; Etat; Espace; Temps.